
ساحر الكتب
عمرو مرزوق
سي أوزير
الفرعون المنبوذ
رواية



سي أوزير



الكتاب: سي أوزير

الكاتب: عمرو مرزوق

تصميم الغلاف:

تدقيق لغوي: د. سيد الشريف

رقم الإيداع: 2018/2129

الترقيم الدولي: 978-977-778-132-9

الطبعة الأولى: 2018



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت:35860372 02 -27772007 011

Noon_publishing@yahoo.com





عمرو مرزوق

سي أوزير

(الفرعون المنبوذ)

ميدوم ٢

رواية







إهداء

إلى أمى النائمة فى قبرها..لا زال قلبك داخلى ينبض بالحياة.





مقدمة

من جديد أعود إليكم بالجزء الثانى من رواية ميدوم، لنُكمل سويًا رحلة جاسر مع حارس البرديات بدزميران، لنعيش معًا تلك المغامرة الفريدة مع بطل الرواية حينما ننتقل معه عبر الزمن من أجل معرفة الحقيقة فى رحلة سنخوضها معه فى قلبه قبل عقله.

إنها تلك الرحلة التى تبدأ من قلب المعاناة والألم لتمر بالقلب الذى ينبض حبًّا وشوقًا وعشقًا ليعيش ويشعر بالألم قبل الأمل، بالموت قبل الحياة، وبالفراق قبل اللقاء، وتستمر عبر العقل الذى يفكر ويتعلم ويتدبر ليخطو بخطوات واثقة نحو الحق والعدل والخير فى طريق تَحُفُّه المخاطر والشهوات، الشرور والآثام،المغريات والتهديدات، لينتهى مجددًا عند القلب، ذلك الرابض دومًا فى الصدر ينتظر تلك اللحظة التى تصفو فيها البصيرة، فيرى الحقيقة ليفتح أبوابه على مصراعيها مستقبلًا ذلك الزائر العزيز الذى عاش حياته ينتظره، فينبض من جديد عازفًا على أوتار تلك الروح التى امتزجت بروحه فى سيمفونية الحب التى لا تنتهى.

فى تلك الصفحات سنشعر بالإنسان الذى يتغلب على مخاوفه من أجل مبادئه ليحقق أحلامه وآماله ويطلق سراحها من أسر اليأس والضعف والاستسلام الذين يقيدوه فيضحى كائنًا عاجزًا خانعًا أقرب للموت منه للحياة.

فى تلك الصفحات سنشعر بقيمة الإيمان الذى يدب فى الروح فيسمو بها نحو آفاق رحبة، وينطلق بها من ظلام الجهل إلى نور العقل لندرك قيمة المعتقدات والمبادئ التى طالما وصمنها بالتخلف بينما هى أسمى ما حبانا الله



به، ولكننا آثرنا التعلق والتقليد لتلك الحضارات الخالية من الروح والإيمان لتنغمس فى شهوات الجسد، وتنافس فى المعصية تلك الشياطين التى أقسمت يومًا بغوايتها .

فى تلك الصفحات سنجد تخاذل واستضعاف من يملكون التاريخ والحقيقة والحضارة، فى الوقت الذى يجتهد المُدعى الذى يريد تزوير الحقائق وسرقة أمجاد وتاريخ ليس له لينسبها إليه دون وجه حق فى غفلة من أصحاب الحق، لتنخر تلك الكائنات فى جسد تلك الأمة التى تئن وتصرخ لتُثير ذلك البركان الذى ظل خامدًا طويلًا .

فى تلك الصفحات سنجد الحب والكرهية.. العلم والجهل.. الحقيقة والأكاذيب.. الصدق والزيف.. الأنانية والتضحية لنصل إلى حقيقة واحدة أن كل هذه المتناقضات تجتمع فى مخلوق واحد ميزه الله عن بقية خلقه ليعمر فى الأرض ويعبده حق عبادته .

إنه الإنسان ذلك المخلوق الذى كرمه الله ولكنه لم يدرك أبدًا عظمة وسمو تلك المكانة ليهوى بتلك النفس إلى هاوية لن يصل فيها إلى قرار.

****



ملخص الجزء الأول

تبدأ الرواية بشخصية جاسر وهو واحد من أشد المهتمين بالظواهر الخارقة للطبيعة والخارجة عن المألوف وهو شغوف بالبحث دائمًا عن الغموض والإثارة وقد ساعده على ذلك احترافه للكتابة عن تلك الظواهر الغير مألوفة ومحاولته لتفسيرها وحلها،ويعاونه فى ذلك فريقه المكون من أخيه ماجد الذى يعمل معيدًا بإحدى الجامعات وخبير فى مجال الأدلة الجنائية وكذلك خطيبته الطبيبة فى مجال الطب الشرعي منى وصديقه راشد ضابط الشرطة بالإضافة لصديقهم آدم صاحب الكافيه الذى يجتمعون فيه .

وفى بداية القصه تتعرض منى فى عملها لحالة تشريح لجثة غريبة تبدو كما لوكانت قد تم تحنيطها على الطريقة الفرعونية دون أن يكون هناك سبب واضح للوفاة مما جعلها تلجأ لعمها الطبيب الذى كان يعمل بنفس المجال، والذى أخبرها أنه سبق له وتعرض لحالتين مماثلتين لحالة تلك الجثة منذ سنين ولكنه وقف هو الآخر حائرًا أمام تلك الحالات عاجزًا عن تفسير سبب الوفاة ..

فتلجأ منى لفريقها الذى يهتم بالأمر ويبدأ جاسر بالبحث عن حل ذلك اللغز ويمده صديقه الضابط راشد بالأحداث والوقائع المتعلقة بتلك الجثة حيث يخبره أنه خلال الثورة قامت بعثة أجنبية غربية باستكشاف إحدى المقابر الفرعونية القريبة من هرم ميدوم ساعدهم فى ذلك اثنين من



المصريين، وبعد عدة أيام يكتشف أهل القرية جثتين فى أحد المنازل المهجورة بالقرية، أحدهما لعامل ممن يساعدون البعثات الأثرية والأخرى لطفل تم نحره من رقبته، وبعد فترة تم اكتشاف جثتين أخريين أحدهما لشيخ يعمل فى فك سحر المقابر الفرعونية والأخرى لمرشد سياحى وقد تم قتلهم بصورة بشعة تشبه تلك الطريقة التى قتلت بها الجثة الأخيرة والتى ترجع لوسيط يعمل فى بيع الآثار اسمه مجدى معاذ، حيث أفادت زوجته أنه كان يعمل ببعثة أثرية فى بنى سويف والتى تبين فيما بعد أنها نفس البعثة التى حدثت فيها تلك الأحداث، وأنها قد سمعته يتحدث فى الهاتف مع شخص يدعى أحمد يخبره فيه بأنه يخفى التابوت الفرعونى وأنه سوف يقوم ببيعه، وقد تم الربط بين هذه الأحداث جميعًا بسبب الطريقة البشعة والغريبة التى تم بها القتل كما أن الجميع يعملون فى استخراج الآثار وبيعها.

الغريب فى الأمر هو تلك الظواهر الغريبة التى ظهرت فى القرية التى فتحت بها المقبرة والتى جعلت أهل القرية يرفضون التحدث مع الغرباء ويذكرون عدة أشياء عن تلك اللعنة الغريبة التى أيقظها الشيخ حسن، والتى يعرف سرها الشيخ إلهامى، وهو معمر القرية، وأكثر الشخصيات التي تحظى بالاحترام والتبجيل، والتي يلجأون إليها في الأمور والظواهر الغريبة، والذى لم يستدل عليه أحد.كما يخبره راشد أن أحمد أبو الليل قد أصيب بلوثة عقلية بعد موت مجدى وأنه قد تم إيداعه إحدى المصحات العقلية، ويعطيه صورة من ملف التحقيقات كاملاً.فيذهب جاسر لمقابلة أحمد فى المصح العقلى إلا أنه يجده فى حالة يرثى لها ويحاول أن يحصل منه على أية إجابات إلا أن أحمد يظل يردد أشياء عن لعنة تحوت والصندوق الملعون ومصيره الذى ينتظره عند شجرة الياسمين وذلك الشىء الأسود الذى يطارده، وجاسر لا يفهم شيئًا .

فى ذات الوقت تقوم منى وماجد بزيارة زوجة مجدى صاحب الجثة



الغامضة والتى أخبرتهم أن مجدى كان يخفى تابوتًا فرعونيًا وكذلك حقيبة بها عدة برديات فى مكان لا تعلم عنه شيئًا، وذلك لبيعها لأحد الأجانب إلا أن ذلك الأجنبى قام بمماطلته فى دفع المال، وهو ما أثار غضبه هو وأحمد خاصة وأنهم كانوا فى حالة رعب من تلك اللعنة التى أخبرها عنها والتى تسمى لعنة تحوت .

لجأ الفريق لأحد المختصين فى علم المصريات والذى أخبرهم أن تحوت هو إله الحكمة عند المصريين القدماء وله دور أساسى فى محكمة الموتى ويعتقد المصريين القدماء أنه من كشف لهم علوم الفلك، والعمارة، والهندسة، والطب والسحر والإلهيات، وهو إله للسحر أيضًا واعتبر الكتاب الذي وضع فيه خبرته رمزهم والحامي لهم ومرجعًا للسحر في كل العصور، ويعتبر كتاب تحوت واحدًا من أكثر الكتب المصرية القديمة غموضًا، ويعتقد أن تحوت امتلك معرفة كبيرة تمنحه امتلاك السلطة على العالم .

حيث وصف المؤامرة ضدالفرعون لاستخدام السحر، مع العلم أن كل أعضاء المؤامرة تم إعدامهم وتم حرق الكتاب الملعون، والذي كان يدرس السحر وتعاويذه،إلا أن ذلك الكتاب قد ظهر مرة أخرى مع ابن رمسيس الثاني «مرنبتاح»، إلا أنه اعتبر وجود ذلك الكتاب يشكل خطرًا كبيرًا فقام بحرقه هو الآخر، وقد ظهر ذلك الكتاب عدة مرات على مر التاريخ وصاحب ذلك فى كل مرة العديد من الظواهر الغريبة المصاحبة لذلك .

فى نفس الوقت الذى حاولت تلك البعثة الأجنبية الاتصال بزوجة مجدى ومساومتها، والتى تعاونت معهم للحصول على تلك البرديات التى كانت مع زوجها.

قام جاسر بإرسال آدم لاستكشاف الأمر فى قرية طما التى اكتشفت بها تلك المقبرة ولمحاولة التوصل للشيخ إلهامى إلا أنه لم يتوصل لشىء سوى



وجود بعض الظواهر الغريبة بالفعل فى تلك القرية، وفى تلك الأثناء توصل جاسر لعنوان هند خطيبة أحمد التى قامت بزيارته فى المصح العقلى والتى تبين أنها من نفس القرية، فقام هو ومنى بزيارتها بصفتهما أطباء متابعين لحالة أحمد، والتى أخبرتهم أن أحمد وخاله الشيخ حسن كانا أول من نزل إلى المقبرة، وأنهم قاموا بإخفاء أهم ما فى المقبرة وهو صندوق صغير يحوى عدة برديات واختفيا بعدها تمامًا أثناء نقل محتويات المقبرة والتى قام الفريق الأجنبى بالتخلص ممن شارك فى فتحها،

وبعد قتل الشيخ حسن ظهر أحمد وعاد للتعامل مع مجدى بعد أن أثبت له عدم معرفته بنية الفريق الأجنبى، وأخبرها أحمد أن الأجانب قد عرضوا مبلغًا ضخمًا فى مقابل تلك البرديات، وأنها لا تعلم شيئًا عن مكان تلك البرديات، مما جعل جاسر يحاول استدراج عمها الحاج مراد لمعرفة مكان الشيخ إلهامى ولكنه لم يبح له بشىء، فغادر جاسر ومنى بعد أن ترك جاسر لهند الكارت الخاص به للاتصال به عند الضرورة .

ذهب جاسر لمنزل أحمد فى محاولة لإيجاد شىء قد يوصله لحل ذلك اللغز فوجدها وقد قلبت رأسًا على عقب، إلا أنه توقف عند ذلك الحوض الكبير الذى زرعت بداخله شجرة ياسمين فتذكر حديث أحمد عن شجرة الياسمين مما جعله يحفر أسفل تلك الشجرة ليجد صندوقًا فرعونيًا يحوى برديتن وورقة مكتوب عليها (الشيخ إلهامى واحدة .. مجدى معاذ اثنين)، وشيك محرر باسم شخص أجنبى، إلا أنه يفاجئ بهجوم من شخص أجنبى ليتخلص منه جاسر، ويتوجه جاسر لمنزله ليواجه ذلك المخلوق المخيف الذى يحرس تلك البرديات، والذى جعله يعايش أسوأ كوابيسه، حيث يأمره بجمع تلك البرديات لتنتهى تلك اللعنة.

يخبره ذلك المخلوق المخيف المسمى بدزميران أنه سيجعله يعرف كل



شيء وسيطوي لـه صفحـة الزمـان لتمـر أمامـه وكأنهـا لحظـة تمـر بـين عينيـه، ولكنـه سيطمس عـلى عقلـه حتـى لا يبـوح بسر الكهنـة المقـدس..

ينتقـل بدزميران بجاسر عـبر الزمـن ليتقمـص روح «خـاى « ابـن الكاهـن « تـب رع « أحـد كهنـة المعبـد فى عهـد الأمـير « خـا ام واس « ابـن رمسـيس الثانى، وصديـق ابنـه الأمـير « أوزيـر « والـذى يشـهد حـدث قـدوم رجـل عجوز يدعـى «كاجمني» والـذى اجتمـع بـه الأمـير فى حضـور وزيـره وكبـير الكهنـة نفـرو وأربعـة مـن كبـار كهنـة المعبـد وهـم «امنـي نخـت» والكاهـن «تـب رع» والكاهـن «واخمـوس»، والكاهـن الأصغـر «سـوتي»، وعـدد مـن صغـار الكهنـة..

حيـث يخـبر «كاجمنـي» عـن سر ومـكان كتـاب تحـوت المقـدس المفقـود منـذ عـدة قـرون.. فيخـبره بقصـة الأمـير «نفـر كا بتـاح» الـذى كان يريـد التوصـل إلى سر البرديـات المقدسـة للحكيـم تحـوت.. وظـل يبحـث عنـه حتـى أتـاه ذلـك الحكيـم الـذى دلـه عـلى المـكان المدفـون بـه كتـاب تحـوت المقـدس، وكان الكتـاب يقـع في جزيـرة في أعـالي مـصر.. حيـث ذهـب معـه ذلـك الكاهـن في تلـك الرحلـة النيليـة لإرشـاد الأمـير إلى تلـك الجزيـرة، وليقـوم بـأداء صلـوات وطقـوس خاصـة ليسـهل لـه الحصـول عـلى الكتـاب، بالرغـم مـن تحذيـرات جميـع الكهنـة لـه لمـا سـتجره تلـك البرديـات مـن لعنـة.

وعندمـا وصـل الأمـير بحاشـيته للجزيـرة وجـد الكتـاب مدفونًـا في الكهـف الوحيـد الموجـود في تلـك الجزيـرة حسـب وصـف الكاهـن الـذي حذرهـم مـن أن يكـون هنـاك حـراس للكتـاب مـن الجـن، ممـا جعـل الكهنـة يتلـون صلواتهـم ويقيمـون الطقـوس والشـعائر المقدسـة لـزوال أي لعنـة قـد تصيبهـم، حتـى الكاهـن المجهـول شـاركهم تلـك الصلـوات مـع قيامـه بصلـوات وطقـوس خاصـة، حيـث وجـد صندوقًـا كبـيرًا مـن الحديـد محاطًـا بهالـة مـن الضـوء والـذي كان يتسرب مـن فتحـة في جـدار الكهـف..وحـول الصنـدوق ذاتهكانـت تزحـف



الحيات والعقارب بصورة لا يتخيلها عقل، أما صندوق الحديد نفسه فقد كان محاطًا بحية كبيرة تلتف حوله عدة لفات، مما جعل الكهنة ينصحون الأمير بالابتعاد تمامًا عن الصندوق، لأن ذلك قد يكون إشارة من الآلهة بعدم فتح الصندوق حتى لا تصيبه أي لعنة..

ولكن الأمير «نفر كا بتاح» لم يتراجع حيث كانت النبوءة تقول إنه لكي يصل الأمير إلى الكتاب المفقود عليه أن يتولى وحده تخطي الصعاب الموجودة، كما أخبره الكاهن المجهول.. فاستل الأمير سيفه ومعه حراسه وبدأ في قتل الحيات والعقارب حول الصندوق، إلى أن تبقت تلك الحية الكبيرة المحيطة بالصندوق.. والتى حاربها الأمير بكل ما أوتي من قوة، إلا أن الحية قاومت في شراسة.. إلى أن تغلب عليها الأمير، وفتح الصندوق ليجد البرديات ليعود إلى مملكته فى رحلة كانت مليئة بالأخطار والغرائب إلى أن رأى كبير الكهنة حلم يمهل فيه المعبود رع الأمير سبعة أيام ليعيد الكتاب وإلا سيصاب باللعنات بسبب إنتهاكه للأسرار المقدسة .

وبالرغم من أن كبير الكهنة قد حذر الأمير وقص عليه الحلم إلا أنه لم يستجب وبدأ فى قراءة الكتاب وأصابه الغرور والتكبر ثم بدأ يشكو من شيء أسود لا يدري كنهه.. والذى كان يطلب منه في هدوء إعادة الكتاب إلى مكانه.. ولكن الأمير تجاهل كل ذلك، ولم يترك الكتاب من يده حتى وصل إلى قصره، وكانت هناك خمس ليالٍ متبقية على إصابته باللعنة.. حيث علم بأول فاجعة في حياته، وهى انقلاب القاربزوجته وابنه أثناء تنزههما في قارب صغير داخل النيل، ولم يتمكن أحد من إنقاذهما بل لم يستطع أحد الوصول إلى أي من الجثث لدفنهما تبعًا للطقوس المقدسة، مما يؤكد أن الآلهة قد صبت جام غضبها على الأمير نفر كا بتاح.

وبالرغم من ذلك لم يرتدع الأمير بل ظل هائمًا بجوار الشاطئ ليومين



مع حراسه لانتظار طفو جثتيهما دون جدوى.. بعدها أخذ الكتاب وظل يقرأ فيه عدة طلاسم يومين متتالين لم يخرج فيهما من غرفته.

وفي اليوم الأخير لحلول اللعنة فوجئ الجميع بالأمير يرتدي كامل حلته الذهبية وقد أصر على الذهاب إلى شاطئ النيل في قارب وحده وذهب في نفس المكان الذي لقى فيه زوجته وابنه حتفهما، وألقى بنفسه فجأة في النهر.. ولم يستطع أحدمن الحراس إنقاذه، ولكن استطاعوا بعد جهد إخراج جثته..

وللتخلص من الكتاب الملعون قام الكهنة بدفنه في مقبرة الأمير، مع إبقاء الأمر سرًا بين كهنة المعبد الجنائزي..وبعد أن قص الحكيم « كاجمنى « سر برديات تحوت ومكانها على الأمير « خا ام واس « قرر الأمير الخروج فى رحلة إلى مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» للحصول على تلك البرديات مصطحبًا معه بالاضافة إلى حراسه كبير الكهنة وكبار الكهنة الأربعة، إلا أن كبير الكهنة « نفرو « كان قلق من أنه بعد أن يحصل الأمير على الكتاب ربما تهاجمه قطاع الطرق أو بعض القبائل الخارجة فيقع فى أيديهم الكتاب وتضيع الأسرار المقدسة خاصة وأن القافلة تحميها سرية صغيرة من الحرس ،

فاقترح الكاهن « واخموس « على كبير الكهنة أن يطرح فكرة على الأمير فحواها أن يتم تقسم الكتاب على الكهنة الأربعة، ثم يتخلف الكهنة عن القافلة ليتحركوا بعدها بيومين ويسلكوا طرقًا مختلفة قبل أن يصلوا بعد وصول الأمر ويسلموه الكتاب .

إلا أن الكاهن « أمنى نخت « قد اقترح أنه فى خلال هذين اليومين وقبل تحرك الكهنة يقومون بنسخ الكتاب حتى يكون لدى المعبد نسخة من الكتاب المقدس دون أن يعلم الأمير بذلك حتى إذا أصاب الكتاب أى مكروه يكون هناك نسخة من التعاليم المقدسة .



وقد وافق الأمير على إقتراح كبير الكهنة « نفرو « والذى لم يعرض عليه سوى جزء من الخطة، وعندما حصل الأمير على الكتاب بالفعل أعطاه لكبير الكهنة الذى وزع البرديات على الكهنة الأربعة وفقًا للاتفاق الذى تم بينهم .

عندما وصل الكتاب إلى يد الأمير، ووصلت النسخ منه إلى المعبد الجنائزي،اكتشف الكهنة كائنات أخرى مكلفة بحراسة الكتاب المقدس، ومنهم من ظهر للكاهن «نفرو» الذي حدثه بكل احترام واتفقا على ضرورة إخفاء تلك التعاليم للأبد بأي صورة كانت.. ولذلك كان على الكاهن «نفرو» أن يتخلص من الكتاب بطريقة واحدة، هو أن يدفن الكتاب المنسوخ مع من قام بنسخه كما أخبره الكائن، وذلك حتى لا تصيبه أي من اللعنات في رحلته الأبدية ومنعًا لأي سوء قد يحدث بعد ذلك..وكان عليه مهمة أكثر إيلامًا، ألا وهي أن يأمر بدفن الكهنة الأربعة بعد موتهم في مكان مجهول في مقابر مجهولة بجوار هرم ميدوم، وليس مقابر مقدسة كعادة كبار الكهنة، وذلك حتى لا تمتد أي من الأيادي الآثمة إلى المقابر، وكذلك محو أسماء الكهنة الأربعة من كافة السجلات التي تحوى أسماء كهنة المعابد الفرعونية في كافة أنحاء البلاد،وبعد ذلك يتم عمل مراسم بسيطة، ولم يعلم بذلك سوى خاى والكاهن الأكبر نفرو حيث توفى الكهنة الأربعة فى حياته .

بينما الأمير فبالرغم من قراءته كافة التعاويذ السحرية المقدسة، ولكنه فشل في تنفيذ أيٍّ منها، وقد أخبر الكائن الكاهن «نفرو» بأن عليه فقط أن يتولى مسئولية الجزء المنسوخ وأن عليه إخفاءه بهذه الطريقة، أما الكتاب الأصلي والبرديات فأخبره أنه هو من سيتولى مسئوليتها..

فقد عايش الأمير بعض الأحداث الغامضة التى جعلته يعرض الأمر على كبار الكهنة والذين رأوا أن ذلك تحذيرًا من الآلهة حتى لا يلقي مصير



الأمير «نفر كا بتاح»، لذلك قرر الأمير أن يقوم بنقل كل ما أخذه من مقبرة الأمير «نفر كا بتاح».. وليدفن الكتاب تمامًا في الصندوق كما أخذه..

وكانت مسئولية ذلك تقع على عاتق كبير الكهنة « نفرو » إلا أن الأمير إستدعاه وأخبره أن روح الأمير «نفر كا بتاح» أتت إليه فى حلمه تترجاه أن يأمر بالبحث عن جثتيّ زوجته وابنه في مكان غرقهم بالقارب بل وأرشده إلى المكان بالضبط..

لذلك قام الأمير بنفسه بقيادة القافلة للذهاب إلى قبر «نفر كا بتاح»، وعرج على مكان القصر القديم بجوار النيل وظل يبحث في المكان الذي أرشده عليه «نفر كا بتاح» لمدة سبع ليال كاملة حتى عثر على زوجته وابنه مدفونين في قاع النيل فأمر كبار كهنته بتكريم ما تبقى من جثتيّ الزوجة والابن وإعطائهما جميع المراسم الملكية للدفن.. ودفنهما إلى جوار جثة الأمير «نفر كا بتاح»، وأيضًا وضع الكتاب المقدس في نفس الصندوق في ذات المقبرة ثم أغلاقه وأغلاق باب المقبرة في وسط الجبل بحجارة شديدة البأس، قاموا بنقلها إلى باب المقبرة حتى يتم إغلاقها للأبد..

وبعد رحلة الدفن التي قام بها الأمير ذهب لملاقاة والده الملك رمسيس الثاني مع وفد من كبار الكهنة، ليموت الأمير «خا أم واس» بعدها بفترة بدون سبب، فأرسل فرعون في استدعاء الأمير الصغير«أوزير» ليكون في رعايته، ولكن الأمير الصغير « أوزير» أيضًا قد اختفى إلى الأبد..

وبعد أن أخذ حارس البرديات بدزميران جاسر فى تلك الجولة عبر الزمن ليعرف قصة تلك البرديات بدأ جاسر فى رحلة البحث عنها .وفى تلك الأثناء تتصل هند خطيبة أحمد بمنى لتبلغها بوجود مستجدات والتى تبلغ جاسر بذلك فيتصل بها ليتحدث مع عمها الحاج مراد والذى يبلغه أن الشيخ إلهامى يطلبه بعد أن قص علي الشيخ ما دار بينهم من حديث .ولكن



قبل سفره للشيخ إلهامى فوجئ بإيزاك ذلك الأجنبى الذى كان يتفاوض مع مجدى بخصوص البرديات والذى عرفه على نفسه على أنه توم أليكس.. عالم في المصريات، وطلب منه أن يدله على البرديات إلا أن جاسر تظاهر بعدم المعرفة فهدده إيزاك، فى الوقت الذى كان فيه رجال إيزاك يبحثون عن البرديات فى شقة جاسر إلا أنه كان قد أخفى البرديات بشكل جيد لذلك لم يعثروا على شئ .

يذهب إيزاك لمقابلة فايزة زوجة مجدى ليعطيها المبلغ الذى طلبته مقابل البرديات إلا أنها تماطل فى إعطائه تلك البرديات، فى الوقت الذى يراقبهم فيها ذلك الغريب دون أن يشعر ذاك بذلك، وفى اليوم المتفق عليه يغادر إيزاك الفندق الذى يقيم فيه حاملًا معه المبلغ المتفق عليه ليحصل على البرديات من فايزة إلا أنه يستقل سيارة أجرة تأخذه لمنطقة نائية ويفقده السائق الوعى ليسلمه لذلك الغريب الذى يتضح فيما بعد أنه مجدى الذى يظن الجميع أنه صاحب الجثة الغامضة، والذى تشوه جسده تمامًا بطريقة بشعة، حيث يقوم مجدى بتعذيب إيزاك الذى خدعه للحصول على البرديات والتابوت دون أن يدفع له المبالغ المتفق عليها، وذلك للإنتقام منه ثم قتله بعد تعذيبه والحصول على المال الذى كان بحوزته .

فى تلك الأثناء يذهب جاسر لملاقاة الشيخ إلهامى والذى كان يحتضر وذلك عن طريق الحاج مراد، حيث يخبره الشيخ إلهامى عن حقيقة تلك اللعنة التى أصابت جده من قبل وكيف تخلص منها بدفنه للبرديات فى تلك المقبرة المجهولة التى دله عليها ذلك الكائن الغريب منذ سنوات، وأخبره أيضًا بتلك البردية الملعونة التى أعطاها له الشيخ حسن قبل وفاته ليساعده فى فك رموزها ولكنه رفض واحتفظ بتلك البردية، والتى أعطاها لجاسر ليضعها مع باقى البرديات فى المكان المنير الذى سيدله عليه ذلك الكائن لكى يتخلص من تلك اللعنة بعد حصوله على باقى البرديات .



بعد عودة جاسر لبيته أخفى البردية الثالثة مع الأخرتين، ولكنه فوجئ بالقبض عليه بعدها بتهمة قتل إيزاك، إلا أن الحاج مراد والذى كان رجاله يراقبون جاسر شهد أن جاسر كان متواجداً فى القرية أثناء وقوع الجريمة مما جعلهم يطلقون سراحه بعدها، ولكنه يحاول الذهاب لملاقاة فايزة زوجة مجدى لمعرفة مكان باقى البرديات، إلا أنه يفاجئ بقيام أحدهم بخطفه وتعذيبه لمعرفة مكان باقى البرديات حتى وصل الأمر لبتر إصبعه، إلا أن الحاج مراد ورجاله يقومون بإنقاذ جاسر وإسعافه والقبض على ذلك الرجل الذى تبين أنه مجدى،

فقام جاسر بتعذيبه محاولا إستخراج معلومات منه عن مكان البرديات، وذلك بعد أن إكتشف أن مجدى قد تشوه لأنه حاول هو وإبراهيم الذى إستأجره لحراسة البرديات والمومياء فى ذلك المكان المهجور، فك طلاسم البرديات بعد أن علم أنها تساوى ثروة هائلة، إلا أنه فوجئ بتلك اللعنة التى قتلت إبراهيم بشكل بشع، وجعلت منه مسخ مشوه، فقرر أن يختفى مع البرديات والمومياء ووضع جثة إبراهيم فى بيته ليظن الجميع أنه هو خاصة والجثة مشوهة تماماً، ثم ساوم الأجانب عن طريق زوجته لبيع البرديات والمومياء والذين كانوا ينوون الغدر بزوجته والحصول عليهم دون مقابل، لذا قام بقتل إيزاك بعد أن عرف منه كل شئ بما فى ذلك ما كان يعرفه إيزاك عن جاسر، حيث علم منه أنه لديه باقى البرديات .

حاول جاسر معرفة مكان زوجته والبرديات منه إلا أنه رفض بشدة أن يخبره بالرغم من التعذيب الشديد لذلك لجأ لحيلة عن طريق هاتف مجدى عرف بها مكان فايزة، فتوجه إليها وحصل منها على البرديتين المتبقيتين .

وعندما عاد جاسر شرح كل شئ لراشد صديقه الضابط، بعد أن سلمه برديات قديمة حصل عليها من الشيخ إلهامى على أنها البرديات المختفية



من المقبرة، ولكنه لم يخبره ببعض الأشياء حتى يتمكن من إتمام مهمته التى لن يصدقه فيها أحد .

قام جاسر بالتوجه للمكان المنير الذى دله عليه بدزميران حارس البرديات، والذى كان عبارة عن مقبرة الكاهن « تب رع» والد خاى الذى توجه لمقبرة أبيه التى لا يعلم عنها أحد، عند إحساسه بدنو أجله ليموت بجواره .

دخل جاسر المقبرة بعد أن نفذ ما أمره به بدزميران ليضع البرديات الخمس بجوار باقى البرديات ولينهى تلك اللعنة إلى الأبد، ولكنه يجد جثة بجوار مومياء الكاهن يشعر بحنين بينه وبينها ليدرك أنها جثة خاى ذلك الذى كان يتلبس روحه عندما إنتقل به بدزميران عبر الزمن لمعرفة سر البرديات .

وفى مخزن الأدلة بمديرية الأمن يجلس اثنان من العساكر المكلفين بحراسة الأدلة يتحدثان فى تلك الظواهر الغريبة التى تحدث فى مخزن الأدلة منذ وصول تلك البرديات، ولم ينتبها إلى ذلك المخلوق الغريب الذى يجلس أعلى الرف الموجود به حقيبة البرديات..



جميع الاماكن الموجودة والأعمال الفنية والسياحية والحقائق العلمية والمنظمات الدينية المذكورة

والمواقف التاريخية والفرعونية وبعض الاشخاص فى هذة الروايه

حقيقية





(1)

من قلب الليل يبزغ الفجر..ومن قلب الظلم تأتى الرحمة..ومن قلب التاريخ يولد الحاضر..ومن تلك الأرض الطيبة ستنمو تلك النبتة الطيبة التى ستطهر أرض طيبة..وسيفيض النيل ليلفظ كل ما ألم به من وهن وضعف.. وستشرق شمس الدنيا من هنا لتتخلص من ذلك الظلام الذى حل بأرضنا الطيبة..فهنا ولد النور..وهنا سيفنى الظلام..



الثالث عشر من أكتوبر عام 1992 بمدينة أرداتوف فى مقاطعة موردوفيا بروسيا

لم يزل ذلك الثلج الهش المتساقط من السماء يواصل سقوطه مما جعل درجة الحرارةأقل من عشر درجات تحت الصفر ،وبينما كان الجميع يلزم بيته فى ذلك الطقس القاتل، كان هناك رجلان ينتظران عند المسرح القديم ،أحدهما سيرجى والذى يكاد يتجمد من شدة البرد وهو يحاول أن يقترب أكثر من النيران المشتعلة فى أحد البراميل الفارغة ليتدفأ بها، وهو يلعن ذلك الجو القارص الذى يكاد يجمد أنفاسه، بينما وقف الآخر ينظر فى ساعته وهو يلتفت يمينًا ويسارًا وقد حانت منه التفاتةإلى سيرجى الذى يكاد يجلس داخل البرميل من شدة البرد، مما جعله يتمتم فى برود :

- سيرجى.. لا يجب أن نترك هذا البرميل مشتعلا، وإلا لقينا ما لا يرضينا من ديمترى ..بالله عليك هيا إطفئ هذه النيران وتعال معى نطوف مرة أخيرة حول المسرح.

- بوتشين ...إنى أكاد أتجمد يا رجل، كيف لى أن أترك هذه النيران وأطوف معك حول ذلك المكان السخيف للمرة العاشرة فى هذا الجو القارص..فلتهدأ يا رجل، لن يحدث شئ، لماذا كل هذا الخوف وكأننا نحرس رجال من المافيا..؟!، لا تقلق فلن يحدث شئ .

- أنت بالفعل أبله يا سيرجى ،إن من بداخل هذا المسرح أخطر بكثير من المافيا الروسية وإن كنت أعتقد أن أغلبهم ينتمى إليها أيضًا، أما إعتقادك بأنه لن يحدث شئ فيبدو أنك لا تعلم شيئًا مما يدور حولك أيها الساذج ،ألا تعلم أن هؤلاء الأشخاص يقعون على رأس قائمة إهتمامات المخابرات الروسية والشرطة وكل من له أية صلة بالأمن القومى..على الأقل هم



يأخذون احتياطاتهم جيدًا عند القبض على أعضاء المافيا، أما من فى الداخل فلا مجال للحديث عن القبض عليهم أو حتى تحويلهم للمحاكمة، فالقاعدة مع هؤلاء هى القتل فورًا ألا تعلم أن تلك التعليمات التى....

قطع حديثه فجأة عندما توقفت سيارة سوداء ليهبط منها حارس ضخم من المقعد الأمامى ليفتح الباب الخلفى لأحد الشخصيات الهامة، والذى نزل منها سريعًا ليدلف إلى داخل المسرح المغلق..

وقبل أن يدلف إلى الداخل خرج أحد الأشخاص ليبحث عن بوتشين، وما إن وجده حتى نهره بسبب تلك النيران المشتعلة، وشدد عليه أن ينتبهوا جيدًا لأن الاجتماع على وشك أن يبدأ، ولا ينقصهم إلا أحد الشخصيات، ونبه عليه أن يكثف الرقابة أكثر وأن يظل على إتصال دائم بباقى الرجال المنتشرين حول المسرح، وطلب منه تحذيره فور شعوره بأية تحركات غير عادية أو دخول أية سيارات غريبة إلى تلك المنطقة التى تحيط بالمسرح.

خرج بوتشين ليصب جام غضبه على رفيقه سيرجى الذى لا زال جالسًا بجوار ذلك البرميل اللعين، ويصيح فيه بصوت مكتوم:

- أخبرتك أيها الغبى أن تطفئ تلك النيران حتى لا نسمع سويًا مالا يرضينا، هيا إطفئها ورافق انطونيو مرة أخيرة حول المسرح، إلى أن يأتى ذلك الغبي الآخر الذى ينتظرونه.

وأنهى كلامه وهو يتصل بجهازه اللاسلكى بباقى الحراس فى الشوارع الجانبية، الذين أكدوا له أن كل شئ على ما يرام، وبينما كان سيرجى يطفئ النيران، كان رفيقه ينظر إلى ساعته داعيًا الله أن تنتهى تلك الأمسية على خير.

****

أما فى داخل المسرح فقد كان هناك طاولة كبيرة إحتلت منتصف تلك المنصةالعالية وقد تراص حولها خمس كراسي وعلى الحائط الذى يعلو المنصة



وضعت صورة كبيرة للمارشال ايفان جورجى والذى شارك فى انتصارات الاتحاد السوفيتى السابق فى الحرب العالمية الثانية والذى يعتبر من أشد المؤيدين السريين لتلك الجماعة .

وحول تلك الطاولة التى تعتلى المنصة جلس ذلك العجوز زعيم الجماعة ميخائيل أنطونوف وبجواره اثنين من المساعدين بينما كانت هناك على أقصي اليمين امرأه حبلى مقيدة من رجليها ويديها على كرسي جلدى، وقد بح صوتها من شدة الصراخ، بينما أسفل المنصة أصطف حوالى خمسة عشر مقعدًا شغلت جميعها..وأمامهم كانت هناك منضدة كتلك التى تستخدم فى غرف العمليات الجراحية وقد تراصت بجوارها أدوات طبية مما تستخدم فى الجراحة، وقد وقف على أهبة الاستعداد الطبيب إيفان كونيف وهو ينظر إلى الباب الخارجى فى انتظار طبيب التخدير..

كان ميخائيل على وشك أن يبدأ المراسم، لكن إشارة من الطبيب إيفان جعلته يتريث مرة أخرى، بينما استمر صراخ تلك المرأة فى شكل مرعب، مما جعل الضيوف ينكمشون فى مقاعدهم أكثر خاصة وهى تصرخ فى الجميع قائلة :

- اللعنة عليكم لماذا أنا مقيدة هكذا ..؟! ،أشعر وكأنى أموت وجنينى أيضًا يموت.. لم أعد أستطع تحمل هذا العذاب.. اللعنة عليكم جميعًا .

اقترب إيفان منها محاولًا تهدئتها، بينما شرع ميخائيل فى إلقاء كلمته ليحاول تهدئة طائفته السرية، حيث هتف بهم قائلًا فى برود اكتسبه من ذلك الجو القارص وبصوت هادىء :

- أصدقائي وأبنائي الحضور، أود أن أشكركم جميعًا على تحملكم ذلك الطقس السىء والحضور اليوم لتشهدوا أهم حدث لأبناء جماعتنا.. ألا وهو ميلاد الابن المنتظر ..ابننا منذ آلاف السنين، مُخلّص العالم..

إن جماعتنا الدينية يا أبنائي منذ نشأتها على أيدى الأب راسبوتين المعظم،



وهى لازالت تلاقي أشد حالات الإنكار والاتهامات والظلم، لدرجة أن من يشتبه به فقط أنه خاليستى الطائفة يتم قتله فورًا تبعًا لسياسة المخابرات الروسية.. أيوجد ظلم أكثر من ذلك..؟!

إنهم لا يعلمون أننا من سيحكم العالم ..سنحكمه كما أراد المعظم راسبوتين ..سنجعلهم يذرفون الدماء بدلًا من الدموع مقابل كل سنوات القهر والظلم والقتل التى عاشوا فيها فسادًا خلال العقود الماضية ..

لقد حانت أخيرًا لحظة ميلاد الحقيقة يا أبنائي، لحظه ميلاد نبي الشيطان الذى سيأتى إلى هذا العالم ويحكمه لقرون عديدة، بعد أن يبلغ عامه الحادى والعشرين فى مثل هذا اليوم ..هذا النبى سيظهر من رحم تلك الأم المقدسة العذراء أولجا ليكون أخيرًا ميلاد ابن الشيطان الأعظم فى هذا اليوم المقدس، فى الثالث عشر من اكتوبر، إنه ذات اليوم المقدس الذى ولد فيه معلمنا ومرشدنا راسبوتين، ليملك قوة الشيطان الخارقة من أبيه ومن قداسة أمه العذراء أولجا.

وأذكركم أنه فى مثل هذا اليوم بعد إحدى وعشرين عامًا ستتم معمودية مرشدنا الروحى القادم والذى سيتم على يديه إعادة مجد معلمنا الأوحد راسبوتين..

انتبهت أولجا مرة أخرى عندما سمعت اسمها على لسان ميخائيل، ولكن صوتها هذه المرة لم يكن صراخًا ولكنه تحول إلى صوت رجل أجش،وبدأت تهذى بلغة غريبة قائلة بصوت غاضب :

- ديهوريا ديهارد كنيان يكينون..انيوخ شنشون..ديهوريا

ثم ما لبثت أن تحول هتافها إلى ضحكات عالية، مما أثار الرعب فى الحضور، بينما انبرى الزعيم فى الشرح والتوضيح سريعًا:

- هذه بعض كلمات اللغة السريانية مما يؤكد أننا على حق..

والتفت هامسًا فى حنق للشخص الذى بجواره :



- أين طبيب التخدير الملعون ..؟!، علينا أن نبدأ فى إجراء العملية حالًا .

لم يكد يكمل جملته حتى دخل شخص مبتل إلى المسرح وهو يعتذر بشدة على تأخره بسبب سوء الطقس وتعطل سيارته مما إضطره إلى أن يقطع المسافة إلى المسرح مهرولًا على الأقدام.. فأشار إليه ميخائيل أن يتقدم سريعا ليقوم بمهمته فى تخدير المرأة المقيدة .

وما هى إلا دقائق حتى قام عدة رجال بحمل المرأة رغم صراخها بتلك اللغة الغريبة، وتقييدها على طاولة العمليات الجراحية، تمهيدًا لشق بطنها وتوليدها.. وبدأ طبيب التخدير فى عمله فقام بتجهيز حقنة المخدر بينما تسلطت الأضواء على طاولة العمليات، ليشاهد الحضور عملية ميلادالابن المنتظر .

أو .... نبى الشيطان ....

****

أما فى الخارج فقد انطفأت النيران، حيث وقف سيرجى الذى يبدو أنه قد نسي برودته فى ظل ذلك التوتر الذى خيم على المكان يتطلع حوله، فحانت منه التفاتة إلى بوتشين الذى كان موليًا ظهره يتطلع على أحد الشوارع المحيطة، إلا أنه لمح من بعيد ضوءًا يأتى متقطعًا، ويبدو كأنه إشارة من شخص ما.. فاستل مسدسه من جيبه سريعًا، حيث كان يحمل مسدسًا من طراز كولت مزود بكاتم للصوت، وسط دهشة بوتشين الذى سحب مسدسه هو الآخر بشكل تلقائى، وهو ينظر إلى سيرجى بتوتر وهو يتمتم بهمس كالفحيح:

- سيرجى ما الذى حدث ... ؟!، هل رأيت شيئًا فى ال ......

ولكن سيرجى لم يمهله بل أرداه قتيلًا بطلقة واحدة فى منتصف جبهته قائلًا بسخرية :

- لست سيرجى أيها المغفل، أنا ادورارد من الكى جى بي.. وأخرج



مصباح ضوئي صغير ليشير به مرتين بضوء متقطع إلى حيث مصدر الضوء الأول ،وما هى إلا لحظات حتى كان المكان كله محاط بعدة عربات مصفحة من الأمن الروسي والمخابرات، بعد أن تم التخلص من كافة العناصر التى كانت تحرس الطرق المؤدية للمسرح، ولم تمض ثلاث دقائق حتى بدأت الحرب فعليًا..

تعاملت الشرطة الروسية بأسلحة ثقيلة لاقتحام المكان، وكان إطلاق الرصاص العشوائي فى كل مكان داخل القاعة التى أظلمت تمامًا وساد فيها الهرج، فقد كان الحراس يتبادلون إطلاق النيران مع الشرطة بشكل كثيف، مما أعطى الفرصة لإيفان بالاقتراب من المنصة، حيث كان ميخائيل يحتضر بعد أن أصابته رصاصة قاتلة فحاول الطبيب فى يأس إيقاف نزيف العجوز الذى قبض على ياقة إيفان وهو يجذبه إليه بشدة قائلًا:

- الطائفة يا إيفان..حافظ على ما تبقي منها واستكمل الطقوس..بحق الشيطان أخبرنى بمن بقى حيًا.؟

تطلع إليه إيفان فى أسف قائلًا :

- للأسف يا سيدى لم يتبق أحد حيًا، المكان ملىء بالجثث ولا زالت الشرطة تتبادل إطلاق النيران مع الحراس.. حتى أنا لا أعرف إذا ما كنت سأنجو أم سأقضى نحبى هنا، لقد خُدعنا يا سيدى يبدو أن أحدهم تتبع ذلك الطبيب الغبي لقد..

قاطعه ميخائيل فى إعياء شديد وهو يهمس بصوت سمعه إيفان بصعوبة وسط أصوات الرصاص :

- وأولجا.. هل أصابها مكروه..؟

نظر إليه إيفان فى حسرة بعد أن حانت منه التفاتة إلى حيث ترقد أولجا وقد تفجر رأسها فى مشهد مرعب، قائلًا فى حزن:



- لقد ماتت يا سيدى.. لقد انهارت الجماعة .

جحظت عينا ميخائيل فى رعب وأرخى يده المتعلقة بإيفان الذى كان عليه أن يهرب سريعًا من المكان حيث لم يتبقي إلا القليل من الحرس الذين لا زالوا يتبادلون إطلاق النيران مع الشرطة ..

كان يعرف أن هناك أحد الأبواب الجانبية والتى بإمكانه الهروب منها، وحانت منه التفاتة مره أخرى إلى جثة أولجا.. فاقترب منها آسفًا.. وفجأة خطرت له فكرة عجيبة ...

****



فى منتصف يوليو 2011 فى العاصمة الإنجليزية

كان جيمس إدوراد يجلس أمام أنتونى شافال الذى استشاط غضبًا وهو يقلب نظره في تلك البردية وصور التابوت الذى تم اكتشافه بداخل تلك المقبرة،والتي حفظت بحرص داخل مغلف من البلاستيك الشفاف، ثم يلقيها داخل حقيبة جلدية، صارخًا في جيمس :.

– ما أنت إلا فقاعة هراء يا جيمس ... فقاعة هراء ...كيف تفسر هذا الفشل الذريع..

انكمش جيمس أكثر في مقعده وحاول أن يتماسك محاولًا تهدئته ولكن كلماته خرجت متحشرجة رغمًا عنه :

– سيد أنتونى أنا لم أقترف خطأ، فالمقبرة التي وجدناها هي لذلك الكاهن المجهول وقد نقلنا محتويات المقبرة بالكامل لمكان سرى بالقاهرة تمهيدًا لسفرها .

قاطعه أنتونى وقد نفد صبره :

– أى غباء تتفوه به يا جيمس ..؟هناك آلاف من التوابيت التى لازالت مدفونة فى مختلف أنحاء مصر ..إننا نبحث عن تلك المقبرة منذ أكثر من خمس سنوات من أجل الحصول على ذلك الكتاب وأنا لازلت أتحمل فشلك مرة بعد أخرى.. وهذه المرة بدلًا من أن تعثر لى على تلك البرديات، والتي تشكل كتاب تحوت تعثر على جميع محتويات المقبرة، بما فيها هذه البردية الملعونة ومومياء الكاهن الذى يبدو أنه كان من الكهنة المتصلين بالجن حتى تصيبنا تلك اللعنة.. كل تلك السنوات وأنا أتحمل نتائج مغامراتك الفاشلة مقابل مومياء لكاهن من كهنة الجن.. ؟! كل هذه النفقات ثمنًا لفشلك أيها الغبي..؟



- سيدى لا أظن أنك تؤمن بهذه الخزعبلات.. فأنا أؤكد لك أن هذه هي كل محتويات المقبرة، وأنه لا وجود لمثل هذا الكتاب، وأن قصة اللعنة هذه لا مكان لها من الصحة.. فما الذى جعلكتعتبرهذه المقبرة لكاهن من كهنة الجن ..سيدى لا وجود للجن و....

قاطعه أنتونى بإشارة من يده وهو يتناول سيجار من على مكتبه ويشعله وقد جلس على كرسيه أمام جيمس لأول مرة منذ بداية اللقاء وتحدث بهدوء وهو ينفث دخان سيجارته بكل برود :

- اسمعنى جيدًا أيها الأحمق وتعلم،تقول البردية الملعونة في بدايتها:

(من قلب الليل يبزغ الفجر..ومن قلب الظلم تأتى الرحمة..ومن قلب التاريخ يولد الحاضر..ومن تلك الأرض الطيبة ستنمو تلك النبتة الطيبة التى ستطهر أرض طيبة..وسيفيض النيل ليلفظ كل ما ألم به من وهن وضعف..وستشرق شمس الدنيا من هنا لتتخلص من ذلك الظلام الذى حل بأرضنا الطيبة..فهنا ولد النور..وهنا سيفنى الظلام..) .

ثم تنقلب البردية الى طقوس كلها لعنة ولا داعى لذكرها الآن.. ولا تظن أنه بكونك من علماء المصريات أنك تستطيع مجادلتى .

لقد أضعت سنوات عمرى فى البحث عن الآثار المصرية والتعرف على الكهنة وأساليبهم وأفكارهم وتقدمهم العلمى فى كافة المجالات، حتى وقعت فى يدى بردية تشير فعلًا إلى حقيقة وجود كتاب تحوت.. والذى احتفظ به كاهن من كهنة المعبد المقدس ممن كانوا علياتصال بالجن، بعد أن عهد إليه ابن رمسيس الثانى مرنبتاح ليحرق الكتاب بعد أن تأكد من خطورته فى السحر والشعوذة فاحتفظ به لنفسه، ليوصي بدفنه معه عند موته.

- ولكن يا سيدى كل هذا مجرد خرافات وأساطير قديمة فلا وجود



لكهنة كانوا متصلين بالجان حتى كتاب تحوت هذا فقداختلف العلماء في فرضية وجوده وإن كان يظهر من وقت لآخر بعض الدجالين الذين يدعون معرفتهم واطلاعهم على الكتاب .

تناول أنتونى نفسًا آخر من السيجار قائلًا :

- اسمعنى جيدًا أيها الغبي ولا تقاطعنى.. فبحكم خبرتك كعالم آثار تعلم الفارق بين كاهن المعبد وكاهن المعبد الجنائزى وكاهن المقابر فلكل كاهن اختصاصه ومن بين هؤلاء الكهنة من كان مختص بعالم اللامرئيات وهو ما كان يعتبر همزة الوصل، وليس معنى هذا أن كل من كان متصل بعالم الجن من الكهنة كان قديرًا فى معاملته معهم، فقد كان منهم القوى والحاكم على تلك العشائر ومنهم من كان ضعيفًا يسيطر عليه ذلك المخلوق ومنهم من كان على صلة بين العالمين، وتلك الطائفة من الكهنة كانوا يعدون أقوى كهنة فى الدولة المصرية القديمة ..

توقف فجأة عن الحديث ليطفأ سيجارته ويشعل أخرى وهو يستدرك :

- أما الجن فقد كان منهممن كان يتسم بالملامح الإيمانية العالية، ومنهم من كان شديد الكفر وشديدالعنف، فكان اتصال الكهنة مع تلك الطائفة من الجن يستلزم منهم أوقاتًا طويلة جدًّا حتى يتم الاتصال بينهم، وتلك الطائفة هى نوع من أنواع الجن الراقى الذى كان يتسم بالقوة والتقدم الفنى والحضارى القوى، ولا يتصل بها إلا من وصل لدرجة عالية من الإيمان والزهد ..

وقد كان اتصال الكهنة بالجن لحماية توابيت الفراعنة وآثارهم لذلك كان لابد من إجراء طقوس معينة لفتح المقابر واستخراج كنوزها ومعرفة أسرارها، وهو ما حدث معك عند فتح تلك المقبرة وليس معنى هذا أنه بتلك الطقوس التي اتبعتموها في فتح المقبرة أنكم قد أمنتم شرها وغضب



مـن يحرسـها مـن الجـان، بـل قـد تكونـون فتحتـم بـاب لعنـة لا أحـد يعـرف متـى وكيـف سـتنتهى، وهـو مـا حذرتـك منـه منـذ البدايـة ولكنـك لم تسـتمع إلىّ،والدليـل عـلى ذلـك مـوت اثنـين مـن مسـاعديك بتلـك الطريقـة البشـعة ..

تمتم جيمس مجادلًا :

– سـيدى ... أنـا أعـرف كل مـا قلتـه بالفعل،ولكنـى غـير مقتنـع بتلـك الخرافـات، فمـوت مسـاعدىّ كان حـادث عـرضى، ولا أعتقـد أنـك تظـن أن صاحـب تلـك المومياء كان متصـل بالجـن وأنـه قـادر عـلى حمايتهـا.

– استمع إلى جيدًا يا جيمس فـلا أعرف كيـف درسـت علـم المصريـات دون أن تـدرك أهميـة الـدور الـذى لعبـه السـحر في الحيـاة الآخـرة عنـد المصريـين القدمـاء ...

قاطعه جيمس وهو يهتف قائلًا :

– حتـى إذا سـلمنا بـما تقـول، فهـا هـي البرديـة الملعونـة التي كنـت تبحـث عنهـا، والتـي وجدناهـا بداخـل التابـوت، والتـي لم تكـن تحتـوى سـوى عـلى بعـض التعاويـذ واللعنـات والويـلات لمـن يقـترب مـن مومياء ذلـك الكاهـن .

تنهد أنتونى في نفاذ صبر قائلًا :

– وهـذه البرديـة الملعونـة التـي جلبتهـا سـتجلب علينـا شرورًا كثـيرة لا علاقـة لى بهـا، مـا يهمنـى هـو إحضـار مـا اتفقنـا عليـه، وهـو تلـك المجموعـة مـن برديـات تحـوت، والتـى أشـارت إليهـا تلـك البرديـة، والتـي وضعـت في مقـبرة ذلـك الكاهـن، حيـث ذكـر فى تلـك البرديـة(ولا تمسـوا بسـوء مـا دون هنـا بكلـمات مـن فـم الآلهـة).. وهـذا هـو مـا أنفقـت مـالى مـن أجلـه أيهـا المأفـون، وليـس ذلـك التابـوت ولا تلـك البرديـة الملعونـة .

توقـف أنتونـى فجـأة عـن الـكلام بشـكل يوحـى أنـه تذكـر شـيئًا مـا فجـأة، ممـا جعلـه يسـتدرك:

– هل أنت متأكد أنك بحثت جيدًا فى المقبرة .؟



- نعم يا سيدى، فقد قمت بنقل جميع الصناديق والجرات ولم يكن هناك أى أثر لأى شئ آخر.

- فأين ذهبت تلك البرديات أيها الغبي ..؟

- فلتهدأ يا سيد أنتونى.. أعتقد أن هناك فى الأمر خطأ ما .

صاح أنتونى بغضب :

- خطأ ما ...!! ، جيمس.. أغرب عن وجهى وخذ تلك البردية الملعونة معك.. لكن نصيحة أخيرة أعد تلك البردية إلى مكانها، وابتعد عن ذلك التابوت الملعون .

قام جيمس ليضع ورقة البردى المغلفة التى عثر عليها فى ذلك التابوت داخل حقيبته وقد ابتسم بسخرية وهو يلقى نظرة أخيرة على أنتونى الذى وقف يتطلع في شرود من نافذة مكتبه وقد هم جيمس بالانصراف حين استوقفه أنتونى الذى وقف لينفث دخان سيجارته فى شرود :

- جيمس... أين ذهب ذلك الشيخ الذى قام بفتح المقبرة ..؟

- أعتقد أنه عاد لقريته بعد أن اختفى بعد فتح المقبرة هو ومساعده .

- عد إلى مصر وابحث عنه فربما يكون لديه الإجابة عما نريد ..

انصرف جيمس وقد ترك أنتونى الذى عاد لشروده وحيرته متمتمًا في حنق:

- اللعنة على تحوت وكتاب تحوت.. كيف أصبحت أسيرًا لهذا الكتاب.. فليرحمنى إله السماوات ..

غادر جيمس مكتب أنتونى.. واستقل سيارته في طريقه لمنزله وهو يحدث نفسه:

- تبصا لهذا العجوز الخرف.. خمس سنوات وقد أصابنى بالجنون بحديثه المستمر عن الجن والأرواح الفرعونية والأساطير التى لا يروجها إلا



الجهلة..خمس سنوات وأنا أجوب الصحراء القاحلة من أجل البحث عما يريده ذلك المأفون وهو منعم فى مكتبه المكيف..خمس سنوات وأنا أعانى من الأساليب المصرية البدائية المتخلفة فى التنقيب.. سئمت من عجرفته وأوامره التي لا تنتهى.. ولكنى أنتظر فقط حتى أصل إلى هذا الكتاب الذى يحوى أسرار السحر الأسود والذى سوف يغير كل شيء، سأملك كل شيء بامتلاكى لهذا الكتاب، والذى يظن ذلك العجوز المأفون أننى لا أؤمن به، ولكن أين ذهبت البرديات ..؟، أى يد امتدت إليها قبلى.. سأجن بالتأكيد.

ضحك بسخرية مريرة وهو يواصل طريقه لمنزله والذى بدا له ممتدًا إلى ما لا نهاية .

****

وفى الأعلى كان أنتونى شافال لايزال جالسًا على كرسيه دافنًا رأسه بين يديه وهو يشعر بكم الخيبة التى أصيب بها.. كم كان يتمنى أن تكون تلك المقبرة للكاهن المقصود.. فهو كعادة بنى جنسه يريد أن يحقق المكاسب على جميع المستويات، فمن ناحية يريد الحصول على برديات تحوت المقدسة، وها هو يجعل جيمس يلهث وراء تلك البرديات، ومن ناحية أخرى يريد المبلغ المتفق عليه مع أحد تلك الجماعة الغريبة نظير بردية ما موجودة فى مقبرة لأحد الكهنة الاثنين المتبقين، ومن ناحية ثالثة هو ملتزم أمام الجماعات الدينية فى وطنه بالحصول على ذات البردية للوصول إلى حلمهم الأسطورى الذى سيقلب بعض موازين التاريخ الفرعونى.

زفر وهو يتذكر أن عليه القيام باتصال ما، إلا أنه لم يلبث أن تمالك أعصابه هامسًا لنفسه فى حنق:

- اللعنة.. !!!



فتح درج مكتبه وتناول منه قصاصة ورق مطوية بعناية داخل كتاب التلمود الأثرى الذى يضعه بجواره دائمًا..ليتصل بالرقم المدون عليها.. انتظر قليلًا حتى أجاب الطرف الآخر ليبلغه بآخر التطورات ..

كان من الواضح أن هناك من يوبخه فى الهاتف حيث تسارعت ضربات قلبه وهو يحاول أن يعتذر قائلًا:

- أعلم ذلك، لكنه ليس خطأى، لقد أخبرتكم أنه قد تبقى مقبرتان لكاهنين من الأربعة، وكنت أظن أن تلك المقبرة هى للكاهن المقصود.. وعلى الرغم من أن محتويات المقبرة كلها أصبحت فى حوذتى إلا أن البردية التى أتى إليّ بها مساعدى كانت تشير إلى أنها ليست للكاهن المقصود بالمرة.. والمقبرة كاملة ولم يتم سرقة أى شىء منها أؤكد لك..نعم.. نعم.. كل ما أريده منكم مهلة بسيطة، ولا تنسوا أنى من أخبركم بالأمر منذ البداية، وليس هناك أى مجال لخداعكم، فأنتم تريدون شيئًا معينًا، وأنا أريد مقابل أتعابي، ثقوا تمامًا أنه لن يهدأ لى بال حتى نصل سويًّا لتلك المقبرة، ونحصل على تلك المومياء.. اوه آسف لم أقصد.. نعم كل ما أريد هو مهلة بسيطه، ولتكن ستة أشهر وسوف أخبركم بكل جديد.

أغلق الهاتف ونظر من نافذته فى شرود.. كان يعلم أن مهلة الستة أشهر هى مهلة قصيرة جدًّا للبحث عن المطلوب وإحضاره، ولكن ليس أمامه حلٌّ آخر.. كم يتمنى أن يخلف ظنه، وأن ينجح جيمس فى الحصول على البرديات المختفية من تلك المقبرة، ربما كانت معهم تلك البردية التى تشير إلى مكان مومياء ابن الشيطان تلك.. وإلا سيصبح كمن يبحث عن إبره فى كومة منالقش..

تراجع عن النافذة، واقترب من مكتبته ليزيح تلك اللوحةالمعلقة على



الجدار، ليظهر من خلفها خزنته الخاصة، فيضغط علي عدة أزرار لتفتح ثم يتناول منها أوراق مدونة باللغة العبرية، ومعها عدة برديات أصلية قديمة..

أخذها وشرع فى استكمال ما كان يخطه فى كتابه مرة أخرى، داعيًا أن يكون هناك أى أمل فى الوصول إلى ما يطمحون إليه منذ سنوات.. فأمسك القلم بتقديس شديد وقرأ العنوان مرة أخرى بصوت هامس ...

(رحلة ما بعد الموت ... للكاهن سوتى المنسي من الزمن)

****



(2)

يذهب الأشخاص وتُطمس الأحداث.. تولد أساطير وتختفى حقائق.. ليضيع الجميع فى دائرة النسيان، ويبقى الزمن شاهدًا على الحقيقة، تاركًا بصمته على بعض الوريقات والأحجار التى عاشت لتروى جزءًا من الحقيقة والكثير من الأساطير، ليدرك البشر عجزهم أمامه.. ويستسلم له الجبابرة والطغاة ليحنى تلك الرقاب التى علت وتجبرت على قوانين الخليقة، وليعلم الإنسان أنه سائر إلى منتهى، فحكمة الخالق قد قضت أنه ليس لمخلوق خلود ولا بقاء لباطل .



- بعد عدة شهور من تلك الحادثة، وفى قلب عاصمة النور باريس، كان هناك رجلان وامراة من ذوى الملامح الباردة يطوفان داخل أروقة متحف اللوفر.. بينما بدأ المرشد الفرنسي فى الشرح بلغة إنجليزية مشيرًا بيديه إلى القاعة الكبرى فى مدخل اللوفر قائلًا:

- سيداتى سادتى أنتم الآن فى مدخل أهم المتاحف الفنية في العالم،متحف اللوفر العظيم الذى يقع على الضفة الشمالية لنهر السين، والذى يعد أكبر صالة عرض للفن عالميًا، وقد كان المتحف عبارة عن قلعة بناها فيليب أوغست عام 1190 تحاشيًا لأى هجوم على المدينة أثناء فترات غيابه الطويلة في الحملات الصليبية، وأخذت القلعة اسم المكان الذي شُيدت عليه، لتتحول لاحقًا إلى قصر ملكي عرف باسم قصر اللوفر، قطنه ملوك فرنسا وآخرهم الملك لويس الرابع عشر الذي غادره إلى قصر فرساي ليكون مقر الحكم الجديد، تاركًا اللوفر ليكون مقرًا يحوي مجموعة من التحف الملكية والمنحوتات على وجه الخصوص، ويعد اللوفر أكبر متحف وطني في فرنسا، ومن أكثر المتاحف التي يرتادها الزوار في العالم، وقد خضع في عهد الرئيس الفرنسي الراحل فرنسوا ميتيران إلى عمليات إصلاح وتوسعة كبيرة.

والآن فلتتفضلوا إلى الداخل لنكمل جولتنا بالمتحف ..

سار الجمع وراء مسيو جاك لوموندى، بينما كان الرجلان والمرأة يتخلفان عن الجميع بعدة أمتار وهم يتلفتون باحثين عن شخصما فى داخل تلك المكاتب الزجاجية للعاملين بالمتحف، بينما استمر المرشد فى حديثه وهم يدلفون إلى القاعة الداخليةعن طريق هرم زجاجى ضخم، بينما كان الجميع مبهورين بتناسق المعمار، مستكملًا لشرحه قائلًا :

- المتحف مقسم إلى أجزاء عدة حسب نوع الفن وتاريخه، ويبلغ مجموع أطوال قاعاته نحو ثلاثة عشر كيلومتر مربع، وهي تحوي على أكثر



مـن مليـون قطعـة فنيـة سـواء كانـت لوحـة زيتيـة أو تمثالًا،وبالمتحـف مجموعـة رائعـة مـن الآثـار الإغريقيـة والرومانيـة والمصريـة ومـن حضـارة بـلاد الرافديـن العريقةوالتي يبلـغ عددهـا 5664 قطعـة أثريـة، بالإضافـة إلى لوحـات وتماثيـل يرجـع تاريخهـا إلى القـرن الثامـن عـشر الميـلادي.

وإذا سرتـم معـى قليـلًا سـنكون خـلال دقائـق فى أهـم أقسـام المتحـف القاعـة الكـبرى التـي شـيدها كاتريـن دي ميديـشي في القـرن السـابع عـشر، وتحتـوي عـلى العـشرات مـن اللوحـات النـادرة لعباقـرة الرسـامين، تتصدرهـا تحفـة ليونـاردو دافينـشي الموناليـزا الشـهيرة التـي رسـمها عـام 1503م. وأيضًـا مـن روائـع لوحـات القاعـة وجـه فرانسـيس الأول للرسـام تيتـان.

وإلى يمـين القاعـة الكـبرى هنـاك قاعـة ضيقـة يعـرض فيهـا بعـض لوحـات الرسـام الفرنـسي تولـوز لوتريـك الـذي اقـترن اسـمه بلوحـة المـولان روج، وفي قاعـة أخـرى مـن المتحـف،يمكـن مشـاهدة اللوحـة الزيتيـة تتويـج نابليـون الأول للرسـام دافيـد، ويحتـوي المتحـف أيضًـا عـلى تمثـال البيليجـورا، وهـو الـذي اسـتخدم في فيلـم (البيليجـورا شـبح اللوفر)،كـما يحتـوي المتحـف عـلى العديـد مـن الآثـار الـشرق أوسـطية والتـي قـام الأوروبيـون بالاسـتيلاء عليهـا خـلال حملاتهـم الصليبيـة والاسـتعمارية عـلى مـدار القـرون .

فى هـذه اللحظـة رفعـت الفتـاه التـى مـع الرجلـين يدهـا قائلـة فى إنجليزيـة ركيكـة :

– سـيدى.. هـل لنـا أن نـزور الجـزء الـذى يحـوى الآثـار المصريـة، حيـث إننـا مهتمـين بشرحـك هنـاك وذلـك لأننـا نحتـاج إليـه لاسـتكمال بعـض مـن بحوثنـا الميدانيـة عـن بنـاء الأهرامـات، وقـد لا يسـعفنا الوقـت .

– اوه سيدتى.. حسنًا.. فى خلال عشر دقائق فقط سوف نكون هناك .

واستمر موجهًا حديثه لبقية السائحين



استمر الشرح قرابة الخمس عشر دقيقة حتى وصلوا جميعًا إلى صالة واسعة جدًّا تراصت فيها التماثيل الفرعونيه فى ترتيب متناسق، بينما وقف جاك فى رهبة مسترسلًا :

- نحن الآن يا سادة فى القسم الفرعونى والذى يبدأ من هنا فينقسم القسم الخاص بالآثار المصرية إلى تسع عشرة غرفة بمتحف اللوفر والذى تم تدشينه عام 1826 والذى كان فكرة شامبليون والذى عاد إلى فرنسا بمجموعة قيمة من الآثار المصرية. ومن أبرز الآثار المصرية بمتحف اللوفر قناع نفرتيتى الذهبى.. وتمثال الكاتب الجالس.. وتمثال رمسيس لثانى.. وتمثال لإخناتون..وتمثال لأمنحتب.. ويخصص اللوفر صالات مستقلة لمصر الرومانية ومصر القبطية تعرض 800 تحفة وتمثال.

تفرق الجمع لمشاهدة التماثيل الموجودة بينما أخرجت الفتاة صورة من جيب سترتها مشيرة إلى زميلها الذى كان يتطلع إلى أحدهم الجالس داخل مكتبه الزجاجى، وهو يطالع عدة أوراق أمامه، فاقترب منها قائلًا:

- الينا.. إنه ذلك العجوز، لقد عرفته دون النظر إلى صورتك.. كم أتمنى أن أدخل إلى قفصه الزجاجى هذا وأدك عنقه بيدىّ.. كم أكره ذلك الجنس الذى يتسبب دومًا فى الأحداث المأساوية فى الأرض.. أتعلمين أن سِفر الرؤيا يتحدث عن ....

قاطعته الينا فى حدة لا تتناسب مع جمالها الهادئ :

- ليس الآن يا يورى، فلننتظر فقط، ليس لدينا تعليمات إلا بمراقبته والتأكد من وجوده فى عمله كالمعتاد، والوصول إلى منزله وإبلاغ الآخرين، ولا مجال الآن للحديث عن تفاهاتك الدينية تلك، فأنا لا يعنينى جنسه طالما أننا نتوق إلى هدف ما علينا الوصول إليه .



اقترب منهم الرجل الثالث، والذى كان يبدو من شكله وكأنه ملاكم أو مصارع، فقد كان ينظر فقط إلى داخل المكتب وهو يعض على شفتيه متمتمًا وما زالت عيناه معلقتين بالنظر إلى داخل المكتب الزجاجى:

- ألم يحن الوقت لتتحرك أيها العجوز الخرف ..هيا.. هيا.. كم أشتاق لسماع صوت عظامك وهى تتحطم وبيدىّ هاتين ..

التفتت الينا إليهم مرة أخرى قائلة فى صرامة وبصوت خافت :

- يوري.. اليكسي ..هيا لا تتسمرا فى هذا المكان، علينا أن نطوف كالسائحين، ولا تنسيا أننا أتينا بصفتنا سائحين روس مع ذلك الوفد السياحى القادم من روسيا .

ظل الجميع يشاهد الآثار واللوحات والأعمال الفنية حتى بلغت الساعة السادسة مساءً، حيث بدأ العجوز فى وضع أوراقه داخل حقيبته الجلدية منهيًا عمله.. وقد توكأ على عكازه الخشبي مودعًا الجميع فى طريقه إلى خارج المتحف ملقيًا التحية عليهم حتى دلف إلى سيارته، وفى أعقابه انطلقت تلك السيارة التى تقل الروس .

وبداخل سيارة الروس دق جرس الهاتف الخاص بالفتاة، والتي تلتقطه من جيب معطفها وترد عليه لتنتصب فجأة وتتوتر ملامحها، كان من الواضح أن من يحدثها شخص مهم، خاصة وهى تجيب بحزم :

- ولكن يا سيدى لقد كانت الأوامر أن .... حسنًا.. حسنًا.. سنفعل كما تأمر ..

قالتها وهى تنهى المكالمة وقد تبدلت ملامحها لتصبح ساخطة، فقد كانت الخطة هى الوصول إلى منزل ذلك العجوز ومحاولة تهديده للحصول على ما يريدون ثم التخلص منه، إلا أن التعليمات الجديدة كانت تختلف تمامًا



مما جعلها تقطب حاجبيها مستاءة ولكنها حاولت إخفاء ذلك وهى تهتف ببرود فى اليكسى الذى كان يسير فى أعقاب سيارة العجوز:

- يبدو أن أحلامك ستحقق قريبًا جدًّا يا اليكسى، فمكسيم يريد العجوز حالًا فى مكانهم السري .

هتف اليكسى فى تعجب :

- مكانهم السري.. !!، وأين ذلك المكان السرى ..؟!، فقد كنا سنعرفه من العجوز بعد قليل..

- التعليمات واضحة ..إنهم الآن بداخل المكان السري، وقد وصلوا إليه عن طريق أحد غيرنا، ولكنهم لم يحصلوا على مبتغاهم، يبدو أن هناك خزنة لا يستطيعون فتحها، لذلك فالتعليمات الآن هى إحضار ذلك العجوز إلى هناك وفورًا ..

- وهل لديك العنوان الآن..؟

- نعم.. لقد أخبرنى به مكسيم علينا أن نتحرك الآن وبسرعة .

اقتربت السيارة التى تقل الروس كثيرًا من سيارة العجوز، وبينما انشغل يورى فى تجهيز مسدسه، كانت الينا تهمس لنفسها:

- اللعنة.. هم دائمًا هكذا.. لديهم أذرع كثيرة، وكل منا ذراع لخدمة الجماعة فقط، كلهم قد يخونوا بعضهم البعض فى سبيل الجماعة.. لماذا لم يخبرنى مكسيم منذ البداية ..إنه لا زال يتحرك سرًّا وهو كل من يتبعه إلى أين ولكن سنرى ؟!

انتبهت الينا على صوت فرامل السيارة وقد أوقفها اليكسى أمام سيارة العجوز فجأة، ويورى يهبط منها سريعًا وفى أعقابه اليكسي، الذى لم يوجه



كلمة للعجوز وإنما بادره بلكمة قوية فى وجهه جعلت رأسه يسقط على عجلة القيادة وقد فقد الوعى، مما دعى الينا تصرخ فى اليكسى وهى تدفعه :

- اليكسي تبًا لك.. يبدو أنك قتلت الرجل .

لم يجب اليكسى عليها وإنما فتح باب سيارة العجوز ويحمله ليلقى به داخل حقيبة سيارتهم، بينما أخذ يورى حقيبة العجوز.. واستقل الجميع السيارة، وقد جلس اليكسي خلف عجلة القيادة قائلًا فى برود :

- لا تخافى يا عزيزتى، إن هؤلاء اليهود كالقطط، لا تموت إلا بعد أن تستنفد سبعة أرواح كاملة.. يكفى أنكم قد أفسدتم أمسيتى بعدم تعذيب ذلك العجوز لأحصل على المعلومات التى كنتم تريدونها، لذلك ليس كثيرًا علىّ مجرد لكمة صغيرة على وجه ذلك اليهودى عوضًا عن ذلك.. والآن أخبرينى عن العنوان ..

ظل اليكسي يسير قرابة الخمسين دقيقة فى الطريق إلى خارج العاصمة الفرنسية باريس، حتى وصل أخيرًا إلى إحدى قرى الريف الفرنسى الساحرة والقريبة من العاصمة فتوقفت السيارة أمام منزل لا يتعدى الطابقين، وقد أحاط به سور عالٍ مُثبت أعلاه عدة كاميرات للمراقبة ..

اقتربت السيارة من باب المنزل الذى كان مفتوحًا على مصراعيه، والغريب أنهم لم يصادفوا أى شخص فى طريقهم من البوابة الخارجية للمنزل مرورًا بالحديقة وحتى أصبحوا أمام باب المنزل بالفعل، حيث كان فى استقبالهم أمام الباب الداخلى ثلاثة رجال أشداء، عرفتهم الينا على الفور، فقد كانوا من أتباع الجماعة، فطلبت من يورى واليكسي النزول من السيارة وإحضار العجوز للداخل .

هبط اليكسي ليفتح حقيبة السيارة ويحمل العجوز إلى الداخل، حيث اقترب أحدهم من الينا مشيرًا للأعلى قائلًا بلهجة آمرة :

- اتبعونى ...

تبعه الجميع إلى داخل المنزل، وفى الداخل فهمت الينا السبب وراء عدم مقابلتهم لأية أشخاص بالخارج، فقد وجدت بالداخل أربعة جثث ملاقاة على الأرض لأفراد أمن كما بدا من ملابسهم ...

كان المنزل واسعًا يكتظ بكثير من التحف واللوحات العالمية، مما جعله يبدو كمتحف صغير، فكل مقتنياته تدل على الثراء الفاحش.. وعندما صعدوا على الدرج إلى الطابق العلوى كان هناك اثنان آخران أعلى الدرج ومعهم عدة أفراد من الجماعة.. سار الجميع فى ممر طويل حتى وصلوا إلى غرفة واسعة، وداخلها وجدت ذراع زعيم الجماعه اليمنى وأكبر مساعديه مكسيم جوكوف جالسًا على أريكه جلدية كبيرة ومن خلفه كان هناك رجلان مسلحان آخران، وقد تراصت خلفهم مئات الكتب الموجودة بكافة أرجاء الغرفة، مما بدا معه أن تلك الغرفة هى مكتبة ضخمة جدًّا، بينما جلست أمامه سيدة عجوز ترتعد من ذلك الرجل الذى كان يقف خلفها وهو ينظر إليها فى إشمئزاز وهو يلهو بمسدسه المحشو كما لو كان فى انتظار أمر بقتلها..

أشار مكسيم إلى اليكسي ليضع العجوز بجوار السيدة التى ما إن رأته حتى بدأت فى الصراخ :

- ديفي..ديفي..زوجى العزيز..تبًا لكم.. هل قتلتموه يا أبناء الأفاعى.. ديفي ..أجبنى ماذا فعلوا بك..؟

لم يتحرك أحد بينما انبرى مكسيم فى نفث دخان سيجاره الكوبي موجهًا حديثه إلى الينا، التى كانت مندهشة من هذا التطور السريع للأحداث :

- لا تنزعجى يا فتاتى، لقد غيرنا الخطة لسبب ما، والآن فبينى وبين حصولنا على ذلك الكتاب الذى يحوى السر المقدس أقل من متر، فهو



خلفى تمامًا في تلك الخزانة التى تختفى خلف ذلك الجدار..

قالها وهو يشير إلى أحد الرجلين خلفه ليزيحا الجدار، ليبدو من خلفه باب معدنى طوله حوالى مترين وعرض متر لممر يفضى إلى غرفة داخلية أكثر أهمية، وعلى الباب كان هناك لوحة الكترونية رقمية.. وبجوارها عدسة كاميرا صغيرة ..

فهمست الينا قائلة لمكسيم:

- اعتقد أنها ليست خزانة عادية، تلك الخزانة تفتح فقط ببصمة العين ..

ابتسم الرجل فى برود قائلاً :

- بالطبع يا عزيزتى، ولذلك أصررنا على مجئ ذلك الوغد ليفتح لنا تلك الخزانة ..

- وكيف علمت أنه المقصود..؟

نفث الرجل دخان سيجارته وأخذ يراقبه فى برود وهو يتبدد فى الهواء قبل أن يجيب الينا بنفس البرود :

- إن هذا العجوز الذى أمامك هو المسئول عن كافة المخطوطات اليهودية فى أوروبا بأكلمها، لقد تتبعنا سيرته منذ استقراره بباريس من سبع وعشرين عامًا وحتى الآن،وعلمنا أنه المسئول عن ذلك المنزل الذى يحتوى على أصول وصور كل ما يهم العالم اليهودى من أساطير وروايات وحقائق كتبت على مدار آلاف السنوات.. تصورى هذا.. آلاف السنوات يا ألينا.. إن هذا الفأر أمامك يحمى ذلك التاريخ يا عزيزتى، ولذلك أنا على يقين أن بداخل الغرفة ما لا نستطيع حتى تخيله ..

نظرت الينا بشفقه إلى السيده العجوز المرتعده فهمست لمكسيم:



- نحـن لا يهمنـا إلا أن نحصـل عـلى ذلـك الكتـاب الـذى يحمـل الـسر المقـدس يـا سـيدى ولكـن هـل أنـت عـلى يقـين أنـه بالدخـل..

- بالطبـع يـا عزيزتـى الينـا أعلـم ذلـك، وأعلـم أن النسـخة الأصليـة التـى طالما سار اليهـود ورائهـا لتلك الأسـطورة توجد فى الداخـل أيضًـا، ولكنكِ لـن تصدقـى كيـف علمنـا بذلـك، لقـد علمنـا بتلـك الأسرار عـن طريـق رشـوة أحـد العامليـن فى هـذا المكان، وهـو مـن أوصلنـى إليـه، وأوصلنـى أيضًـا إلى أن هـذا الرجـل مع ثلاثـة آخـرون هـم فقـط مـن يملكـون سر الدخـول إلى تلـك الغرفـة.. أمـا الآخـرون فأحدهمـا مريـض والآخـر يـزور أرضهـم المقدسـة، لذلـك لم نجـد سـوى ...

قاطعـه العجـوز عـلى صـوت تأوهـه وهـو يضـع يديـه عـلى رأسـه، متمتمًا بعـدة كلـمات غريبـة، ليفاجـأ بالمشـهد ممـا جعلـه ينظـر إلى إليـزا زوجتـه فى فـزع وهـو ينتقـل بنظراتـه بينهـا وبيـن هـؤلاء الرجـال أمامـه ....

بادرة مكسيم بلغة إنجليزية وهو يطلق ضحكة عالية :

- لقـد أفقـت أخيرًا عزيـزى ديفيد..نحمـد الـرب عـلى سـلامتك..أظـن أنـك الآن تعلـم مـا الـذى نريـده منـك..؟

اقـترب ديفيـد أكثـر مـن اليـزا التـى كانـت تجلـس بجانبـه وقـد انخرطـت فى بـكاء حـاد وقـد تعلقـت بذراعـه ليهتـف بذلـك الروسـى وهـو ينظـر إليـه مباشرة قائـلًا فى إعيـاء :

- يبدو أنى أخمن يا سيدى ما الذى تريده، ولكن كن على ثقة أنى......

قاطعه مكسيم بإشارة من يده قائلًا :

- انتظـر فقـط... لاداعـى لقولـك بعـض الكلـمات التـى قـد تنـدم عليهـا.. دعـك مـن الوطنيـة أو العمـل مـن أجـل رفعـة الجنـس اليهـودى،وغـير ذلـك مـن



الشعارات التى تشبه شعارات النازية يا صديقي، فالنازي قد يكون لديه الحق فى أن يشعر أن جنسه الآرى متميز، ولكن أنتم ..!!، ما أنتم إلا أحقر شعوب الأرض، فلا داعى لرسم صورة البطل الشجاع، فهى لا تليق على يهودى قط، وإلا صدقنى لن يكون عندك حتى وقت للندم مما سأفعله بك...

نظر إلي ديفيد فى تحدّ قائلًا :

- وهل تتخيل أنى سوف أقدم لك رأسي بمنتهى السهولة، وأخون تاريخ اليهود المقدس بإعطاء سره لشخص مثلك لكى يدنسه ويحرفه، بل قد يمحوه من الوجود مثلما حاول هتلر أن يفعل .

- دعنا من تلك الخزعبلات يا عزيزى، فأنا وأنت نعلم جيدًا أن كل ذلك مجرد خرافات، ثم إنى لم أقل لك أن تخون تاريخك، أنا فقط هنا لأحصل على كتاب ما.. ذلك الكتاب الذى يتناول تلك الأسطورة المصرية القديمة .

تساءل ديفيد فى حيرة :

- أى كتاب مصري ذلك الذى تبحث عنه ..؟

- ذلك الكتاب الذى يتحدث عن تلك الأسطورة التى تؤمنون بها، وتسعون بشدة إلى تحقيقها لتحريف التاريخ المصرى كعادتكم منذ القِدم.. فلتسعوا وتحرفوا كما تريدون، ولكن نحن أيضًا لنا مآرب أخرى فى هذا الكتاب، لذلك نحن نريده وسنأخذه .

- لا أعلم عن أى كتاب تتحدث أيها اللص .

قهقهه مكسيم مشيرًا إلى مساعديه قائلًا وهو يوجه كلامه للعجوز :

- دائمًا ما أُعجب بالفظاظة اليهودية، فالفرد منكم يرتعد خوفًا كالفأر المذعور ولكنه يتباهى بالشجاعة ويدعى البطولة، ولكنكم تنسون دائمًا أن



شعور العالم أجمع تعرف جيدًا حقيقتكم عن ظهر قلب، فأنتم شعب جبان رعديد مهما تظاهرتم بالعكس.. إنها لعنتكم الأبدية، والآن أيها العجوز.. ما عليك إلا أن تفتحلك الخزينة بأرقامها السرية وببصمة العين وتعطيني الكتاب .

هتف به ديفيد بغضب :

- تبًا لك، قلت لك لا أدرى عن أى أسطورة تتحدث ..

- يبدو أنك ستتعبنا..

قالها مكسيم وهو يشير إلى أحدمساعديه فأمسك بالمرأة من شعرها ليجذب رأسها للخلف، بينما أمسك آخر العجوز، فى الوقت الذى أشار فيه إلى اليكسي الذى يبدو أنه فهم ما يريد فدنى من المكتب الخشبي ليتناول من عليه تمثال من الرخام لا يتعدى العشرين سنتيمتر، ويقترب من المرأة وهو يبتسم فى تشفٍ واضح، ثم يهوى بكل ما يملك من قوة على ساق المرأة ليسمع صوت تهشم ساقها، أما هى فقد أطلقت صرخة رعب وألم هائلة، وما لبثت أن غابت عن الوعى من شدة الألم، بينما حاول العجوز أن يزيح تلك اليد القوية التى تمسك برأسه بشدة من الخلف لتجبره على مشاهدة زوجته واليكسى يحطم ساقها فى مشهد مرعب ..

تأوه العجوز أكثر وهو ينظر إليى مكسيم متوسلًا الذى بادره قائلًا ببرود :

- صدقنى يا عزيزى ديفيد هذا أقل ما قد تتصوره، إن اليكسي الواقف أمامك الآن ليس لديه أية متعة فى الدنيا أفضل من الاستماع لصوت عظام تتهشم..ولديه خبرة كبيرة فى ذلك، فهو يعشق كسر عظام ضحاياه حتى إذا لم يتبق لديها ما يكسره دق أعناقهم.. إن لديه أسلوبًا



مميزًافى ذلك صدقنى، وها أنت ستجربه حينما تشاهده وهو يتعامل معك ومع حبيبتك اليزا تلك.. اوه.. وبمناسبة الخزانة لا تقلق، فلدى هنا خبير فى فتح الخزائن، أما بخصوص بصمة عينيك يا عزيزى فلا تقلق سنقتلعها وأنت على قيد الحياة..

قالها وهو يشير إلى أحد الرجال بجوار الباب متحدثًا إليه بعدة كلمات روسية ليُحضر أحد الحقائب المغلقه ويفتحها، ليجد ديفيد عشرات من المشارط الطبية وأدوات الجراحة، مما أصابه بالرعب أكثر وخاصة عندما وجد الرجل الروسي يتناول أحد المشارط الطبية، وهو يختار أيهما يصلح لمهمة قلع عينيه.

اقترب الرجل منه وعلى شفتيه ابتسامة صفراء، بينما قيده الروسي الذى خلفه بشدة أكثر، فبدأ العجوز فى الصراخ والآخر يقترب منه، فى الوقت الذى استعادت فيه المرأة وعيها مرة أخرى وعادت للنحيب والصراخ من شدة الألم وهى تنظر إلى ساقها التى كانت تنزف بشدة..

أشار مكسيم إلى صاحب المشرط بالتوقف ونظر مرة أخيرة إلى ديفيد، الذى كان يتحدث بالعبرية إلى زوجته التى كانت تومئ إليه برأسها موافقة، مما زاد من غضبه وخاصة عندما لم يجبه، ولذلك أشار إلى اليكسي الذى هوى بالتمثال مرة أخرى على ساقها الأخرى التى تحطمت فى مشهد مأساوى مرعب وقد برز كسر عظامها من بين الجلد، الأمر الذى أصاب ديفيد بالرعب فظل يصراخ ويتوسل لكى يطلقوا صراحها ويقتلوه هو، فالتفت إليه مكسيم قائلًا:

- ومن قال لك إننا نريد قتلك.. ستستمتع بمقتل زوجتك أولًا كنتيجة لعندك المستمر، وفى آخر الأمر سنقتلع عينيك لفتح الخزانة ثم نتركك.



هتف به ديفيد فى توسل :

- حسنًا حسنًا.. سأفتحها لكم، ولكن دعونا نذهب بعد ذلك .

قهقه الرجل وهو ينظر إلى ديفيد وزوجته التى لم تتوقف عن الصراخ فى جزل قائلًا :

- لا.. لا نريد الآن أى شئ سوى تعذيبكم كالفئران المحبوسة داخل المصيدة..

- سيدى.. أستحلفك بالرب اتركنا وسوف أخبرك بكل ما تريد، ولكن اسعفوا زوجتى قبل أن تموت فهى تنزف بشدة ولديها ما يكفي من أمراض الشيخوخة .

كانت الينا فى تلك اللحظات ترتعد من قسوة المشهد ولكنها حاولت إخفاء ذلك بشدة، فقد كانت تؤمن بالجماعة وتعمل على تنفيذ أوامرها لإحضار المطلوب، ولكن الأمر فاق كل الحدود وتحول المكان إلى غرفة تعذيب بشعة، ولم يكن يورى والذى كان ينظر إليها فى لوم قاتل على وجودهم مع هؤلاء القوم، أقل منها اشمئزازًا مما يحدث..ولكنه الخوف الذى منعهما من إظهار شعورهما أو حتى إيقاف تلك المجزرة .

ظل العجوز يتوسل مما جعل مكسيم يشير إلى أحدهم متحدثًا إليه بعدة كلمات روسية مما جعله يقترب من الهاتف ليطلب الإسعاف، فانفرجت أسارير العجوز وقام مستندًا على الكرسي الجلدى، ليذهب إلى المكتبة ويزيح الرف العلوى ليظهر من خلفها الباب المعدنى، فيقترب منه ضاغطًا على عشرة أرقام يحفظها عن ظهر قلب ليسمع الجميع صوت تكة واضحة، ثم يقترب بعينه اليسرى واضعًا إياها أمام تلك العدسة وهو يضغط على زر أسفلها لينقل البيانات إلى داخل الكمبيوتر المتصل بالخزانة ليسمع الجميع صوت رتاج الباب وهو يفتح .



فُتح الباب ليكشف عن ممر إلى غرفة كبيرة تحتوى على عشرات من الكتب والمخطوطات القديمة التى قلما أن يوجد منها على وجه الأرض إلا فى عدة أماكن قد لا يتجاوز عددها أصبع اليد الواحدة مثل مكتبة الفاتيكان..

دلف مكسيم إلى داخل الغرفة التى كانت تقترب من الخمسة أمتار طولاً وعرضًا، وقد تراصت على الأرفف التى غطت جدران الغرفة كتب ومخطوطات قديمة، منها ما خُط بخط اليد، ومنها نماذج لمخطوطات قديمة تفوح منها تلك الرائحة المميزة وكأنها عبق الزمن الذى يأبى إلا أن يترك آثاره على الأشخاص والأشياء..يذهب الأشخاص وتُطمس الأحداث.. تولد أساطير وتختفى حقائق.. ليضيع الجميع فى دائرة النسيان، ويبقى الزمن شاهدًا على الحقيقة، تاركًا بصمته على بعض الوريقات والأحجار التى عاشت لتروى جزءًا من الحقيقة والكثير من الأساطير، ليدرك البشر عجزهم أمامه.. ويستسلم له الجبابرة والطغاة ليحنى تلك الرقاب التيعلت وتجبرت على قوانين الخليقة،وليعلم الإنسان أنه سائر إلى منتهى، فحكمة الخالق قد قضت أنه ليس لمخلوق خلود ولا بقاء لباطل .

أما الينا فلم تكد تدلف إلى داخل الغرفة حتى أصابها الذهول من كم الكتب والمخطوطات التى تراصت بتقديس شديد.. إلا أنها أفاقت من ذهولها على صوت مكسيم الذى هتف بالعجوز اليهودى :

- يا لها من مكتبة ضخمة أيها اليهودى.. والآن أحضر لنا الكتاب المقدس .

هتف ديفيد لمكسيم فى غضب وهو يشعر بالقهر والعجز وهؤلاء الرعاع يستولون على تاريخ قومه وبنى جلدته ليدنسوه :



- تبًا لك ولكتابك المقدس هذا، إن بداخل هذه المكتبة مئات الكتب المقدسة،والتى لا يوجد منها نسخ أخرى بأى مكان فى العالم، هذه الكتب هى حصيلة آلاف السنوات من تعب واضطهاد وشتت فى شتى بقاع الأرض لشعبنا، حتى تمكنا من الحصول عليها وجمعها بداخل هذه الغرفة .

نظر إليه مكسيم قائلًا فى تهكم وسخرية :

- حصيلة لماذا أيها اليهودى..؟!!،لسرقتكم من مختلف الحضارات، أم من قتل الشعوب وتشريدها والاستيلاء على ثرواتها وتراثها، أيًّا كان أيها اليهودى فأنا لا يهمنى كثيرًا تاريخكم القذر هذا الآن، ما يهمنى الآن هو الحصول على الكتاب الخاص بالكاهن الفرعونى سوتى ..

تطلع إليه العجوز فى فزع وقد أدرك ما يرمى إليه الروسى، وهو يتساءل عن كيفية وصول السر الذى يحمله ذلك الكتاب للروس، فردد فى ذهول :

- سوتى..!!!

- نعم سوتى، هذا الكاهن الذى بنيتم أسطورة على بردياته التى تركها بمقبرته لتثبتوا أن الدم اليهودى قد سرى فى الأسرة الحاكمة لفرعون، وأن من أقام الحضارة الفرعونية هم اليهود و......

- نعم...لقد تذكرت هذا الكاهن الذى كان يعيش فى عصر الأمير «خا ام واس» عندما تم وضعه فى..

قاطعه مكسيم فى نفاذ صبر :

- ليس لدى وقت فى سماع محاضرتك الدينية أو التاريخية أيها اليهودى، هيا أحضر لى الكتاب حتى نغادر ونتركك لتهتم بزوجتك الحبيبة فالإسعاف فى طريقها إلى هنا، هيا وإلا أقسم لك أن.....



قاطعه العجوز اليهودى فى ذعر قائلًا:

- لا.. لا.. لا.. أعطنى دقيقة فقط.

أسرع العجوز إلى أحد الرفوف التى غطت جدران الغرفة ليتناول كتابًا يحتوى على برديات قديمة، موضوعة بعناية داخل غلاف جلدى يحتوى على ما يقارب الخمسين بردية، ويناوله لمكسيم الذى أخذه وتأكد أنه هو الكتاب المطلوب قبل أن يلتفت للعجوز قائلًا فى برود عجيب وكأنه يُحدث نفسه :

- أتعلم أيها العجوز.. كنت دائمًا أريد أن أعرف شعور هولاكو إمبراطور المغول عندما غزا بلاد العراق وقام بإغراق واحدة من أعظم المكتبات التى تحوي تراث العالم وقتها..

نظر إليه العجوز فى ذعر وقد أدرك ما يعنيه فهتف به قائلًا:

- ماذا تعنى بذلك..؟

أجابه مكسيم وكأنه لم يسمعه :

- هل هناك أية نسخ أخرى من هذا الكتاب..؟

- أقسم لك أنه لا يوجد أية نسخ أخرى إلا هذه النسخه الأصلية التى وجدت فى أحد المقابر الفرعونية.

قلّب الروسى فى تلك البرديات التى بين يديه بتقديس وأغمض عينيه وقد علت وجهه علامات الراحة، ثم يشير إلى أحد الرجال الذى تناول البرديات واضعًا إياها فى حقيبة جلدية، بينما انبرى الجميع فى الحديث بالروسية، والينا التى علا صوتها وهى تتحدث فى غضب، دون أن يفهم العجوز شيئًا .

كان من الواضح أنهم يتجادلون بشأنه أو ربما بشأن البرديات، فعندما انتهى الحديث غادرت الينا ويورى الغرفة فى غضب وهى تنظر فى شفقة إلى



اليهودى..فى حين اقترب اليكسي من زوجته اليزا وحملها وسط دهشة ديفيد الذى رآه يقترب منه بداخل الخزانة، بينما وقف مكسيم على باب الخزانة وقد أشعل إحدى سجائره وهو يشير لأحد رجاله ليناوله قنينة خمر كانت موجودة بالغرفة التى تؤدى إلى الخزانة، ليتناول منها القليل قبل أن يعطيها لأحد رجاله الذى يسكبها على الأرض عند مدخل الغرفة وعلى الأرفف ثم يلقيها أرضًا لتتحطم، والعجوز ينظر إليهم فى رعب وهو يحتضن زوجته التى ألقاها اليكسى بجواره فاقدة الوعى والدماء تسيل منها .

كانت الأرضية الخشبية قد تشبعت بذلك الخمر الذى سكبه الرجل، ومكسيم يدخن سيجارته فى هدوء قائلًا لليهودى:

- هل صدقت أيها اليهودى أننا قد نسعف زوجتك.. إن جميع خطوط الهاتف مقطوعة أيها الأبله..

وصمت الروسى قليلاً لينفث دخان سيجاره قائلًا والعجوز يبكى فى تضرع :

- أتدرى يا عزيزى.. أننى الآن أشعر بتلك النشوة.. نشوة هولاكو فى تدمير تلك المكتبة، ونشوة الجستابو وهتلر فى محارق النازية.. اووه كم أنا سعيد الآن..

وأتبع قوله بأن قذف سيجاره على أرضية الغرفة التى اشتعلت على الفور وسط رعب العجوز الذى ارتسمت علامات فزع هائل على عينيه، وهو يقاوم النيران التى انتشرت سريعًا ووصلت إلى الأرفف، وذلك الروسي الذى كان يشعر بنشوة غريبة وهو يرى النيران وهى تمتد لتلتهم كل شىء بالخزانة بما فيها من كتب وخطوطات وأيضًا أجساد العجوزين قبل أن يغلق باب الخزانة خلفه، ليغادر ذلك المنزل الذى تركه بعد أن محى أى أثر للحياة داخله.



كانت الينا فى هذه الأثناء تقف بجوار السيارة التى أحضروا فيها العجوز، وعندماجاء مكسيم ورجاله بعد أن أتم جريمته وقبل أن يدلف إلى سيارته، التفت إليها جاذبًا إياها من ياقة معطفها فى عنف صارخًا:

- الينا.. أقسم لك إن تعديتِ حدودك مرة أخرى فلن يقتلك سواى.. هذه ليست أول مرة تعصين فيها أوامرى وتحاولين الاعتراض على سياستنا، ولولا والدك الراحل وما قدمه من خدمات للجماعة فى السابق لمزقتك إربًا.. أفهمتى..؟

لم تنطق الينا وهى تفلت ياقة معطفها من يد مكسيم بل حاولت أن تتمالك نفسها وتعدل من هندامها قبل أن تلتفت لتنظر بغضب إلى اليكسي، قبل أن تستقل السيارة بجوار يورى الذى انطلق خلف رَكب السيارات التى يستقلها الروس..

****



فى إحدى ليالى شتاء ديسمبر 2013بمدينة نيويورك وعلى قارعة الطريق

كان جيمس إدوراد يهرول بعد أن هبط سريعًا من سيارته وقد انتابه فزع ورعب شديد،وهو يتطلع إلى المخلوق الجالس بالمقعدالخلفى للسيارة، فقد كان هناك شىءأسود اللون مغطى بالشعر،لم يستطع جيمس أن يتبين حقيقة ملامحه..مما جعله يترك السيارة فى منتصف الشارع ليعدو بأقصي سرعةإلى بيته..كانت يداه ترتعشان وهو يفتح الباب الخارجى لمنزله بعد أن أخذ يبحث عن المفتاح الاحتياطى الذى اعتاد أن يضعه تحت دواسة المدخل حتى وجده وهو ينظر خلفه بمنتهى الرعب..

دلف جيمس إلى داخل المنزل وأغلق الباب خلفه ثم دارفى جميع أنحائه ليتأكد من أن كافة النوافذ مغلقة، وقد تناول مسدسه من أحد أدراج مكتبه، وجلس أمام الكمبيوتر الخاص به ليفتح بريده الإلكترونى على عنوان أحدهم مسطرًا عدة كلمات :

(ماتسون.. إنهم حقيقة.. أوقف جميع خطوات البحث.. عليك أن تُتم الصفقة مع المصرى بأى شكل..لعنة الله على أنتونى.. نهايتى تبدو كنهاية زميلك.. لعنة الله على الكتاب وعلى تحوت..فلتصلى من أجلى.. اللعنة..).

توقفت كلماته عند هذا الحد ليضغط زر الإرسال.. وقد شعر فى هذا اللحظة أن هناك كائنًا أسود اللون كان يجلس أعلى المكتبة الخشبية وهو يحدق إليه بعيون بيضاء..

تناول جيمس مسدسه وهو فى قمة الفزع، ولكن بدلًا من أن يوجهه إلى الكائن وجد أن يده لا تشير ناحية الكائن، بل تقترب من رأسه وهو يصرخ ويحاول أن يقاوم يده ولكن..



يدوى انفجار شديد فى رأس جيمس ....

****

بعد عدة أيام يعلم ماتسون فى اتصال هاتفى من أحد أصدقائه أن جيمس قد انتحر فى منزله الخميس الماضي فى نيويورك، على الرغم من أن آخر اتصال بينهم كان يجده على ما يرام،بل حددا أيضًا موعد للقاء فى واشنطن أوائل الشهر القادم، حيث يقيم ماتسون مساعده المخلص..

أغلق ماتسون الهاتف فى ضيق بعد سماعه بهذاالخبر، ولم يسترعِ انتباهه وجود رسالة من جيمس على بريده الإلكترونى إلا بعد عدة أيام أُخرى، حيث كان منشغلًا تمامًا فى تلك الفترة بسبب تواجده بإسطنبول لمقابلة أحد تجار الآثار هناك..

ربما لم يصبه رعب فى حياته إلا بعد قراءته لتلك الرسالة الملعونة، فمعنى رسالة جيمس أن الأمر فعلاً جديًا، وأن اللعنة قد أصابت الجميع بمجرد اشتراكهم فى فتح مقبرة ذلك الكاهن الملعون فى صحراء ميدوم..

قرأ ماتسون الرسالة لأكثر من عشر مرات، وبدأ يحدث نفسه فى فزع أثناء قراءتها قائلًا:

- (ماتسون.. إنهم حقيقة..)، نعم أكاد أقسم أنهم فعلاً حقيقة.. فبالرغم أنى لم أرَ شيئًا،ولكن كل مصائب الدنيا رأيتها فى تلك الرحلة إلى القاهرة منذ شهور..

(أوقف جميع خطوات البحث..)، أى بحث أيها الأخرق.. ألف لعنة على تحوت وما أصابنا منه، هذا ما كنت أحذرك منه منذ البداية.

(عليك أن تتم الصفقة مع المصرى ..)، أى مصري..؟، أتقصد مَن هاتفنا وعرض علينا تسليم التابوت والمومياء بأى شكل وإلا أصابتنا اللعنة..؟، بالتأكيد لن أسلمه مجانًا، فربما أعثر على من يشترى التابوت الملعون هذا



بأى ثمن.. وأدعو الله ألا يكون أحد قد سمع بشىء عن لعنة ذلك التابوت والمومياء.. نعم سأتصل بأحدهم لعرضهم للبيع بأى ثمن .

(لعنة الله على أنتونى.. نهايتى تبدو كنهاية زميلك.. لعنة الله على الكتاب وعلى تحوت..فلتصلِ من أجلى.. اللعنة..) ألف لعنة يا جيمس.. ألف لعنة على أنتونى، وعلى من أقحمنا فى هذا الأمر.. فليرحمك الرب.. يبدو أنك قد رأيت فى لحظاتك الأخيرة ما لم تقوَ على مواجهته، أدعو الرب ألا يكون مصيري كمصيركم..

اللعنة على هذا الكاهن أيًّا كان..يبدو أننى سأتخلص من المومياء والتابوت ولو مجانًا.





(3)

أصعب شىء قد يمر به الإنسان ألا يجد الاهتمام ممن حوله فى تلك اللحظات التى يحتاج فيها إلى من يشاركه سعادته وحزنه.. غضبه.. نجاحه وفشله، تلك اللحظات التى يحتاج فيها لمن يحتضن روحه.. لمن يربت على كتفه ليشعره أنه ليس وحده فى هذا العالم، تلك اللحظات التى يحتاج فيها إلى الشعور باهتمام أقرب الناس إليه، وخاصة ذلك الشخص الذى يستولى على جل اهتمامه ويحتل ذلك الجزء النابض فى صدره .

****



القاهره 2014

جلس جاسر وهو ينظر بغيظ إلى صديقه راشد العسال ضابط المباحث الذى كان يتلذذ برؤية جاسر وهو ينتظره أن ينتهى من فنجان البن الغامق الذى اعتاد أن يشربه يوميًا فى مقهى صديقهم آدم ليبدأ حديثه الذى كان ينتظره جاسر على أحرمن الجمر،وما هى إلا لحظات حتى ركله جاسر فى قدمه ليحثه على الحديث قائلًا بغضب:

- تباً لك يا راشد.. ألا زالت تلك العادة تجرى فى دمائك.. ألن تتغير ابداً.. أقسم لك إذا لم..

قاطعه راشد ضاحكًا :

- لقداشتقت فعلًا إلى تلك النظرة التى فى عينيك.. نظرة الاشتياق إلى المعرفة يا صديقي.. أتذكر آخر مرة رأيت فى عينيك تلك النظرة عندما طلبت منى أن أتحرى لك عن..

قاطعه جاسر فى توتر قائلًا :

- أستحلفك بالله.. لا تُكمل فأنا لا أريد أن أتذكر هذه الأيام،يكفى ما حدث لى، فأنا لازلت حتى الآن ألجا إلى طبيبتى النفسية.. والآن هل سنقضي اليوم بطوله فى الحديث عن تلك الأيام الكئيبة التى مرت على..

بادره راشد ممازحًا له :



- على الرغم من أنك لم تصارحني بحقيقة أزمتك تلك على وجه التحديد، إلا أني إحترمت رغبتك ولم أشأ أن..

هتف به جاسر بغضب :

- راشد.. لقد تحدثنا في هذا الموضوع عشرات المرات من قبل.. والآن هل ستخبرني عن الفتاة أم أبحث عن طريقة أخرى..؟

قهقه راشد في إستمتاع وهو يرتشف آخر ما تبقي من فنجان القهوة في يديه قائلًا:

- أتعلم يا جاسر كم أنا سعيد أنك قد وقعت أخيراً في الحب..الحب يا رجل.. أخيرًا تريد أن تتزوج بارجل بعد أن كرهت حياة العزوبية.. إسمعني جيدًا يا صديقي فربما تكون آخر نصيحة لك.. فلتهرب الآن.. إنفد بجلدك يا فتى.. فأنت لا تعلم شيئًا عما ستراه بمجرد أن تتزوج.. ستتغير حياتك كلياً.. ستفقد حريتك.. أين كنت، وأين سهرت، ومع من، وكيف، ومتى، وأين، ولماذا، وجميع علامات الاستفهام ستراها في جمل مفيدة يوميًا، لدرجة أنه لن يكون لديك الوقت للإجابة حتى، لقد حذرتك منذ الآن .

وكزه جاسر في ذراع بنفاذ صبر قائلًا :

- تبًا لك يا راشد.. أتراني قد أحضرت المأذون.. عامةأنا لا أريد أية نصائح منك.. فهي صديقتي قبل أن أجعلك تسأل عنها وأعلم عنها كل شيء.. أخلاقها، وأهلها.. وكل ذلك أعلمه منذ بدأت علاقة صداقتنا منذ أربعة سنوات..صحيح أنه قد تخلل تلك المدة سفرها إلى الخارج، ولكن بمجرد حضورها الشهر الماضي شعرت تجاهها بمشاعر لم أعهدها من قبل.. وكأنني أراها للمرة الأولى..

- أعلم ذلك.. فلقد شعرت بذلك من تلك النظرات المتبادلة بينكم أيها الذئب في فرح أخيك ماجد ومني منذ عدة شهور، ولست وحدي في ذلك



بل إن كل من بالقاعة كاد أن يُجزم على أنكم على أهبة الإعلان عن خطوبتكم.. عامة هى من عائلة ممتازة، ولا يوجد ما يشينها إلا بعض التصرفات الطفولية التى تقوم بها من حين لآخر، كسفرها المفاجئ..صداقتها لبعض المستغلين لها..علاقاتها الكثيرة..إنتظر سأخبرك بالتفصيل...

قالها وهو يُخرج من جيبه ورقة قرأها ببرود كمن اعتاد على إلقاء بيانات ليست ذو أهمية خاصة فأردف قائلًا:

- نسرين زيادة.. فى منتصف الثلاثينات.. حاصلة على بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية، وتعمل فى وزارة الخارجية منذ عدة سنوات، الكل يشهد لها بحسن الخلق فى العمل وكذلك الجيران وكل من يعرفها يشهد بذلك.. تمت خطبتها مرتين آخرهم لوكيل نيابة ف....

تنهد جاسر وهو يقاطعه قائلًا:

- اسمه خطيبها السابق يا راشد.. أعلم أنها كانت مخطوبة منذ فترة، لكنها قامت بفسخ تلك الخِطبة على الرغم من محاولاته المستميتة للرجوع إليها.

- هل أنت متأكد مما تقوله..؟

- ماذا تعنى يا راشد..؟، بالطبع متأكد.. ألديك أنت ما يخالف كلامى..؟

- لا بالطبع.. ولكن الرجل لا زال على قائمة أصدقائها، وبينهم العديد من المحادثات الهاتفية..

نظر إليه جاسر باستغراب قائلًا :

- ومن أين أتت لك تلك المعلومة..؟

- هل نسيت أننى ضابط مباحث ولى علاقاتى..انتظر سأُريك شيئًا..



قالها وأمسك بهاتفه المحمول ليُريه صورتها الموجودة فى إحدى برامج المحادثات الشهيرة، ولم تكن الصورة إلا صورتها مع ذلك الذى يدعوه خطيبها السابق وأحد أصدقائهم مما أثار دهشة جاسر، بينما أكمل راشد حديثه قائلًا:

- إذا كان خطيبها السابق كما تقول فلماذا تُصر على وضع صورتهم سويًا كصورة لها على ذلك البرنامج.. فلتنصت لى جيدًا يا جاسر.. فأنا لا يعجبنى طريقتك فى التعامل مع تلك الفتاة، فإما أن تخبرها بمشاعرك نحوها وتطلب منها الارتباط، أو تنسى تلك المشاعر التى تُحيرك وتجعلك عاجزًا عن التعامل معها بشكل طبيعى.. فأنت لا تستطيع حتى أن تخبرها بمشاعرك يا رجل ففى كل مرة تنوى أن تفعل تعجز عن ذلك.. إذا كنت تريدها فعلا يا صديقي فاسرع وإلا سيسبقك إليها غيرك،ألم ترى هذه الصورة من قبل؟!!

- لم أراها من قبل فأنا لا أتعامل مع هذا البرنامج كثيرًا.. عمومًا يا راشد سآخذ بنصيحتك وسأفاتحها فى أقرب وقت إن شاء الله.. فقد كنت سأصارحها بحقيقة مشاعرى فى الفترة الماضية، لكنى أحاول لمّ شتات نفسي بعدما حدث لى فى موضوع البرديات وميدوم، وها أنا أحاول أن أستعيد حياتى مرة أخرى..ولا تنسى أنى أحمل تذكارًا من مغامرتى السابقة سيظل معى ما حييت

وأشار إلى إصبع يده المبتور من منتصفه، مما جعل راشد يربت على كتفه مازحًا محاولًا تخفيف الأمر على صديقه:

- لا تقلق على حالتك تلك،ربما ينبت لك إصبعًا آخر أذا أخبرتها بحبك

وكزه جاسر مبتسمًا، ولكن راشد استدرك وكأنه تذكر أمرًا ما :

- لم تخبرنى بعد متى ستجلس مع البعثة ..؟

- أى بعثة تلك يا راشد ..؟



- تبًا لك يا جاسر..فقد كنت أظن أن جلستنا اليوم لأخبرك عنهم أكثر كما طلبت منى بالهاتف، عمومًا يا صديقى، وكما سبق أن أخبرتك هاتفيًا،فقد وصلت منذ فترة إلى القاهرة بعثة إنجليزية غير رسمية تعمل فى البحث فى حياة الكهنة فى عصر رمسيس، ويبدو أن لديهم ما يخفونه عنى بالتأكيد، فأثناء حديثنا علمت أنهم على علم بكل شي عن مقبرة ميدوم والبرديات، ولذلك هم يطلبونك بالاسم .

تطلع إليه جاسر فى توتر قائلًا :

- يطلبونى بالاسم..؟!!، كيف وصلوا إليك، ولماذا أنا بالذات..؟، لقد بدأت تثير قلقي بالفعل يا راشد.

- الأمر لا يستدعى أى قلق يا صديقى، فلقد أخبرونى عن السبب، فقد توصلوا إلىّ وفقًا لقولهم حينما أرادوا الحصول على تصريح للبحث فى المقابر القريبة من هرم ميدوم وعندما أتوا إلى مكتبي علمت أصل الموضوع، ولكنهم لم يخبرونى عن طبيعة البحث ولن يخبروا الدولة بالطبع لإنها بعثة غير رسمية،وقد ناقشونى عن برديات تحوت والمقبرة وميدوم حينما علموا أنى الضابط المسئول عن تلك القضية، وسألونى عنك كثيرًا، وهم بحاجة إليك للحصول على بضع معلومات عن مغامرتك السابقة..

- و بالطبع أنت تريد منى أن أتعامل معهم لكى أنقل إليك ما سوف يدور فى الخفاء..!!، أنت تمزح بالتأكيد..

- لا تتعجل الأمور ي جاسر فأنا لم أقصد ذلك أبدًا، بالعكس فأنا لا أريدك أن تخبرنى بأى شئ.. هم فقط لديهم بعض التساؤلات فقط، وخصوصًا فيما يتعلق بتلك المقبرة، بالإضافة إلى أنهم يسعون وراء كشف سري هام، ويريدونك أن تكون معهم بحكم خبرتك فى التعامل فى قضية تلك المقبرة وما حوته من برديات، وهذا بالطبع سوف يزيد من معلوماتك والتى ستستفيد بها فى الكتاب الذى سوف تقوم بتأليفه عن مغامرتك



السابقة، بالإضافة إلى تلك الشهرة التى لم تكن لتحلم بها والتى سوف تحوزها لو حدث ذلك الكشف الأثرى، وكذلك ما ستجنيه من أموال من وراء ذلك.

أطرق جاسر متفكرًا وهو يتمتم :

- لا أعرف.. دعنى أفكر جيدًا فى الموضوع يا راشد..

- أمامك يومين فقط لتقرر، فإذا لم تقرر خلالهم سأخبرهم أثناء مقابلتى لهم لإعطائهم التصريح أن عليهم البحث عن شخص آخر..يومين فقط يا جاسر.

- حسنًا.. حسنًا.. يومان فقط وسأخبرك بقرارى ..

تراجع راشد فى مقعده وهو يغير دفة الحديث :

- لقد أخذنا الحديث ولم تخبرنى كيف حال ماجد ومنى..؟

- لقد هاتفته منذ إسبوعين، هو مشغول دائمًا منذ سفره لذلك لا يتذكرنى إلا إذا لم أُحدثه.. وعلمت منه أنه قد استقر هو ومنى فى إحدى البلدات التابعة لجورجيا ليكمل دراسة الدكتوراة فى المنحة التى أعطتها له الجامعة، حتى منى التى كانت تقدس عملها فى القاهرة استقالت منه بمجرد زواجها كما تعلم تسعى هى الأخرى للحصول على منحة هناك لاستكمال الدكتوراة، فأمامها أكثر من فرصة بالفعل ولكنها لم تستقر بعد..

هتف راشد ممازحًا لجاسر :

- أتعرف أن ما يميز ماجد هو أنه لا يتردد فى إتخاذ أى قرار وتنفيذه فورًا

عقد جاسر حاجبيه متسائلًا:

- ماذا تقصد ..؟!!

- أقصد زواجه بمنى، فبمجرد أن شعر أنه يحبها ذهب إليها على الفور وبدون تردد ليصارحها وبشكل مباشر..أتذكر ذلك اليوم حينما سخرنا جميعًا من جديته وجرأته وقتها، ليتك تفعل مثله مع فتاتك تلك .



حاول جاسر تغيير الموضوع حينما أردف قائلًا :

- بالمناسبة يا راشد.. ما هى أخبار ماتسون..؟، لقد تذكرت ذلك الاسم بالأمس، وأنا أتذكر أحداث تلك القضية..

- ماتسون...؟!!، من يكون ماتسون هذا..؟

- مساعد جيمس ادوارد يا راشد.. ذلك الرجل الذى يحتفظ بالتابوت المقدس، لقد أعطيتك رقمه لمتابعة الأمر، ولا تنس أن مكان المومياء والتابوت لا يزال مجهولًا إلى الآن.

- نعم.. نعم.. لقد تذكرت.. لا أدرى يا جاسر فبعد أن تحرينا عنه علمنا أنه خارج البلاد فأعطيت أوامرى بإبلاغى فور دخوله البلاد أو ظهور ما يدل عليه، المهم.. لا تشغل بالك أنت بذلك الآن، وأخبرنى عن مخططاتك لمساء اليوم، لقد علمت أن فريد صديقنا القديم يمر بوعكة صحية، وسوف أذهب لزيارته فى المساء، هل تأتى معى..؟

- يااااه.. فريد.. بالطبع سآتى معك ..إن زيارة المريض واجبة يا صدي....

قطع كلامه رنين هاتفه الذى ما إن نظر إليه حتى تهللت أساريره، فأدرك راشد على الفور أنها تلك الفتاة التى يحبها، ولكنه ما لبث أن أنهى الحديث سريعًا قائلًا وهو يتناول سلسلة مفاتيحه :

- معذرة يا راشد فلن أستطيع أن أذهب معك اليوم.. أرجو أن تنقل تحياتى لفريد، وسوف أقوم بزيارته فى أقرب فرصة..

هتف به راشد ممازحًا وهو يغادر مسرعًا :

- جاسر.. فلتنهى الأمر..هيا يا رجل فأنا أريد أن أحضر زواجك حتى تجد ما يشغلك عنى وأرتاح منك قليلًا .

ألقى جاسر التحية عليه وعلى آدم الذى كان مشغولًا بالعمل فى الكافيه،



واستقل سيارته، بينما تبعه راشد بنظراته حتى توارت سيارته عن الأعين، ومن خلفها انطلقت تلك السيارة التى شرعت فى مراقبته.. مما جعل راشد يهمس فى نفسه قائلًا:

- ادعو الله ألا يصيبك مكروه يا صديقي.. فلو حدث لن أسامح نفسي قط .

****

فى مساء ذلك اليوم كان جاسر يجلس مع نسرين داخل إحدى المقاهى فى مدينة نصر، حيث كانت نسرين تنفث دخان سيجارتها فى هدوء وهى تتحدث عن آخر قافلة طبية تعمل فى تجميعها لإرسالها إلى إحدى القري المنكوبة فى الصعيد، ولم تكد تنهى هذا الموضوع حتى فتحت موضوع آخر فى عملها وعلاقاتها، ولكن جاسر باغتها بسؤال مباشر:

- نسرين.. ما أخبار خطيبك السابق..؟

هزت نسرين كتفيها بلا مبالاة وهى تنفث دخان سيجارتها :

- كما هو.. فنحن لا نتحدث كثيرًا .

هتف جاسر فى فضول :

- ولما تحدثينه من الأصل..؟

اعتدلت نسرين وهى تنظر إليه فى استنكار :

- إننا أصدقاء يا جاسر ألا تفهم..؟، صحيح أننا قد أنهينا تلك الخطبة، لكن ذلك لا يمنع أن نظل أصدقاء، لماذا تصرون فى المجتمعات الشرقية على إنهاء كافة العلاقات الإنسانية بمجرد الطلاق أو حتى فسخ الخطبة.. لماذا لا نرتقى قليلًا فى تعاملاتنا ..

- و هل حاول أن يعود إليكِ مرة أخرى ..؟



- لقد حاول كثيرًا.. ولكنى حزمت أمرى وإنتهى الأمر، فأنا لن أعود إليه مرة أخرى ..

- و لماذا إذن وضعتى تلك الصورة التى تجمعكما على الهاتف فى برنام......

قاطعته نسرين بانفعال وهى تهتف :

- أخبرتك أننا أصدقاء.. ووضعى لتلك الصورة لا يعنى أى شئ مما قد يخطر فى بالك، أما إذا كان فى ذهنك شيئ آخر فأنت حر فى تفكيرك..

قالتها وقامت بإشعال سيجارة أخرى، بينما هو مندهش من طريقة تعاملها مع الموضوع، خاصة وهى تغير مجرى الحديث بسلاسة قائلة ببرود وكأن شيئًا لم يكن:

- والآن أخبرنى يا جاسر كيف حالك..؟، وما هى آخر مشروعاتك.. لقد علمت أنك تقدمت لإحدى دور النشر لطباعة كتاب عن الظواهر الغريبة فى العالم .

نظر إليها جاسر فى تساؤل قائلًا:

- وكيف علمتى ذلك..؟!!

- لا تنس أننى أيضًا لى أصدقائى ومعارفى يا جاسر.. أخبرنى كيف حال موقعك على الإنترنت لمناقشة تلك الظواهر.. لقد علمت أيضًا أنه تم حجبه لسبب ما..

- لا أدرى السبب ولكنى بصدد إنشاء موقع جديد.. أنتِ تعلمين يا نسرين أن الوضع العام لا يشجع على القيام بأى شئ.. أما بخصوص الكتاب الذى تتحدثين عنه فما زلت أحاول استكماله، ولكنى أشعر أن حالتى النفسية حاليًا لا تسمح لى بذلك، فلا زلت أشعر أننى لم أستعد نفسى بعد،و.........



قاطعته فى تململ وهى تهتف به :

- جاسر بالله عليك.. ليس كل مرة نلتقى فيها تخبرنى عن مشاكلك وعن تلك الصعوبات التى تجدها فى تجميع مادتك العلمية.. لقد أصبحت فى الفترة الأخيرة لا أطيق أى طاقات سلبية تتنقل إلىّ.. إنها تمرضنى يا صديقي.. أنظر إلىّ.. فأنا أعمل وأقوم بكل الأعمال الخيرية التى تستهلك كل وقتى وأحب عالمى هذا، أما أنت فلا زلت ترى نصف الكوب الفارغ، وترى حياتك الكئيبة المملة التى لا تستطيع أن تخرج منها، ولا زلت تعيش فى كآبة الشهور الماضية..وأصدقك القول يا صديقى.. فأنا يصيبنى الاكتئاب بمجرد الاستماع إليك، وتلك الكآبة قادرة على إصابتى بالمرض فعليًا.

تراجع جاسر فى دهشة من رد فعلها الذى خلا حتى من أية مشاعر إنسانية ولكنه التمس لها العذر وهو يستدرك قائلًا:

- لكنى لم أخبرك عما حدث لى خلال تلك الفترة ..؟

- و أنا لا أستطيع سماعك بالله عليك .

- حسنًا.. حسنًا.. لن أخبرك عن مشاكلى مره أخرى.. أنا أعتذر..

دق جرس هاتفها فنظرت للمتصل وأطفأت سيجارتها لتستأذن من جاسر وهى تنهض مبتعدة قليلًا لتجيب عليه، أما هو فلم تكد تبتعد حتى شعر بتلك الغصة وكأن يدًا باردة تعتصر قلبه، فأصعب شئ قد يمر به الإنسان ألا يجد الاهتمام ممن حوله فى تلك اللحظات التى يحتاج فيها إلى من يشاركه سعادته وحزنه.. غضبه.. نجاحه وفشله، تلك اللحظات التى يحتاج فيها لمن يحتضن روحه.. لمن يربت على كتفه ليشعره أنه ليس وحده فى هذا العالم، تلك اللحظات التى يحتاج فيها إلى الشعور باهتمام أقرب الناس إليه، وخاصة ذلك الشخص الذى يستولى على جل اهتمامه ويحتل ذلك الجزء النابض فى صدره .



حاول جاسر تجاهل ذلك الشعور وهو يأمل ألا يحوز على اهتمامها فقط ذات يوم ..

وإنما قلبها أيضًا ....

****

فى صباح اليوم التالى كان جاسر يجلس على ذلك الكرسي المريح داخل عيادة بسيطة فى ميدان الدقى، وأمامه جلست الطبيبة النفسية مروة الصعيدى، وهى تستمع لجاسر الذى ظل يتحدث قرابة الساعة وهى تستمع إليه دون أن تقاطعه، إلى أن انتهى من حديثه.. فأردفت قائلة :

- أنت تحتاج إلى الخروج إلى العالم يا صديقي.. فأنت لازلت تحبس نفسك داخل تلك التجربة المؤلمة.. حاول أن تتناسها يا جاسر.. حرر روحك أكثر.. أعلم أنه ربما يكون من الصعب تجاوز تلك الأحداث ولكنك إنسان قوى، ولديك إرادة وإصرار شديد على تخطى تلك الكبوة والعودة إلى حياتك من جديد، صدقنى إن حالتك تتحسن بسرعة وقريبًا جدًا ستعود جاسر الذى تعرفه ولكن أقوى وأنضج من ذى قبل..

تراجعت فى مقعدها وهى تستكمل :

- أتتذكر يا جاسر عند دخولك المصحة النفسية مباشرة بعد ما حدث لك..؟، أتتذكر تلك الكوابيس الليلية وتلك الحالات التى كانت تنتابك من الصراخ الهيستيرى وذلك الرعب المرضى من الظلام..؟، لقد تعافيت من تلك الأعراض واستعدت قواك مرة أخرى .

نظر إليها جاسر بامتنان قائلًا:

- الفضل فى ذلك يعود إليكِ يا مروة، فالجميع فى تلك المصحة كان يعاملنى كالمجنون ولم يصدقنى أحد سواكِ، لقد كدت أصاب بالجنون



بالفعل فى ذلك الشهر الذى قضيته هناك، ولكنى تعافيت وأشعر بالفعل أننى قد تعافيت،ولكنها تلك الأحلام يا مروة..

تطلعت إليه مروة فى اهتمام وهى تهتف فى هدوء :

- هل عادت إليك تلك الأحلام مرة أخرى..؟!!

- نعم.. ولكن الغريب هذه المرة أنها أصبحت تأتينى وأنا مستيقظ، ففجأة يمر علىّ مشهد ما سريعًا مما قد يصيبنى بالصداع وأحيانًا بالدوار، لقد حدث هذا لى هذا حوالى ثلاث مرات منذ زيارتى لك خلال الأسبوعين الماضيين ..

ربتت مروة على كتفه فى تعاطف وهى تردف فى هدوء :

- أشعر بك.. صدقنى أشعر بك.. إننا مختلفون يا صديقي..نعم يا جاسر.. ألم أقل لك من قبل أن هناك الكثير من الأشخاص من أصحاب الأرواح الشفافة.. هؤلاء الأشخاص الذين يستطيعون رؤية ما بداخلك.. يشعرون بك قبل أن تتحدث.. إننا مميزون يا صديقي.. ألا زلت تسأل نفسك من قبل لما أنا الوحيدة التى صدقتك فى موضوع بدزميران..

- تطلع إليها جاسر فى فضول ولم ينبت ببنت شفة فاستدركت :

- لقد رأيته فى عينيك وأنت تخبرنى بقصتك لأول مرةفى المصحة.. فنحن لسنا وحدنا فى هذا العالم لكن هناك دائمًا من يشعر بنا حتى ولو لم ندرك ذلك، صدقنى يا جاسر فأنا أشعر بما يدور بداخلك وكأننا نعرف بعضنا منذ زمن ..

- أعلم يا مروة.. فلم يصدقنى غيرك، ولم يشعر بمأساتى غيرك، وإليكِ يرجع الفضل بعد الله عز وجل فى عودتى إلى العالم مرة أخرى..

- ليس هذا فضلاً يا جاسر،لقد أخبرتك أكثر من مرة أننى أشعر وكأنك أخى،ولا تنس أن ابنتى آلاء قد تعلقت بك هى الأخرى فهى تعتبرك مصدر إلهام لها منذ أن حضرت لك تلك الندوة فى جامعتها، فهى مهتمة بتلك الظواهر الخارقة للطبيعة،ومنذ أن علمت أنى طبيبتك وهى تصر على



مقابلتك مرة أخرى للتحدث معك عن هذا الموضوع الذى تهتم به بشدة.. إن عيد ميلادها الجمعة القادمة ولابد من حضورك..

- بالتأكيد هذا من دواعى سرورى فما تقولينه يزيدنى شرفًا يا مروة.. ولكنى أريد أن أُحدثك عن أمر آخر..

- نسرين.. أليس كذلك ؟!!

- أنتِ تقرأين أفكارى بالفعل.. نعم هى نسرين.. تلك الروح التى بدأت تسرى فى قلبي لتجعله يدق لها وبها فقط.. فأنتِ الوحيدة التى لا أخجل أمامها من الاعتراف بعشقى لها.. نعم أعشقها.. فكلمة الحب لا توصف أبدًا مشاعرى لها ..ربما لو كان هناك شعور أكبر من العشق لكانت مشاعرى نحوها..ولكن المشكلة أنى لا أشعر منها بأى مشاعر تزيد عن مشاعر الصداقة.

- لابد لك من مصارحتها بذلك يا جاسر، لا تقف أبدًا تائهًا فى المنتصف.. فقد تكون هى الأخرى تشعر بما يدور بقلبك وربما لا تشعر نحوك بشىء، ولكن أيًا كانت النتيجة يا جاسر هى أفضل كثيرًا من وجودك فى تلك المنطقة الرماديةالتى قد ترهق قلبك وتؤثر على حياتك وتفكيرك .

- نفس كلام صديقي راشد..ولكن..

- لكن ماذا ..؟!!

- أتعلمين ما شعرة معاوية يا مروة..؟

نظرت إليه مروة فى تساؤل وهى تجيبه :

- بالطبع أعرفها.. ولكن ما علاقتها بحديثنا..؟

- شعرة معاوية تلك هى ما بينى وبين نسرين.. فنحن أصدقاء منذ سنوات عديدة.. ربما أكون صديقها الوحيد الذى لا تخجل من حديثها معى يوميًا أو خروجنا سويًّا أوالتعامل معى بتلقائية، ولكن منذ أن بدأ قلبى يشعر نحوها



بتلك المشاعر وحياتى انقلبت رأسًا على عقب فقد أصبحت أخشى النوم حتى لا تغيب صورتها عن عينى، لم أعد أهنأ بشىء فى غيابها، وكأن عقارب الزمن تتوقف عندها ،أو ربما دقات قلبى هى من تتوقف بغيابها.. لذلك فأنا أكاد أموت رعبًا إذا صارحتها بحقيقة مشاعرى ألا تكون هى الأخرى تبادلنى نفس المشاعر وأن تكون مكانتى عندها لا تتعدى مكانة الصديق المقرب فقط.. ووقتها لن أقبل لنفسي أن تظل فى تلك الدائرة بعد أن ترفض حبي..؟

أطرق جاسر قليلًا وهو يستجمع شتات نفسه لُيكمل :

- يا صديقتى العزيزة.. إن الصداقة قد تتحول إلى حب.. بينما من المستحيل أن يتحول الحب الحقيقى الصادق إلى صداقة مرة أخرى.. لذا إن حدث ذلك فوقتها سأختفى من حياتها للأبد لأننى لن أرضي بحالى معها.. لذلك أخشى أحيانًا من مصارحتها بمشاعرى،فأنا أقبل بمكانتى كصديق وهى موجودة أمامى عن أن أغامر وأخسرها للأبد.. تلك هى شعرة معاوية بالنسبة لى يا مروة..

أشفقت عليه مروة من ذلك الصراع الذى يدور بداخله فربتت على كتفه بحنان قائلة :

- أفهمك يا جاسر.. لذلك لدىّ حل قد يروقك.

تطلع إليها جاسر كالغريق الذى يتعلق بتلك القشة وهو يهتف فى لهفة :

- فلتخبرينى به بالله عليك..

- فلتُحضرها معك إلى الحفل يوم الجمعة القادمة .

- بالطبع سأفعل فهذا ما كنت سأقترحه عليكِ.. فقد كنت سأطلب منكِ مقابلتها والتعرف عليها.. ولكن كيف ستعرفين مشاعرها تجاهى..؟

- لا تقلق فأنا طبيبة نفسية ولدىّ خبرة جيدة فى قراءة الآخرين، ولا تنس أننى فوق ذلك امرأة، والمرأة لا تُخطئ أبدًا فى حدسها .



شعر جاسر بارتياح شديد وهو ينهض ليتناول هاتفه وسلسلة مفاتيحه قائلًا:

- حسنًا يا مروة لقد أطلت عليكِ هذه المرة..سوف أحضرها معى الجمعة القادمة.. وسأعتمد عليكِ فى هذا الموضوع، وبالمناسبه يا صديقتى سوف أخصم ثمن هدية آلاء من مقابل جلسات العلاج..

هتفت به مروة ضاحكة:

- على أساس أنك تدفع يا صديقى.. أنسيت أنك لم تدفع إلا مقابل جلستين فقط، رغم أننا تقريبًا فى الجلسة العشرين..

ضحكا سويًّا وهو يودعها قبل أن يهبط سريعًا إلى سيارته.. حيث كان الوقت لا يزال ظهرًا، فاستقل سيارته فى طريقه إلى النادى، ولكنه لم ينتبه إلى تلك السيارة السوداء التى أصبحت ملاصقة لظله أينما ذهب .

****



(4)

التاريخ دائمًا يُخفى فى جعبته الكثير من الأحداث التى آثر الزمن أن تبقى طى الكتمان.. وأن تظل تلك الأحداث مجهولة، وحتى لو ظهرت فربما تكون غير قابلة للتصديق لتلك العقول التى تقوقعت حول نفسها وآثرت أن تنظر للماضى على أنه هالة من المجد الذى عجزوا أن يصنعوه بأيديهم، تلك العقول التى تخشى رؤية الحقيقة أو الاعتراف بها حتى لا تُصدم فى حقيقتها، حقيقة أنها شعوب آثرت على نفسها الهوان من أجل أن يحيوا حياة ليست كالحياة، حياة لا روح فيها ولا معنى ولا هوية، ولا حتى هدف أو غاية أو حلم يسعون من أجل تحقيقه



استأذن راشد ليغادر تلك الجلسة التى جمعت بين جاسر وثلاثة أفراد من البعثة البريطانية،والذين وافق جاسر على مضض على التعاون معهم..

كان اللقاء فاترًا فى أول الأمر، حيث تولى راشد مسئولية تقديمهم لبعضهم البعض بينما انشغل جاسر فى التفرس فى وجوه من حوله..كانت ملامحهم هادئة، يقترب أصغرهم من الخمسين من عمره،يبدو عليهم مظاهر الترف والذى كان واضحاً من نظارة أحدهم الذهبية وخاتمه الماسي.. أما الآخران فقد كانا ينصتان فقط ويبادلان جاسر النظرات وكأنهم يتفرسون فى ملامحه بدورهم.. لم تكن تبدو عليهم أى مظاهر تدعو للريبة، فقد كان يبدو فعلًا على هيئتهم أنهم علماء آثار، وخاصة عندما استفاض أكبرهم مستر وليم صن بالحديث عن فضل الفراعنة وما قدموه من معجزات يعجز العلم عن تفسيرها إلى الآن، حتى بعدما تركهم راشد ليجلس مع آدم فى الجهة المقابلة من الكافيه الذى يملكه آدم، ظل ذلك الإنجليزى يتحدث قرابة العشر دقائق بلا انقطاع عن عصر الأمير «خا ام واس»، ذلك العصر الذى سيظل محفورًا فى عقل جاسر للأبد،ولكنه اندهش من كمية المعلومات التى لدى العجوز الإنجليزى الذى استدرك قائلًا:

- إن تلك الحقبة الزمنية غنية بالأحداث المثيرة، ولكننا متشوقون لسماع قصتك أنت يا سيد جاسر وما حدث لك فى ميدوم .

اعتدل جاسر وهو يتصنع اللامبالاة قائلاً :

- ليس لدىّ الكثير يا سيد وليم، كل ما حدث هناك وما مررت به كان مجرد تجربة عادية جدًّا، بالإضافة إلى أنى لا أتذكر أغلب الأحداث التى مررت بها وقتها .

- سيد جاسر لا تقلل من أهمية الحدث،فالتفاصيل الصغيرة التى قد لا



تعطى لها أهمية قد تقودنا إلى اكتشاف كبير، لذلك دعنا نبدأ منذ البداية، بداية اكتشاف مقبرة الكاهن «امنى نخت» فى صحراء ميدوم.

- وما المهم فى قصة مقبرة هذا الكاهن على وجه الخصوص، فالعديد من المقابر كثير من الكهنة تُكتشف كل يوم فى أنحاء مصر، فما الشىء المميز فى تلك المقبرة .

- أنت تعلم جيدًا الإجابة يا سيد جاسر.. ونحن أيضًا نعلم.. ونعلم أيضًا بسر الكهنة الأربعة.. امنى نخت.. تب رع..واخاموس..سوتى.. وأيضًا»خاى».. لا تتعجب كثيرًا.. فنحن وعلى عكس المصريين نصدق ما قد يبدو غريبًا أو غير قابل للتصديق، فالتاريخ دائمًا يخفى فى جعبته الكثير من الأحداث التى آثر الزمن أن تبقى طى الكتمان.. وأن تظل تلك الأحداث مجهولة، وحتى لو ظهرت فربما تكون غير قابلة للتصديق لتلك العقول التى تقوقعت حول نفسها وآثرت أن تنظر للماضى على أنه هالة من المجد الذى عجزوا أن يصنعوه بأيديهم، تلك العقول التى تخشى رؤية الحقيقة أو الاعتراف بها حتى لا تُصدم فى حقيقتها، حقيقة أنها شعوب آثرت على نفسها الهوان من أجل أن يحيوا حياة ليست كالحياة، حياة لا روح فيها ولا معنى ولا هوية، ولا حتى هدف أو غاية أو حلم يسعون من أجل تحقيقه، لذلكلم يصدقك أحد فى تلك المصحة يا سيد جاسر، لكننا نفعل.. لذلك كن على ثقة أننا هنا لنسمعك وصدقنى لن نُكذب حرفًا مما تتفوه به..كل ما نريده هو ثقتك فحسب، وسترى ما سوف نقدمه لك من تفسيرات وإجابات لتلك التساؤلات التى قد تدور فى أعماقك.

أطرق جاسر برأسه وهو يستمع إلى حديث العجوز وقد آلمته تلك الكلمات التى أصابت كبد الحقيقة،وهو يتساءل كيف وصلنا إلى تلك الحال،



ما الذى حدث لنا، وأين ذهبت تلك الروح التى كانت تسرى فى أوصالنا فى أحلك اللحظات فتبعث الحياة فى ذلك المارد القابع الذى علم الدنيا وأنارها بنور الحضارة والعلم، أين ذهب كل هذا..؟!! أين..؟!!

قطع أفكاره فى تلك اللحظة صوت العجوز وهو يهتف به :

- سيد جاسر.. فيما تفكر..؟ إن عرضنا بسيط ولا يحتاج منك كل هذا التفكير.

- كنت أود مساعدتكم بالفعل يا سيدى.. ولكن ما لا تعلمه أن هناك الكثير من النواحى المظلمة فى قصتى أنا شخصيًا لا أعلم عنها أى شىء.. أشعر وكأن هناك شيئًا ما طمس على ذاكرتى.. ولا زلت حتى الآن أحاول التعافى من ذلك.

- فلتخبرنا إذن بما تتذكره أو ربما ما يُحيرك، صدقنى ربما لن يستطيع أحد آخر أن يفسر لك الكثير من الأشياء أويجيب عن تساؤلاتك إلا نحن.. اسمعنى جيدًا يا سيد جاسر..فكما سبق أن أخبرتك.. فنحن هنا للبحث عن مقبرة لأحد الكهنة الأربعة،وما تحتويه مقبرته لا شأن لنا به، فلتحتفظ به أنت أو بلدك فنحن لا نجمع كنوز، ولكننا نسعى إلى المعرفة.. إلى كشف جديد، فقط نبحث عن مجرد بردية ستقلب لنا الموازين لتُعيد اكتشاف تلك الحقبة فى تاريخ مصر..

نظر إليه جاسر فى حيرة متسائلًا :

- أتقصد برديات تحوت..؟!!

- لا.. لا.. فنحن لا يهمنا تحوت ولا بردياته، فالأمر أكثر أهمية من ذلك، إننا بصدد كشف تاريخى مذهل فى تلك الحقبة التاريخية التى ينتمى إليها الكهنة الأربعة والمتزامن مع عصر فرعون الخروج رمسيس الثانى..



كشف ربما سيعيد ترتيب التاريخ الفرعونى، وسوف يُعلن ذلك الكشف على العالم فور اكتشافه، وستنال الكثير من الشهرة والمال يا سيد جاسر إذا تعاونت معنا فى ذلك الكشف الأثرى، ولكننا الآن نُفضل أن يبقى الأمر فى طى الكتمان ولهذا السبب تلك البعثة غير رسمية كما أن ذلك الموضوع لا يعلم به أحد سواك، وإذا قررت التعاون معنا سوف نخبرك بكل التفاصيل التى تريدها..

– ولماذا أنا على وجه الخصوص..؟!! فأنا لست خبيرًا بالآثار الفرعونية، ولست حتى مهتم بتلك المقابر وما بها، ولكنى مجرد ......

قاطعه العجوز فى هدوء :

– أنت لديك ما هو أهم يا سيد جاسر.. فأنت قد دخلت إلى تلك المقبرة.. وربما كانت تلك هى المقبرة المنشودة التى نبحث عنها.. كما أنك من عثرت على تلك البرديات وسلمتهم للشرطة وربما إذا رويت لنا عما قابلته فى رحلة بحثك تلك قد تدلنا دون أن تدرى عن خيط ولو صغير قد يوصلنا إلى ما نبحث عنه، بالإضافة إلى خبرتك التى اكتسبتها فى تلك التجربة، فأنت الوحيد الذى بقى على قيد الحياة سليمًا وفى كامل قواك العقلية بعد تلك الأحداث التى تلت فتح تلك المقبرة، كما أن هناك أسباب أخرى ولكنك ستعلمها فى حينها.

– حسنًا.. إذا كنتم تريدون فقط أن أروى لكم كل ما أتذكره عن تلك الأحداث سأفعل، ولكن يجب أن تعلموا أن هناك بعض الأحداث لا أتذكرها لسبب أجهله كما سبق أن أخبرتكم.

أومأ العجوز برأسه علامة على تفهمه قائلًا:

– لك كل الوقت الذى تحتاجه يا سيد جاسر، أعرف أننا أرهقناك اليوم



خاصة وأنت لم تتعافَ بشكل كامل بعد كما علمت، لذلك سوف ننتظرك فى عنوان المقر المؤقت الخاص بنا .

ثم التفت إلى الشخص الجالس بجواره قائلًا:

- جاك هل تعطى للسيد جاسر عنوان مكتبنا وهواتفنا؟..

تناول جاسر العنوان لينظر إليه ويضعه فى جيبه قائلًا:

- عظيم جدًّا.. سأكون هناك يوم السبت القادم فى تمام العاشرة صباحًا إذا سمحت لكم المواعيد، والآن سأقص عليكم بداية تلك الأحداث..

أو بمعنى أدق بداية مغامرة ميدوم..

وفى تلك الاثناء كان راشد يجلس فى الجهة المقابلة لهم ليحتسي فنجان القهوة الخاص به، وهو يتحدث مع آدم ذلك الصديق المشترك، بينما لم تزل عيونه على جاسر الذى كان مسترسلاً فى الحديث مع العجوز الإنجليزى فى الوقت الذى كان فيه مساعديه يقومون بتسجيل ما يدور من حوار على تلك الطاول.

****

فى مساء الجمعة توقفت سيارة جاسر أمام النادى الذى يُقام فيه حفل عيد ميلاد آلاء، ليهبط منها هو ونسرين التى أصر على حضورها معه لذلك الحفل، حتى يتسنى له أن يُعرفها إلى مروة طبيبته النفسية،لتقترب منه وتُمسك ذراعه فى سعادة.. حتى وصلا إلى القاعة التى امتلأت عن آخرها بأصدقاء آلاء، التى ما إن رأته حتى أتت مسرعة وهى تقترب منه، فما كان منه إلا أن ابتسم لها وهو يُعرفها على نسرين ثم يقدم لها هديته وهو يُقبلها من وجنتيها ..فابتسمت آلاء قائلة فى سعادة:

- أشكرك كثيرًا يا عمو، لو كنت أعلم أنى سأراك مجددًافى حفل عيد ميلادى لكنت أقمته منذ عدة أشهر.



ضحك جاسر وهو يربت على كتفيها :

- أنا الذى كنت أتوق لرؤيتك والحديث معك كثيرًا أيتها المشاغبة، وسوف نفعل ذلك قريبًا جدًّا،فأنا أفتقد محادثاتنا كثيرًا.. أخبرينى أين طبيبتنا..؟

- لا أعلم ولكنى سأبحث لك عنها حالاً فستسعد كثيرًا بقدومك.

وتركته لتعدو كطفلة صغيرة بين المدعوين وهو ينظر إليها فى سعادة..فقد كانت آلاء كزهرة رقيقة فى بداية تفتحها، لم تُكمل التاسعة عشر من العمر، ذات عينين سوداويين وشعر ناعم أسود طويل.. ولكنها لم تكد تنطلق بين المدعوين حتى نظرت إليه نسرين فى ضيق قائلة :

- لماذا كل تلك النظرات..ولماذا قمت بتقبيلها من الأساس..؟، ألم تنتبه أنك تسببت لى بالإحراج بتلك الأفعال الصبيانية..؟!

هتف بها جاسر باستنكار :

- أى إحراج..؟!، وعن أى أفعال صبيانية تتحدثين..؟! إن آلاء بالنسبة لى طفلة..بل وربما لو كنت تزوجت فى مطلع شبابى لكان لدىّ فتاة فى مثل عمرها الآن.. فمنذ أن قابلتها تمنيت بشدة لو كان لدىّ ابنة فى جمالها وذكائها.

ضحكت نسرين قائلةبخبث:

- ومن قال لك ألا تتزوج ؟!!، ربما لو فعلت لأنجبت ما هى أجمل وأذكى منها.

قطع حديثهما قدوم مروة قائلة فى ترحاب:

- أخيرًا جاسر شرفنا بالحضور، بعيدًا عن جو العيادات والمصحات النفسية..

ابتسم جاسر وهو يصافح مروة مقدمًا إليها نسرين وما هى إلا برهة



يسيرة حتى انخرطا فى أحاديث جانبية،فاستأذن منهم بناء على إشارة من مروة، ليتقدم إلى البوفيه ويتناول كأسًا من العصير، وهو ينظر إليهم من بعيد، إلا أنه قد تذكر أمرًا كان يريد إخباره لمروة، فاتجه إليهم ولكنه لم يكد يتحرك حتى اصطدم بشدة بتلك الفتاة الرقيقة التى وقعت على الأرض .

اقترب منها معتذرًا وهو يُمسك بيدها حتى تنهض، ولم تكد عيناه تقع على الفتاة بعد أن نهضت وهى تعدل من ثيابها،حتى ألجم لسانه.. لم يدرِ لم شعر فجأة أنه رآها من قبل..

كانت عيناها زرقاوين وكأنهما قطعتين من سماء يوم صافى أضاءته شمس ساطعة، ووجها الأبيض الذى ميزته ملامح رقيقة وكأنها ملاك رقيق هبط للتو إلى الأرض، وذلك الشعر البنى الغامق الذى يتطاير على وجهها وكأنها بطلة لإحدى الأساطير، ورائحة عطرها الأخاذ التى جعلته فى حيره اذ لم يرَ فى جمال ذلك العطر من قبل ..كانت توجه إليه الحديث بصوتها الذى بدا كأنه يأتى من أعماق بعيدة، خاصة وهى تتحدث العربية بلكنة غربية جعلته يدرك سريعًا أنها ليست عربية، وهى تهتف به فى غضب :

- ألا ترى أمامك..؟!!

شعر جاسر بالإحراج وهو يعتذر من الفتاة بصوت مرتبك :

- أعتذر بشدة.. فقد كان ذهنى مشغولًا بالتفكير فى أمر ما.. فلتتقبلى اعتذارى يا سيدتى.

هزت الفتاة رأسها متفهمة وهى تقول بابتسامة هادئة:

- حسنًا.. لقد تقبلت أسفك، ولكن بشرط أن تُحضر لى كوبًا آخر من العصير بدلًا من ذلك الذى انسكب على الأرض، ولتنتبه حتى لا تسكبه مرة أخرى .

اعتذر جاسر مرة أخرى وهو يبتسم فى قرارة نفسه من طريقة نطقها



للغة العربية.. وذهب لُيحضر كأسًا آخر من العصير مناولًا إياها، فمدت يدها لتتناوله وهى تبتسم وتنظر إليه مباشرة قائلة:

- ديليانا..من روسيا..

- أنا جاسر.. فرصة سعيدة جدًّا آنسة ديليانا.. أنتِ تتحدثين العربية جيدًا... أتعلمين أن زيارة موسكو هى إحدى أمنياتى، أتمنى أن أفعل يومًا، ومن يدرى ربما نلتقى هناك يومًا.

اقتربت منه فى هدوء هامسة فى أذنه وهى تنظر بطرف عينها إلى نسرين التى كانت ترمقهم بنظرات نارية:

- ثق أننا ستتقابل ثانية يا سيد جاسر، ولا تقلق فنحن معك فى كل خطوة..لا تندهش من كلماتى تلك.. فقريبًا ستعلم كل شىء، ولكن لا تُخبر أحد وكن على حذر من البعثة الإنجليزية..هم يهود..

بُهت جاسر من حديثها، وألجمته المفاجأة وهو يحاول أن يستوعب ما قالته، فهتف بها قائلًا :

- يهود..؟!!، وكيف عرفتى بموضوع البعثة..؟، وكيف ...

قاطعته فى صرامة وهى تحدق فيه بعينيها الزرقاوين قائلة :

- لا ترفع صوتك إننا مُراقَبان،فهم يتبعونك.. تريث قليلًا وسُأعلمك كل شىء فى حينه.. أما الآن فابتسم ودعنى أذهب ولا تحاول أن تتبعنى.. لقد أسقطت فى جيب معطفك رقم هاتف، سأنتظر اتصالك فى الغد..لا تنسَ، وكن على حذر من أصدقائك يا سيد جاسر..

ودعته بابتسامة بينما ظل جاسر مندهشًا من تلك الأحداث المتتالية التى بدأت تتوالى عليه.. إلى أن قاطعت نسرين تلك الأفكار وهى تقف أمامه



وتهتف به غاضبة:

- يبدو أنه قد أصبح لديك صديقات كثيرات يا جاسر.

أجابها جاسر فى شرود:

- لقد كانت مجرد فتاة اصطدمت بها وحاولت الأعتذار لها.

- ولماذا إذن تعلو وجهك تلك الصفرة..؟

- لا شيء..لقد تذكرت أمرًا ما فجأة..

قطع حديثهم قدوم مروة لتصطحب نسرين وتقدمها إلى أحدى صديقاتها التى تمتلك إحدى الشركات الكبيرة لتجدها نسرين فرصة جيدة لتتعرض عليها بعض أفكارها التى قد تجنى من ورائها الكثير من الربح، بينما اقتربت منه مروة وهى تهتف به فى قلق وتردد:

- جاسر أريد أن أخبرك شيئًا.. ولكن أيًّا كان ما سأخبرك به فلتعدنى ألا تتسرع فى الأمر، ودع قلبك هو من يخبرك الحقيقة.

- ما الأمر يا مروة..؟

- الأمر يخص نسرين.. فأنا أعرفك جيدًا ويهمنى أمرك كثيرًا،لذلك أقول لك:إن نسرين لا تناسبك يا جاسر، فالاختلاف بينكما كبير جدًّا.. ولا أعنى بذلك أنها إنسانة سيئة، بالعكس هى إنسانة منطلقة طموحة عملية، فى منتهى الذكاء ..ولكنها لا تناسبك، ولكن على أية حال دعك من رأيي، فربما تكون نظرتى غير صحيحة، انصت لقلبك وحكّم عقلك أيضًا وأنا واثقة أنهم سيدلونك إلى الطريق الصحيح المهم ألا تقف فى ذلك المنتصف يا جاسر، احسم أمرك سريعًا فأنا أخشى عليك من تلك المنطقة الرمادية يا صديقى، أخشى عليك من الحيرة والتشتت والضياع.



كان جاسر فى تلك اللحظة فى واد اخر فقد كان يرنو بعينيه إلى حبيبته نسرين وكأنه لم يسمع حرفًا واحدًا مما تفوهت به مروة، كان واضحًا من نظراته لها أنه لم يعد يحتمل دور الصديق..كان يراها وكأنها نجمة قد هبطت من السماء لتنير له حياته وتدخل عليها سعادة من نوع آخر لم يعهده من قبل، لم يُبعد عينيه عنها لحظة وكأنه لا يرى فى الدنيا إلا هى..كان يعشقها لحد الجنون، ولم يستطع طوال سنوات صداقتهم التصريح لها بتلك المشاعر، ولكنه الآن لم يعد يحتمل..فأغرورقت عيناه بالدموع دون سبب، وكأن عينيه جذبتها فنظرت بعيونها نحوه بدورها... نظرة واحدة كانت كفيلة بأن توقف عقارب الزمن... نظرة واحدة لكى يهمس قلبه إليها أحبك... نظرة واحدة فهمت منها نسرين أنه لا يحبها فحسب... بل يتنفس عشقها حتى الثمالة... فابتسمت فى خجل وخفضت نظراتها إلى الأرض...

أفاق من شروده على يد مروة وهى تهزه مبتسمة وقد لاحظت تلك النظرات المتبادلة:

- يبدو أنك فى عالم آخر... أتحبها إلى هذا الحد يا جاسر..؟

- لا أستطيع الحديث الآن يا مروة فأنا فعلا فى عالم آخر..

- انهِ الأمر يا صديقى ولا تظل عالقًا، انهِ ولا تضيع فرصتك للسعادة يا جاسر ما دمت ترى سعادتك معها .

- بالطبع سأفعل..

لم يزل يتبادل النظرات والابتسامات مع نسرين، حتى دق هاتفها فابتعدت لترد عليه، فأفاق من شروده ليلتفت إلى مروة متسائلاً وكأنما تذكر أمرًا ما :

- أخبرينى من هى ديليانا..؟



- ومن ديليانا تلك؟!، أنا لا أعرف أحدًا بهذا الاسم.

- تلك الروسية البيضاء ذات العيون الزرقاء، لقد رأيتها منذ دقائق عند طاولة الطعام .

- لا أعرف أى روسيات يا جاسر، ربما كانت عضوة فى النادى، أو فى زيارة هنا، أو ربما كانت صديقة آلاء.. ولكن لما تسأل عن تلك الروسية..؟

- لا شيء.. لقد اصطدمت بها دون قصد، وظننتك تعرفينها .

- سوف أسال آلاء عنها ربما كانو أصدقاء.. المهم أن تُصارح نسرين ياجاسر..والليلة

- هل تشعرين أنها تحبنى يا صديقتى..؟

نظرت إليه مروة فى شفقة قائلة:

- حين يكون حب أحدهم لك حقيقيًّا سترى اهتمامه وشوقه، سيعمل دائمًا على توفير الوقت لك، لا أعذار لا غياب لا أكاذيب..فلا يوجد لديه حجة الوقت والانشغال ورتابة الحياه..حين يكون حب أحدهم لك حقيقيًّا ستراه فى كل ما تقوم به.. ستشعر بأنفاسه حولك.. ستشعر به عندما يبكى وعندما يضحك وعندما يحتاجك.. إن وجدت ذلك الحب فأمسك بتلابيبه كما تتمسك بأستار الكعبة..

وتركته وهو لا يزال يتذكر فى الأحداث التى تمر عليه منذ الصباح، حتى إنتهى الحفل فى الثانية صباحاً دون أن يلمح تلك الروسية ثانية، ولكن ذلك لم يكن ليشغله عن التحدث إلى نسرين طوال الحفل..

ظل جاسر واجمًا فى طريق العودة ونسرين إلى جواره،وعيناه على الطريق الذى بدا وكأنه ممتد إلى ما لانهاية.. كم كان يود أن يستمر الطريق إلى الأبد..



كانت هناك عشرات التساؤلات التى تدور بعقله، إلى أن قطعت عليه نسرين أفكاره تلك قائلة فى صوت هادىء وهى تنظر إليه مباشرة :

- جاسر.. أريد أن أسألك سؤالا، وعليك أن تجيبنى عليه بصراحة ودون أى مواربة.

- تفضلى يا نسرين ..

- هل تحبنى..؟

بُهت جاسر من السؤال والذى لم يكن يتوقعه أبدًا منها،فتمتم بصعوبة وبصوت متهدج :

- ماذا..؟!!

- سألتك.. فأجبنى بصراحة هل تحبنى..؟

تمتم جاسر بصوت متهدج وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة :

- بالطبع يا نسرين فأنتِ صديقتى و....

قاطعته نسرين فى جرأة :

- لست أقصد حب الأصدقاء يا جاسر، ما قصدته هو ذلك الحب.. حب رجل لامرأة .

وجم جاسر فى تلك اللحظة،فقد كانت تدور برأسه عشرات الخطط لكيفية مصارحتها، وكان يعد نفسه لعشرات الاحتمالات والإجابات، لم يكن ليتخيل أن تأتى إليه الفرصة التى طالما انتظرها وأعد لها على هذا النحو المباغت وبهذا الشكل، ولكن تلك الفرصة قد حانت الآن، وقلبه لم يعد يستطع صبرًا، فها هو يخفق بسرعة وكأن هناك من يطرق بشدة على جدرانه ليُعلمه أنه لم يعد هناك مجال للحياة بدونها، فأوقف السيارة على



جانب الطريق ويديه ترتعشان، فتمتم فى صعوبة وبصوت لا يكاد يُسمع وهو ينظر إلى الطريق الممتد أمامه وكأنه يتطلع إلى لا شىء:

- أحبك...

هتفت نسرين وكأنها تستحثه على الكلام:

- كرر ما قلته مرة أخرى فأنا لم .....

قاطعها جاسر وقد استجمع شجاعته مرة واحدة وهو يلتفت إليها ليتطلع فى عينيها مباشرة :

- أحبك يا نسرين.. نعم أحبك.. أحببتك منذ أن عرفتك.. لم أشعر أبدًا بتلك المشاعر من قبل إلا حينما تمرد علىّ قلبى ليهتف باسمك.. وباسمك فقط.. كنت دائمًا أقرب إليكِ مما تتصورين، حتى فى خلافاتنا وبُعدنا وكل ما مر بنا.. حتى حينما اخترتى غيرى لم تتغير مشاعرى تجاهك.. فقط واريت مشاعرى بعيدًا عنكِ حتى لا تبتعدين عنى، فأنا لا أتصور حياتى بدونك.

تطلعت إليه نسرين فى دهشة قائلة:

- ولماذا لم تخبرنى بكل ذلك..؟، لماذا انتظرت كل ذلك الوقت لتصارحنى بمكنون قلبك..؟

- لم أستطع مصارحتك يا نسرين.. لقد مررت بظروف وأزمات صعبة، ولكنكِ ظللتِ دائمًا بقلبى سر الحياة وقِبلة حبى الذى لا ينضب، لقد أصبحتِ هواء أتنفسه يسرى بين ضلوعى فيتمكن منى يومًا بعد يوم، كلما وقعت عليكِ عيناى أخاف أن أغمضهما حتى لا أضيع لحظة لا أراكِ فيها، وكم وددت أن أضمك إلى صدرى وأخبرك عما يجيش فى قلبي الذى لا ينبض لسواكِ، لكن عقلى دائمًا ما كان يهتف لقلبى أن يا قلب إتئد ولا تتسرع فتخسرها.



- كل تلك المشاعر تخفيها فى صدرك ولم تحاول أن تخبرنى بها يومًا.

- صدقينى لقد حاولت كثيرًا. حتى فى عرس ماجد حينما حاولت أن أحدثك كنت أتراجع، خفت كثيرًا أن أفقدك، فقد كانت تلك هى أسعد لحظات حياتى فقد اجتمع كل أحبتى فى مكان واحد، وكنتى أنتِ إلى جوارى، كم تمنيت وقتها أن يتوقف بى الزمن، كم تمنيت أن أخبئكم فى صدرى إلى الأبد.

كانت نسرين تنظر إليه بتلك النظرة التى لم يفهم معناها وقد علت شفتيها تلك الابتسامة الساحرة فبدت فى عينيه كالملاك الذى قرر أن يهبط إليه من السماء ليبقى معه وحده فى تلك البقعة من الأرض حيث توقف الزمن بالنسبة له، فشعر وكأن جبلًا من جليد كان يربط على صدره ينصهر فجأة فيُخلف وراءه نهرًا يفيض عشقًا وهيامًا بحبيبته، وهو يتطلع إليها بحب جارف ويمد يده ليمسك بيدها ويطبع عليها قبلة رقيقة أخبرتها بما عجز به لسانه..إنه الحب فقط من يمتلك تلك القدرة على إظهار حقيقة الإنسان ويجعله يُسلم بعد أن يجبره على خلع قناع الشدة.. هو فقط من تنهار أمامه جميع الحواجز التى يضعها القلب حتى يحمى نفسه ويتأقلم مع ذلك العالم القاسى.

قطعت نسرين ذلك السكون الذى عم المكان حينما تمتمت بدلال :

- أتعلم يا جاسر.. حينما وضعت صورة خطيبي السابق كخلفية لهاتفي..

- نعم أتذكر.. ولا أخفيكِ سرًا فقد أثار ذلك غضبى كثيرًا فقد آذاكِ بشدة ومرضتِ بسببه، ولكنكِ كنتى تسامحينه فى كل مرة، وبالرغم من ذلك فقد احتفظتى بصورتكما معًا.

- لقد فعلت ذلك لأنى كنت أريد أن أحرك مشاعرك، أن أدفعك



لمصارحتـى، فقـد كنـت أشـعر بـك مـن البدايـة ولكنـك لم تجرؤ عـلى أن تخبرنـى بالرغـم مـن دعمـك ووقوفـك بجـوارى فى أشـد الأزمـات واحتمالـك لى ولعصبيتـى وأفعـالى الصبيانيـة أحيانًـا اخـيرًا.. لقـد كنـت الأقـرب لى دائـمًا يـا جـاسر ولكنـك فضلـت مكانتـك كصديـق عـلى أن تصارحنـى بمشـاعرك.. لم أضعـت كل ذلـك الوقـت لتصارحنـى..؟

- كنـت أود أن أُبقي عـلى شـعرة معاويـة يـا نسريـن.. فقـد كنـت قانـع بمكانـة الصديـق عـلى أن أصارحـك فـلا تبادلينـى نفـس المشـاعر،فأخسرك، صدقينـى لم يكـن قلبـى ليحتمـل وقتهـا.

- أعلـم أن كل منـا يفهـم الحـب بطريقـة مختلفـة عـن الآخـر وربـما تواجهنـا صعوبـات كثـيرة، هـل تتقبلنـى كـما أنـا يـا جـاسر، هـل سـتبقى إلى جانبـى كـما كنـت دائـمًا..؟

- حتـى آخـر نفـس فى صـدرى يـا حبيبتـى..وترجـم مشـاعره بـأن اخـد يدهـا بـين يديـه ووضـع قبلـه حانيـه عليهـا..

انتهـت تلـك الأمسـية وجـاسر يتوقـف بسـيارته أمـام منـزل نسريـن بعـد أن أوصلهـا ولم يكـد يودعهـا عـلى وعـد باللقـاء مـرة أخـرى، وبعـد أن اطمـأن عـلى أنهـا صعـدت وقبـل أن يتحـرك بالسـيارة شـعر بصـداع غريـب يهاجمـه فأمسـك رأسـه بشـدة لـيرى أمامـه مـا يشـبه رؤيـة غريبـة بـأن تلـك هـى آخـر مـره يـرى فيهـا نسريـن، فشـعر بانقبـاض شـديد فى قلبـه فتمتـم فى سـخط:

- اللعنـة عـلى تلـك الرؤيـات الغريبـة التـى أصبحـت تراودنـى تلـك الفـترة، وكأن السـعادة هـى حلـم لا اسـتحقه.

حـاول أن يتمالـك نفسـه ويطـرد تلـك الأفـكار السـوداء وهـو ينطلـق بالسـيارة



مـرة أخـرى ويتذكـر مـا دار بينـه وبـين نسريـن وحديثهـما سـويًا فى تلـك الليلـة، التـى لم يشـأ أن يعكـر صفوهـا أى شـىء فى الدنيـا.

كانـت السـاعه تشـير إلى الثالثـة صباحًـا عندمـا أيقـظ مروة مـن نومهـا ليخبرهـا أنـه أنصـت لقلبـه، ولـيروى لهـا كل شـىء،حتى تلـك الرؤيـة الغريبـة أخبرهـا بهـا فطمأنتـه، وأخبرتـه أنهـا سـوف تقابـل نسريـن فى الغـد، وتحـاول أن تتقـرب إلى نسريـن أكثـر لتتأكـد أنهـا تبادلـه ذات المشـاعر بالفعـل ..

أنهـى اتصالـه بمـروة وحـاول أن يخلـد إلى النـوم وهـو يفكـر بـما حـدث تلـك الليلـة، ولكنـه لا يـدرى لمـا تذكـر تلـك الفتـاة الروسـية ومـا حدثتـه بـه خاصـة حينـما لاحـظ أثنـاء مغادرتـه لسـيارته بعـد أن وصـل لمنزلـه تلـك السـيارة الزرقـاء المتوقفـة بجـوار منزلـه، وبداخلهـا شـخصان واضـح مـن ملامحهـما أنهـما أجنبيـان.. وتسـاءل كيـف وصـل إليـه هـؤلاء اليهـود ولمـاذا كذبـوا عليـه وأخـبروه بأنهـم بعثـة إنجليزيـة، ومـا الـذى يريدونـه منـه بالتحديـد..؟، وكيـف وصلـوا إلى راشـد الـذى أوصلهـم إليـه.. كان هنـاك عـشرات التسـاؤلات التـى تـدور فى رأسـه..

كان عليـه أن يقابـل راشـد ليفهـم منـه كل شـىء..ولكنـه تذكـر حديـث الروسـية حينـما حذرتـه مـن أصدقائـه، انتفـض جـاسر حينـما وصـل لتلـك النقطـة، أيكـون لـدى راشـد مـا يخفيـه عـن صديـق عمـره..؟، هـز رأسـه بشـدة ليطـرد تلـك الفكـرة ،ولكنـه يعتقـد أن هنـاك شـىء غامـض فى هـذا الموضـوع منـذ بدايتـه، وأن عليـه أن يتوصـل لحقيقـة مـا يحـدث مـن حولـه..

كانـت السـاعة تقـارب الرابعـة فجـرًا عندمـا تذكـر أن عليـه يهاتـف نسريـن ليطمئنهـا أنـه قـد وصـل للمنـزل ولكنـه وجـد الوقـت متأخـر ففتـح صفحتهـا عـلى موقـع التواصـل الاجتماعـى ربـما مـا زالـت مسـتيقظة، ففوجـىء بمنشـورها الأخـير عـلى صفحتهـا والـذى نشرتـه منـذ مـا يقـارب السـاعة، لم يصـدق مـا



ذكرته فيه وهو يقرأه وقلبه ينتفض من السعادة، فقد ذكرت أنها قد قضت أسعد ليلة فى حياتها فى حفل عيد الميلاد،ودلو أنه سمع صوتها الآن ولكن لم يشأ أن يزعجها فى ذلك الوقت المتأخر فأرسل لها رسالة على هاتفها لم تُجب عليها فعلم أنها قد نامت.

حاول أن يخلد للنوم وهو يفكر بما دار بينه وبين نسرين، وكيف أخبرها بمكنون قلبه أخيرًا، وظل هكذاحتى ذهب فى سبات عميق.

****



(5)

إن جرح القلب هو خطيئة أكبر من القتل أحيانًا، فحين يُجرح قلب أحدهم يفقد أى معنى للحياة، فلا هو حى تدب فيه مظاهر الحياة، ولا هو ميت سلبه الموت تلك الروح الجريحة، أنه يسعى تائهًا فى ذلك البرزخ بين الاثنين، ضائع يبحث عن ذاته، يحاول التماسك واستعادة نفسه من جديد، وحين يقرر العودة إلى الحياة فإنه لا يعود كما هو وإنما يعود وقد فقد الشعور بالأمان، فقد الثقة فى كل شىء حتى نفسه، يشعر دائمًا وكأن كل موقف يمر به هو محاولة أخرى لإيذائه، يثور ويغضب لأتفه الأسباب دون أن يدرى من حوله أنهم ربما مسوا جرحه الذى لم يبرأ دون قصد ولا علم منهم، يضحك ويتعايش فيظن الناس أنه قد برأ من جرحه الذى يظل نازفًا أبدًا يؤلم صاحبه كلما مسته الذكرى.



فى صباح اليوم التالى كان عليه مقابلة أعضاء تلك البعثة التى لا يزال يكتنفها الغموض، كم كان يود لو أنه تجاهل الأمر تمامًا، فهو لم يتعافَ من أزمته كليًّا بعد، ولا يريد التورط فى أى مشاكل أو مغامرات أخرى الآن، لكن شيئًا ما بداخله كان يدفعه إلى الذهاب إلى موعده معهم وفى رأسه كانت تدور عشرات التساؤلات، من هم وما حقيقتهم..؟، وما علاقتهم براشد..؟، وكيف وصلوا إليه..؟، ولماذا هو..؟، ومن تلك الروسية..؟ وكيف علمت بالأمر..؟

وتلك القصة التى أخبره بها راشد والتى أصبحت الآن فى مهب الريح بعد تحذير تلك الروسية، كان يشعر أنه على وشك الدخول إلى لعبة ما،لعبة قرر أن يستمر بها للنهاية حتى يصل إلى هدفهم من ورائها.

حاول أن يهاتف نسرين أكثر من مرة منذ الصباح،ولكن دون جدوى حتى رد هاتفها أخيرًا، وهو فى طريقه إلى تلك المقابلة مع أعضاء البعثة المزعومة، لكنه فوجئ بصديقتها تجيب على هاتفها معتذرة بأن نسرين فى مقابلة مهمة وأنها سوف تخبرها لتتحدث إليه لاحقًا..

لا يدرى لِمَ انقبض قلبه دون سبب، فليس ذلك عذرًا لاختفائها تمامًا منذ الصباح وخاصة بعدما قرأت رسالته التى تركها لها على إحدى مواقع التواصل الاجتماعى..

طافت به تلك الهواجس مرة أخرى، فى الوقت الذى اقترب فيه من المكان الذى سيلتقى فيه مع البعثة، لذلك اتصل بمروة لتطمئن على نسرين بعد أن روى لها تفاصيل تلك المكالمة، والتى اندهشت من عدم مقدرته على وصوله لنسرين، فهتفت به قائلة:

– اللعنة..أى مقابلة..وأية فتاة ..؟!! إنها تجلس على الطاولة التى أمامى الآن هى وصديقتنا المشتركة التى عرفتها عليها بالأمس يتحدثون بشأن



عمل خاص بنسرين كما أخبرتك.. فهما يجلسان وحدهما منذ عدةدقائق للاتفاق على التفاصيل..اسمعنى جيدًا يا جاسر.. لقد اجتزت الخطوة الأهم يا صديقى والخطوة القادمة من المفترض أن تخطوها هى، فهى لم تصرح بمشاعرها صراحة وبشكل حاسم وواضح حتى الآن، فلا تهاتفها مرة أخرى، واترك الأمر لى، سأتحدث معها وأعرف ما الذى يدور بعقل تلك الطفلة.. وسأُعلمك بكل شىء، استمر أنت فى عملك وسأحدثك مرة أخرى فى المساء..

أنهى جاسر المكالمة وهو لا يكاد يفهم شيئًا، فلم يدرِ ما السبب الذى جعل نسرين تفعل هذا..؟ لماذا يشعر أنها تتهرب منه الآن..؟ أتكون قد..

هز جاسر رأسه بشدة ليطرد منه تلك الأفكار التى دارت به، وهو يطرق باب المكتب الذى تباشر فيه تلك البعثة المزعومة عملها، ليستقبله أحد أعضاء البعثة المرافقين لوليم صن،ففكر لوهلة أن يعتذر وينصرف ويبدى أى عُذر،لكنه تراجع عن تلك الفكرة وهو يجلس فى مواجهة وليم صن والذى تركه يتحدث ويتحدث وجاسر ينظر إليه ببرود حتى إنتهى من حديثه، فتناول جاسر رشفة من قهوته التى طلبها له، ثم وضعها ليتحدث فى هدوء على الرغم من تلك الأفكار التى تكاد تعصف بعقله:

- مستر وليم.. دعنا ندخل فى الموضوع مباشرة، ودعنا من تلك الأهداف والمبررات الواهية التى نعرف أنا وأنت أنها ليست الحقيقة، هذا إذا أردت مساعدتى طبعًا.

- عظيم جدًا يا سيد جاسر.. أنت شخص ذكى وأنا أحترم الأذكياء.. يبدو أننا سنتفاهم بشكل جيد،لذلك سأتحدث معك مباشرة، فى حدود المسموح لى طبعًا .

- كلى آذان مصغية.



- بعد الحملة الفرنسية على مصر كان الفرنسيون مهتمين جدًّا بالتاريخ الفرعونى وبكل ما شيده الفراعنة العظام، حتى إن اكتشاف اللغة الهيروغليفية كان من أهم إنجازات الحملة و......

قاطعه جاسر فى برود:

- لا داعى لتزييف التاريخ يا سيد وليم.. فجميعنا نعلم أنه ليس هناك أى علاقة ما بين الحملة وبين فك رموز حجر رشيد،فقد تم اكتشاف الحجر خلال الحملة، ولكن أثناء خروج الفرنسيين من مصر، أصر قائد الأسطول الإنجليزي أن يُسلم الفرنسيين كل ما في حوزتهم من اكتشافات أثرية عثروا عليها في مصر إلي الإنجليز ومنها حجر رشيد، وتم لهم ما أرادوا، وأخذ الإنجليز حجر رشيد ووضعوه في المتحف البريطاني،حينها لم يستطع العلماء الإنجليز فك رموز اللغة الهيروغليفية، فأرسلوا نسخة بما هو مكتوب علي الحجر إلي العلماء والمتاحف في كل أنحاء أوروبا، ووصلت نسخة إلي فرنسا وبدأت رحلة شاقة من البحث والدراسة استغرقت حوالي عشرين عامًا، حتي توصل في النهاية العالم الفرنسي جان فرنسوا شامبليون إلي فك رموز اللغة الهيروغليفية التي فتحت الطريق واسعًا لدراسة الحضارة المصرية القديمة، وأسست لظهور علم جديد هو علم المصريات.

- عظيم يا سيد جاسر، واضح أن فكرتى عنك فى محلها، فيبدو أنك مُتبحر فى علم المصريات، وهو ما يشجعنى على الاستمرار فى الحديث معك.. ففى تلك الأثناء تم اكتشاف مقبرة كاهن فرعونى غامض، ليس له أى ذكر فى سجلات الكهنة فى ذلك العصر، وجدت مقبرته بدون أية علامات تدل عليها، وبعد فتح تلك المقبرة ونقل كل محتوياتها إلى باريس، عكف علماء الآثار هناك على فحص محتوياتها، وعرض المقتنيات فى المتاحف هناك، ولم يكترث أحد بتلك البرديات التى تم العثور عليها بالمقبرة وقتها



نظرًا لعدم قدرتهم على معرفة ما يوجد بداخلها.. وقد بقيت تلك البرديات لعدة سنوات حتى قام عالم شاب عام 1832 وبعد فك رموز تلك اللغة الهيروغليفية باكتشاف لم يكن فى الحسبان.. فأثناء قيامه بفحص البرديات الموجودة فى المتحف، اكتشف مفاجأة كانت تعد فى هذا الوقت حدثًا خطيرًا فى علم المصريات، حدثًا قد يغير وجه التاريخ، ولكن لأسباب دينية بحتة تم التكتم على هذه المفاجأة، أما باقى البرديات التى وجدت فى مقبرة هذا الكاهن فقد تسببت فى وقوع حوادث غريبة بالمتحف حتى اختفت تمامًا من المتحف فى ظروف غامضة.

اعتدل جاسر قائلًا فى اهتمام:

- ولكن ما طبيعة تلك المفاجأة التى كانت ستغير وجه التاريخ وقتها.

- لم تكن تلك البرديات سوى كتاب يحوى مذكرات مكتوبة لكاهن فرعونى فى تلك الحقبة يسمي سوتى أصغر كهنة المعبد وقتها، وقد تكلم فيها عن أشياء كثيرة، منها ما هو متعلق بكيفية تقسيم برديات تحوت إلى أربعة أجزاء، وأهمية الكتاب وما قاموا به لخدمة رب الأرباب وحفظ الأسرار المقدسة، وذكر أيضًا كيف ولماذا مُحيت أسماء هؤلاء الكهنة الأربعة من سجلات الكهنة..؟، وذلك منعاً لتتبع كتاب تحوت، وذكر أنه كان آخر كاهن متبقٍ من الكهنة الأربعة فى المعبد الجنائزى بعد وفاة الكهنة الثلاثة الآخرين، وقد قام بتسجيل ما حدث ليُحفظ معه بعد وفاته ليتقرب به من الآلهة ويتبرأ أمامهم من أية آثام قد تلحق به.

- كل ما قلته يبدو معروفًا لى يا سيد وليم، فما الاكتشاف المفاجأة فى كل ما قلت..؟

- المفاجأة كانت في بعض البرديات التى لم يعلن عنها بعد أن أخفاها العالم الشاب بعدما عرض ما بها على جماعته الدينية فى ذلك الوقت .



- أية جماعة تلك..؟، وما علاقتهم بما ورد فى البرديات..؟، وما الذى أخفاه هذا العالِم..؟

- ليس مهم ماهية الجماعة.. ولكن يمكنك القول إنها جماعة دينية تهتم بالتاريخ الفرعوني.

تناول جاسر رشفة أخرى من قهوته وهو يهتف ضاحكًا بسخرية:

- فلنقل إنها جماعة يهودية تسعى إلى إثبات شيءتاريخي ووجدوا بغيتهم فى تلك البرديات، وأنتم كأفراد لازلتم تنتمون إلى تلك الجماعة.. لِمَ لا تخبرني أنكم يهود يا مستر صن..؟

بُهت وليم صن من صراحة جاسر، وخاصة عندما أخبره عن تلك الجماعة اليهودية فنظر إليه فى دهشة وهو يهتف:

- من أين لك بتلك المعلومات يا سيد جاسر..؟ يبدو أننا أخطأنا فى تقديرك بالفعل..

تناول جاسر سلسلة مفاتيحه وهاتفه وقام غاضبًا مُنهيًا النقاش، ولكنه ما إن غادر الغرفة فى طريقه لمغادرة المكان حتى استوقفه أحد الأشخاص ليمنعه من المغادرة، بينما حاول وليم تخفيف حدة التوتر الذى ساد المكان قائلًا فى هدوء وهو يشير لذلك الشخص بالتراجع:

- سيد جاسر إننا لسنا أعداء، فلا داعى لتلك العصبية، فالبحث ومحاولة استكشاف الحقائق التاريخية ليس خطأ أو ذنب نرتكبه، فنحن كغيرنا من البعثات الاستكشافية نسعى لهدف واحد.

- نعم ليس خطأ، ولكن احتيالكم على صديقي وخداعه ليقدمكم إليّ،ثم احتيالكم عليّ وكذبكم بشأن مهمتكم، لا أعتقد أن كل هذا هو طريق طبيعي لأى بعثة استكشافية لها نوايا طيبة يا سيد وليم.

- نحن لم نحتال على أحد يا سيد جاسر، صحيح أن صديقك حتى لم



يكـن عـلى علـم بجماعتنـا اليهوديـة ولكننـا كنـا سـنخبرك بحقيقتنـا فى الوقـت المناسـب، ولكننـا فضلنـا إخفـاء ذلـك الآن لوجـود بعـض الحساسـية فى التعامـل مـع اليهـود لـدى بعـض المصريـين الموتوريـن.

- المصريـون ليسـوا موتوريـن..كل مـا هنالـك أن لديهـم عـداء متـوارث معكـم منـذ سـنين يـا سـيد صـن، فهـم يرضعـون كراهيتكـم مـن صـدور أمهاتهـم.

حـاول وليـم صـن تهدئـة جاسـر وهـو يشـير إليـه للدخـول إلى غرفـة المكتـب والجلـوس، وهـو يشـعل سـيجارًا فاخـرًا تناولـه مـن عـلى مكتبـه، ويجلـس فى مواجهـة جـاسر وهـو يسـتدرك فى هـدوء:

- أنـت مخطـئ يـا سـيد جـاسر، هنـاك فـرق بـين اليهوديـة والصهيونيـة، ولتكـن عـلى علـم أننـا لسـنا إسرائيلـين ومنـا مـن لم يـزر إسرائيـل ولـو مـرة بحياتـه، إننـا يهـود وأنتـم فى دينكـم تحترمـون الديانـة اليهوديـة فلِـمَ كل تلـك العصبيـة..؟

- لقد كنت أقصد ......

قاطعه وليم وكأنه لم يسمعه:

- وجماعتنـا تقـوم عـلى أسـس دينيـة محضـة، وليـس لنـا أى علاقـة بدولـة إسرائيـل، كل مـا هنالـك أننـا نبحـث فى شـىء يخـص الأسرة الحاكمـة فى هـذا الوقـت، وأنـت تعلـم مـدى أهميـة عـصر الفرعـون رمسـيس الثانـى بالنسـبة لنـا.

- نعـم ،وأظنـك لـن تحدثنـى عـن أكذوبـة أنـه فرعـون الـذى طاردكـم حينـما شـق موسي البحـر لإنقاذكـم، لأننـا نعـرف جيـدًا أنـه ليـس هـو فرعـون الخـروج وأن إلصاقكـم هـذه التهمـة برمسـيس الثانـى ليـس إلا..

قاطعه وليم مرة أخرى قائلًافى تأفف:

- سـيد جـاسر.. أنـت دائـمًا تسـتبق الحديـث عـن أشـياء لـن نتحـدث فيهـا، لقـد أخبرتـك أنـه ليـس ذلـك مـا يهمنـى،فـما يهمنـى هـو الأمـير ولى عهـد رمسـيس الثانـى ..



- الأمير «خا ام واس»..؟!!

- ولى عهده الأصغريا سيد جاسر.. الأمير «سي أوزير» ..وما نطلق عليه الفرعون المنبوذ

انقبض قلب جاسر بدون سبب عندما ذكر له اسم الأمير،فاستطرد قائلًا فى خفوت:

- أظنك تتحدث عن الأمير أوزير.. فقد علمت أنه ......

قاطعه وليم وهو ينفث دخان سيجاره فى هدوء:

- هل لسانك دائمًا يسبق عقلك دائمًا يا سيد جاسر.. إننى أتحدث عن الأمير «سي أوزير» الأخ الأكبر لولى العهد «أوزير»،والابن الأكبر للأمير «خا ام واس»، فالمقصود هنا هو الأمير «سي أوزير» الذى اختفى فى ظروف غامضة بعد مقابلة الساحر الحبشي، وقبل ولادة أخيه الذى تَسَمي على اسمه.. أعتقد أنك تعلم بقصته أم تفضل أن أقصها عليك..؟

- لقد سبق لى قراءتها فى وقت ما ولكنى لا....

أسكته وليم بأشارة من يده وهو يُخرج كتابًا قديمًا من أحد أدرج مكتبه،ليفتح الكتاب على ورقة مطوية ويقرأ منها على جاسر الذى صمت وكأنه يحاول أن يسترجع بعض مما مر به ..

تحكى القصة أن زوجة الأمير «ساتنى « أو «خا إم واس»ظلت فترة غير قادرة على الإنجاب، وبعد فترة من العلاج بالوصفات السحرية أنجبت زوجة «ساتنى» له ابنًا أسمياه «سيأوزير» أى ابن أوزير، فرح «ساتنى» بالطفل الوليد واهتم برعايته وتربيته وتعليمه،حتى اكتشف «ساتنى» أن هذا الطفل يمتلك قدرات تفوق قدرات أى طفل آخر فى مثل سنه.



و فى إحدى الأيام سمع «ساتنى» أن هناك ساحرًا حبشيًا أتى إلى قصر ملك مصر، ومعه رسالة مغلقة وتحدى كل سحرة مصر إن كان منهم من يستطيع منهم قراءة الرسالة وهى مغلقة، وهدد الساحر الحبشى بأنه إذا لم يظهر فى مصر من يستطيع قراءة الرسالة وهى مغلقة فسيقوم باختطاف ملك مصر وأسره فى الحبشة . .

كانت تلك طامة كبرى، فالساحر الحبشى جاء إلى مصر بالشر، ولن يستطيع أن يوقفه إلا ساحر أقوى منه، ولكن «ساتنى» بكل ما لديه من معرفة بعلم السحر لم يكن يمتلك القدرة على السيطرة على الساحر الحبشى.

وقتها كان «سى أوزير» ما زال صبيًا عندما حدثت تلك الواقعة، وعندما علم بأنها هى سبب حزن أبيه فاجأه بأن أعلن قدرته على قراءة رسالة الساحر الحبشى وهى مغلقة، وأنه مستعد لقبول أى تحدى يأتى به الساحر الحبشى .

و أخبر «سى أوزير» أباه «ساتنى» بأنه عاش من قبل على أرض مصر على هيئة كاهن من كهنة الإله الأعظم «تحوت» ويحفظ تعاويذه الخاصة، وأنه قام بحماية مصر من شر هذا الساحر الحبشى فى زمن سابق (منذ 1500 سنة)، وأنه عاد الآن مرة أخرى إلى الحياة بأمر من تحوت لكى يحمى مصر مرة أخرى من ذلك الشر العظيم، وأن تلك هى المهمة التى جاء من أجلها الى هذه الحياة .

استطاع بالفعل «سى أوزير» أن يقرأ الرسالة المغلقة واستطاع أن يمنع تهديدات الساحر الحبشى بخطف ملك مصر وأخذه أسيرًا إلى الحبشة فاستمر الساحر الحبشى فى تحديه لسحرة مصر وفى كل مرة كان «سى أوزير» يُوقف سحره الأسود ويتفوق عليه ويحمى مصر من شروره .



فقد تحدى الساحر الحبشى سحرة مصر بأن أشعل النار فى قصر الملك فقام «سى أوزير» بقراءة تعاويذ سحرية جعلت الأمطار تسقط وتُطفئ النيران، ثم تحدى الساحر الحبشى المصريين بأن جعل سُحبًا كثيفة سوداء تتجمع فوق قصر الملك، وفجأة أظلمت الدنيا ولم يستطع أى شخص رؤية ما حوله، فقام «سى أوزير» بقراءة تعاويذ سحرية جعلت السحب السوداء تنقشع، وعاد النور لمصر مرة أخرى .

ثم تحدى الساحر الحبشى المصريين بأن ألقى مجموعة من العصى على الأرض فتحولت إلى حيات، فقام «سى أوزير» بإلقاء حزامه على الأرض وقرأ تعاويذ سحرية، فتحول الحزام إلى ثعبان ضخم التهم أفاعى الساحر الحبشى .

ولم يستسلم الساحر الحبشى وإنما ألقى تعويذة فأتى بمقصورة حجرية حبس بداخلها ملك مصر، وعزله عن السماء وعن شعبه، فقرأ «سى أوزير» تعاويذ سحرية أتت بقارب سماوى حمل ملك مصر إلى السماء وأبعدته عن مقصورة الساحر الحبشى الحجرية .

وعند ذلك أدرك الساحر الحبشى أنه مهزوم لا محالة، فقرأ تعويذة لكى يجعل نفسه خفيًا، ويستطيع الخروج من مصر وهو فى هذه الحالة من الخفاء . و لكن «سى أوزير» قرأ تعويذة سحرية جعلت الساحر الحبشى يظهر للعيان فى شكل طائر ووقع فريسة لأحد الطيور الجارحة. وبعد القضاء على الساحر الحبشى وإبطال سحره اختفى «سى أوزير»فجأة وعاد إلى العالم الذى جاء منه، فقد أتى من مملكة «تحوت» فى مهمة محددة هى حماية مصر من شر الساحر الحبشى،وبعد أن انتهت مهمته عاد من حيث أتى.

حزن «ساتنى» لاختفاء «سى أوزير»، ولكن بعد فترة علم أن زوجته



حامل، وعندما أنجبت ولدًاأسمياه «أوزير» على اسم الساحر المبعوث من مملكة أوزير لإنقاذ مصر .

تململ جاسر قائلًافى توتر :

- عظيم جدًّا.. مجموعة من التخاريف توضع فى كتاب تاريخى ..

قهقه وليم عند سماعه هذه العبارة قائلًافى سخرية:

- عجبًا لكم يا عزيزى.. فأنتم من تنكرونما جاء فى تاريخكم واليهود هم من يؤمنون به..ولكن حتى إذا لم تكن مصدقًا لذلك فإن ذلك لايهم، كل ما نريده هو الوصول إلى مقبرة الأمير «سي أوزير» الذى اختفى فى ظروف غامضة.

- وما علاقتى أنا بكل ذلك..؟

- جاء فى البرديات التى وجدت بمقبرة الكاهن «سوتى» والتى كانت بحوذة العالم اليهودى كما أخبرتك أن الكهنة الأربعة «امنى نخت» و»تب رع» و»واخموس» و»سوتى» قاموا بعمل ما مقدس لحماية أسرار الإله تحوت ولذلك تم محو ذكراهم فداء للآلهة، ولذلك تم تقسيم برديات تحوت كما تعلم إلى عدة برديات فى أربعة مقابر مختلفة .

- إلى الآن لم أعلم سبب سعيكم إلىّ بصفة خاصة.. فما حدث هو أننى حصلت على البرديات وقمت بتسليمها، وانتهى الأمر.

تجاهله وليم ليستطرد فى حديثه:

- نحن لا نهتم بموضوع برديات تحوت تلك، على الرغم من احتوائها على الكثير من السحر الأسود، وأيضًا تلك التنبؤات التى تشبه كثيرًا تنبؤات نوستراداموس، ولعل ما يحدث ببلدكم الآن خير دليل على صدق



تلك البرديات..المهم فى برديات «سوتى» هو ذكره أنه كان على علم بمكان مقبرة ولى العهد «سي أوزير» الذى لم يُذكر اسمه أيضًا فى التاريخ، والذى سُجل فى خريطة، ولعله قام بما هو أهم من إخفاء برديات تحوت كما قام الكهنه الأربعة بذلك من قبل، ولذلك كان علينا البحث عن تلك الخريطة الذى ذكر أنها تجزأت إلى جزأين تم وضعهما فى مقبرتين، وأنه أشرف بنفسه على وضع كل نصف من الخريطة فى مقبرتين لاثنين من الكهنة الأربعة،وبما أنه قد تم اكتشاف مقبرة «امنى نخت» والتى كان بها جزء من برديات تحوت وقبلها مقبرة «سوتى»، وبذلك لم يتبقَ سوى مقبرتين أحدهما للكاهن» واخموس» والأخرى للكاهن «تب رع»، وهذا هو سبب اختيارك للتعاون معنا.

اعتدل جاسر فى مقعده قائلًا فى اهتمام:

- ولكنى لم أفهم بعد ما المطلوب منى..؟ ولماذا أنا بصفة خاصة..؟

- لكى نصل إلى ما نريد كان يلزمنا الاطلاع على البرديات التى تم اكتشافها فى مقبرة»امنى نخت»فهو أحد الكهنة الأربعة وربما وجدت ضمن البرديات التى تم العثور عليها بالمقبرة تلك البردية التى تحوى نصف الخريطة التى نبحث عنها والتى قد تدلنا على حل جزء من لغز مكان مقبرة الأمير «سي أوزير»، ولذلك توصلنا بشكل ما للبرديات التى سلمتها أنت للشرطة .

ازدرد جاسر ريقه بصعوبة فهو لم يسلم الشرطة إلا برديات عادية ليس لها أى أهمية، أما الحقيقية فقد قام بإخفائها فى مقبرة الكاهن «تب رع» ولكنه حاول أن يتماسك قائلًا فى هدوء:

- لقد حصلت على البرديات التى كانت بالمقبرة من الأشخاص التى



كانت فى حوزتهم، وقمت بتسليمها إلى الشرطة وقتها دون أن أعرف شيئًا عن محتواها .

- هذا ما أخبرت أنت به الجميع يا سيد جاسر، حتى صديقك الضابط،فقد قام هو الآخر بدوره بتسليم تلك البرديات مباشرة بعد أن حصل عليها منك،حتى وصلت إلى أحد مخازن الأدلة التى ألقتها بإهمال ولا مبالاة على إحدى الأرفف دون حتى الاهتمام بما تحتويه، أتعرف يا سيد جاسر أنكم بارعون فى إفساد كل ما هو ذو قيمة.. المهم هو أننا عندما توصلنا إلى تلك البرديات بمساعدة بعض المصريين تبين لنا أن تلك البرديات مزورة.

هتف جاسر فى توتر وهو يتظاهر بالدهشة:

- ما هذا الهراء الذى تتفوه به..؟، البرديات كانت مزورة..!!!

- لا تتصنع الدهشة يا عزيزى، فتلك البرديات إتضح أنها لا تنتمى أساسًا إلى ذلك العصر، بل كانت مجرد برديات عادية من العصر الحديث لتحضير أحد ملوك الجن، فقد برع الفراعنة فى تحضير الجن وما شابه ذلك، ويبدو أنها أتت من مقبرة لأحد الكهنة الذين كانوا يتصلون بالجن فى صحراء منف.

- وما شأنى أنا بذلك..؟

تطلع فيه وليم بنظرة متفحصة وهو يواجهه مباشرة:

- لسبب ما أنت لا زلت تحتفظ بالبرديات الأصليةيا سيد جاسر، فقد احتفظت بها ولم تسلمها للشرطة، ونتوقع ربما أنك قمت بدفنها فى إحدى مقابر الكهنة الأربعة وفقًا لما ورد ببرديات «سوتى»، ومثلما فعل الأمير «خا إم واس» فى البرديات الأصلية حين دفنها فى مقبرة الأمير «نفر كا بتاح»



وذلك حتى تنتهى اللعنة، وخصوصًا أنك الوحيد فى تلك الأحداث الذى لم تصبه تلك اللعنة، ولنفس السبب قمت بتسليم الشرطة برديات ليس لها أى علاقة بمقبرة الكاهن «امنى نخت» .

فوجئ جاسر بكم الحقائق التى يرويها العجوز، والتى لم يتخيل أن هناك من قد يتوصل إليها يومًا، فهتف وهو يتظاهر بالهدوء:

- أهنئك بخيالك الواسع يا سيد وليم، قصة رائعة لا تعتمد على أية أدلة، فقط محض تخيلات، أعتقد أن كثرة قراءتك فى التاريخ الفرعونى خلقت لديك ذلك الخيال الواسع .

ابتسم وليم وهو يشعل سيجارًا آخر لينفث دخانه فى الهواء قائلًا:

- بالعكس يا سيد جاسر، أنا لدىّ كل الأدلة التى تثبت تلاعبك فى البرديات.. فانتهاء اللعنة التى صاحبت فتح المقبرة والتى حلت على قرية ميدوم، وانتهاء اللعنة التى كادت أن تصيبك أنت الآخر، ودخولك المصح العقلى بعدها لتتعافى من كل ما مررت به من أحداث، كل هذا دليل على أنك أنهيت اللعنة بتلك الطريقة، ولا تنسى أنك الوحيد فى تلك الأحداث الذى لم تصبه اللعنة كما سبق وذكرت لك، فلا تستهين بذكائنا وخبرتنا يا عزيزى،فأنت على علم بمحتوى تلك البرديات التى وجدت بالمقبرة، وكذلك على علم أيضًا بمكان مقبرة أخرى لأحد الكهنة الأربعة، والتى لم يتم اكتشافها بعد.

قاطعه جاسر بتوتر:

- أخبرتك من قبل أنه ليس لى أى شأن بكل ذلك، فلتبحثوا بأنفسكم عن تلك الخريطة أو تلك المقبرة،ولا أهتم بكل ما تتفوه به، وكل ما لدى سلمته للشرطة وانتهى دورى.. وإن كنت تظن أنك ستهددنى فأنت ....



قاطعه وليم بهدوء قائلًا:

- أنا لا أهددك يا سيد جاسر، فنحن لسنا قطاع طرق أو مجرمين، نحن مجرد بعثة تبحث عن مقبرة الأمير ولى العهد، وليس لنا أية مآرب أخرى، وحتى نصل إلى تلك المقبرة علينا أن نتكاتف معًا لتقديم هذا الاكتشاف إلى البشرية.. فهذا الاكتشاف قد يفوق فى أهميته اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ذلك الملك الشاب الذى قتل فى بداية حكمه، أتتذكر تلك الضجة وما العائد الذى جلبته لمصر حتى الآن.. ولتكن على علم بأننا لا يهمنا محتويات المقبرة ولا ذهبها أو أى من ذلك، وإنما سيعود كل ذلك إلى وطنك فى النهاية، كل ما يهمنى هو ذلك الكشف الأثرى والوصول إلى مومياء الأمير الصغير..

- سيد وليم.. أنا لا أهتم بكل هذا.

- حسنا سنتحدث بطريقه اخرى سنضع لك مقابل لتعاونك معنا.. فلنقل مثلًا خمس ملايين دولار فى شيك يستحق الدفع الآن، فبمجرد موافقتك ستحصل على شيك بخمس ملايين دولار، وعند وصولنا إلى مقبرة الأمير الصغير ستحصل على عشر أخرى..

- ما الذى يضمن لك أننى لن أقوم بصرف الشيك والهرب منكم بعدها..؟

- لن تفعل يا سيد جاسر، فعيوننا عليك دائمًا حتى قبل حتى وصولنا للقاهرة، صدقنى يا عزيزى أنت لا تتعامل مع مجرمين، فنحن بعثة دينية أثرية تضم علماء محترمين، فقط دعنا نثبت لك حسن نيتنا.. تعاون معنا وسترى أن حياتك ستتغير تمامًا.. فلن يكون لديك مشاكل فى تحقيق أحلامك.. فكر جيدًا فى الأمرفلن تأتى إليك تلك الفرصة مرة أخرى..

- لقد أخبر.....



قاطعه وليم وهو يشير إليه فى هدوء:

- لا تكن متعجلًا يا سيد جاسر.. سأتركك أسبوعًا كاملًا لتفكر بروية فى الموضوع، وسوف أقابلك فى المقهى الخاص بصديقك لأعلم منك رأيك فيما قلته، وصدقنى بموافقتك ستكون قد قدمت خدمة لبلدك ولنفسك وللتاريخ ولنا أيضًا، عندما نكتشف مقبرة الأمير الصغير، وسر محو ذكراه هو الآخر من التاريخ ..

لم يرد جاسر بالإيجاب أو حتى بالرفض، فقد كان بحاجة إلى التفكير فى العرض بالفعل..لذلك استأذن فى الانصراف وقام وليم بتوصيله حتى باب المكتب وتركه بعد أن إتفقا على اللقاء بعد مرور المهلة التى أعطاه إياها للتفكير..

كانت الساعة تقارب السابعة مساءً حينما استقل سيارته عائدًا حينما أدرك وقتها أنه رغمًا عنه قد وضع أقدامه فى مغامرة أخرى لا يعلم مداها إلا الله ..

انطلق جاسر بالسيارة فى طريق العودة، حينما شعر فعلًا أنه لا يزال مُراقبًا من تلك السيارة الزرقاء، ولكنه حاول أن يتجاهل الأمر وهو ينظر إلى هاتفه للمرة العاشرة، فقد كان ينتظر تلك المكالمة التى يبدو أنها لن تأتى أبدًا..

****

فى هذه الأثناء كانت مروة ما زالت فى النادى تجلس مع صديقتها، وعينيها لا زالت تراقب نسرين التى لم تنتهى بعد من مقابلة العمل مع صديقة مروة، حتى انتهت أخيرًا تلك المقابلة بعد إتفاقهما على العمل الذى سيجمع بينهما، ولم تكد نسرين ومروة تجلسان وحدهما حتى بادرت مروة قائلة وهى تبتسم :



- لقد أُرهقتى اليوم كثيرًا يا نسرين، أتمنى أن تكونى قد وفقتى فى الاتفاق على ذلك العمل..

- بالطبع يا مروة، أنا بالفعل مدينة لكِ بالشكر..فأنتِ لاتعلمين أن من أهم طموحاتى أن أبدأ عمل خاص بي، وبمقابلتى مع السيده روز أفادتنى كثيرًا بخبرتها فى هذا المجال..

- حسنًا ما رأيك فى أن نحتسى قليلًا من القهوة سويًا، فلدى الرغبة فى أن نصبح أصدقاء، إن كان هذا يناسبك طبعًا.

- هذا من دواعى سرورى بالطبع يا مروة،شىء جميل أن تكون صديقتى طبيبة نفسية،فكلنا نحتاج فى بعض الأوقات إلى صديق يسمعنا ونشكو إليه من ضغوط الحياة اليومية، فماذا إذا كان هذا الصديق طبيبًا نفسيًا.

- على الرحب والسعة دائمًا يا صديقتى.

وسارا سويًا حتى وصلا إلى إحدى القاعات المكيفة بالنادى وطلبا فنجانين من القهوة، وظلا يتحدثان حتى وصلت أخيرًا مروة إلى ذلك الموضوع الذى أرادت التحدث بشأنه، ونسرين تستدرك قائلة :

- لا يا مروة لقد تمت خطبتى مرة واحدة فقط، والحمد لله أننى قد تخلصت أخيرًا من ذلك المعتوه،ولكنه يطاردنى حتى الآن للرجوع إليه، ولا أستطيع الفرار منه فهو يلاحقنى دائمًا.

- ولكنى أشعر أن هناك شخصًا آخر يهتم بكِ كثيرًا.

- شخصًا آخر..!!، ومن هو ذلك الآخر..؟

- لا تحاولى إخفاء الأمر يا عزيزتى فقد رأيتكما بالأمس وشعرت أن هناك أمرًا ما بينكما..



- من..؟!، أتقصدين جاسر..؟!

- بالطبع يا عزيزتى.

تناولت نسرين علبة سجائرها لتسحب منها سيجارة لتسمح لنفسها التحدث بهدوء عن هذا الموضوع، وقدمت إحداها إلى مروة التى نظرت إليها بشغف لكنها أشارت إليها قائلة:

- أشكرك..فلم أعدأنتوى الرجوع إليها مطلقًا.

أشعلت نسرين سيجارتها وهى تنظر فى عينى مروة قائلة:

- ألاتعلمين أنها تعطى للسيدة جاذبية خاصة مع نظرة عينيها؟

- على حسب تلك النظرة يا صديقتى.

- نعم فنظرةالمرأة تحمل العديد من المعانى، خاصة تلك النظرةالتى لها قوة المغناطيس لجذب من تريدين وقتما تريدين..

- ثم..؟!!

- ثم تطفئينها وقتما تريدين بطرف أصابعك أوبنعل حذائك..

قالتها وهى تطلق ضحكة شيطانية ،مما جعل مروة تتوتر بشكل ملحوظ، فهى لن ترد أبدًاذلك المصير لجاسر، ولكنها نجحت فى كتم مشاعرها، وهى تتطلع إلى عيني نسرين مباشرة قائلة:

- دعينامن الحديث عن سجائرك الآن، ولتخبرينى عن جاسر..

- أنتِ صديقته.. أليس كذلك يا مروة..؟

أعرفه منذ فترة قصيرة، ولكنه صديق لابنتى فهى معجبة جدًا بمؤلفاته وموقعه على الإنترنت، ولكن ما رأيته منه بالأمس كان كفيلًا بأن أجزم أنه لايحبك فقط، وإنما يعشقك



إبتسمت نسرين فى جذل قائلة:

- إذًا فقد رأيتى ذلك المجنون بالأمس.. أعتقد أن الجميع قد شعر بنظراته نحوى.. حتى أننى قد خجلت كثيرًا، فكلما نظرت إليه أجد عينيه لا تتحرك بعيدًا عنى وكأنما لا يوجد بالحفل سواى، أتعلمين أنه.....

قطعت حديثها فجأة وهى تشعر بالتردد، فشجعتها مروة على الاستمرار قائلة:

- أكملى يا عزيزتى، فأنا لن أخبره شيئًا فهو ليس صديقى كما سبق أن أخبرتك، وإن كنتِ لا تودين الحديث فى ذلك الموضوع فأنا أعتذر عن تدخلى فى حياتك الشخصية طبعًا.

- لا تقولى ذلك يا عزيزتى.. ثم أن جاسر لا يخفى عنى شيئًا قط.

وضحكت بزهو بينما حاولت مروة ضبط أعصابها بشدة، فقد كانت تتوقع ما تريد نسرين قوله، لذلك رسمت على وجهها تلك الإبتسامة لتشجع نسرين على الإستمرار ونسرين تستدرك :

- أتعلمين أنه أثناء رجوعنا صارحنى بأنه يحبنى ويهيم بي، بل ولا يستطيع العيش بدونى، وكثيرًا من هذا الكلام الصبيانى..

رفعت مروة حاجبيها وهى تتصنع الدهشة قائلة:

- بهذه البساطة..؟!!، إن جاسر يبدو من ذلك النوع الكتوم، فكيف صارحك بتلك السهولة..؟

تناولت نسرين نفسًا عميقًا من سيجارتها ونفثته بهدوء بجانب شفتيها قائلة فى غرور:

- أنا من دفعته لمصارحتى بحبه.. ولكن لماذا..؟، أنا نفسي لا أدرى لماذا



فعلت ذلك.. لقد سألته فقط عما كان يحبنى، ولكنى فوجئت بطوفان من تلك المشاعر الصبيانية.. ولأصدقك القول فجاسر من أفضل أصدقائى فى السنوات الماضية، إن لم يكن أفضلهم على الإطلاق.. فقد كنا دائمًا قريبين من بعضنا البعض، لكن تلك هى مكانته عندى.. مجرد صديق لا أكثر.. فأنا أراه شخصًا كسولًا بطبعه، دائم الشكوى، لا يتوقف عن الحديث عن مشاكله ومشاغله والأزمات التى يتعرض لها، وأنا لا أستطيع تحمل ذلك حتى كصديقة.. فلديه طاقة سلبية تكفي الكون بأكمله، وهذا النوع من البشر يمرضنى فعليًّا، فلديهم القدرة على تحويل طاقتهم السلبية إلى الآخرين.

- أتكون الظروف المادية هى سبب رفضك له..؟

- إطلاقًا يا عزيزتى، فقد عودنى والدى على أن الحياة ليست فى المادة فقط، ولى مطلق الحرية فى الارتباط بأى رجل أختاره مهما كان مستواه المادى أو الاجتماعى، وسيوافق أهلى بالطبع على اختيارى، فهم يريدون سعادتى ..

- ولكن جاسر....

قاطعتها نسرين قائلة في لا مبالاة :

- لا شيء يجبرنى على أن أرتبط بشخصية هشة مثله، تعيش في عالم الأساطير والحب الأفلاطونى، أما أنا فأحلامى وطموحاتى ليس لها حدود، وشخصية مثل جاسر ستكون قيد فى رقبتى يربطنى إلى الأرض التى أود الطيران عنها في حالة ارتباطى به.. أتعلمين أنه بعد أن صارحنى أمس ظل يهاتفنى بإلحاح منذ الصباح حتى اضطررت أن أجعل إحدى النادلات ترد عليه على أنها مساعدتى لتخبره أنى في اجتماع ليتوقف عن الاتصال بى..

- ولماذا يا نسرين..؟

- لكى يعلم أن مكانته لا تتعدى كونه صديق فقط وليس حبيبًا، ولا



يعطى لنفسه حجمًا أكبر من حجمه.. لقد قررت أنى سأتركه يومين حتى يعود إلى صوابه وبعدها سأهاتفه وسنرجع كما كنا ..فأنا على ثقة تامة أنه لن يستطيع البعد عنى.

كانت مروة تشعر بالغضب الشديد، وكأنها تشعر بذلك الجرح الغائر الذى ستتركه نسرين لجاسر حين يعلم بالحقيقة، ولكنها حاولت كتم مشاعرها مرة أخرى وهى تقول:

- ويعود بالطبع بعد أن صارحك بمشاعره..؟، بالرغم ما سيسببه ذلك له من شعور بالإهانة وجرح كرامته وكبريائه كرجل بعد أن دفعتيه إلى الاعتراف لكِ بحبه؟

- صدقينى أنا نفسى لا أعلم لما فعلت ذلك، ربما بدافع الفضول، أو ربما لإرضاء غرور الأنثى بداخلى..لا أعلم، ولكن ما الداعى لأن أرهق نفسى بالسؤال وأنتِ هنا، ألستِ طبيبة نفسية..ربما استطعتى أنتِ معرفة السبب .

- أتعلمين يا عزيزتى كيف يكون شعور الإنسان حين يُجرح قلبه؟ إن جرح القلب هو خطيئة أكبر من القتل أحيانًا، فحين يُجرح قلب أحدهم يفقد أى معنى للحياة، فلا هو حى تدب فيه مظاهر الحياة، ولا هو ميت سلبه الموت تلك الروح الجريحة، إنه يسعى تائهًا فى ذلك البرزخ بين الاثنين، ضائع يبحث عن ذاته، يحاول التماسك واستعادة نفسه من جديد، وحين يقرر العودة إلى الحياة فإنه لا يعود كما هو وإنما يعود وقد فقد الشعور بالأمان، فاقد الثقة فى كل شىء حتى نفسه، يشعر دائمًا وكأن كل موقف يمر به هو محاولة أخرى لإيذائه، يثور ويغضب لأتفه الأسباب دون أن يدرى من حوله أنهم ربما مسوا جرحه الذى لم يبرأ دون قصد ولا علم منهم،يضحك ويتعايش فيظن الناس أنه قد برأ من جرحه الذى يظل نازفًا أبدًا يؤلم



صاحبه كلما مسته الذكرى، صدقيني يا نسرين حين يتحطم قلب أحدهم لن تكفيه اعتذاراتك ولن تشفع لكِ صداقة ولا حب، لا أفهم كيف تأخذين الأمر ببساطة وتتعاملين معه بكل ذلك التهكم وتلك السخرية..؟!!، فالله وحده يعلم ما شعوره الآن..

نفثت نسرين دخان سيجارتها في لا مبالاة غريبة، وكأنها قُدت من حجر، قائلة:

- سيتحسن يا عزيزتي، ربما بعد فترة، ولكنه سيكون أفضل فيما بعد فلا أحد يموت من أجل أحد، ومن يدري ربما يكون حزنه وألمه الآن أفضل من ندمه فيما بعد..

رمقتها مروة بنظرة ساخرة وقلبها يعتصر حزنًا من أجل جاسر:

- ربما.. وربما يكون ألمه الآن أفضل من ألمه عندما يلقى مصيره في مطفأة السجائر يا عزيزتي.

ظلا يتحدثان قرابة الخمسين دقيقة، لم تتوقف نسرين خلالها عن التدخين لحظة واحدة..





(6)

إن مواجهـة الـذات بالحقيقـة ربـما تكـون قاسـية.. أن تواجـه أكـبر مخاوفـك وأكثـر أحلامـك جموحًـا.. أن تفهـم دوافعـك ومشـاعرك،أن تقـر بأخطائـك وتـدرك مواطـن ضعفـك، كل ذلـك ربـما يكـون صعبًا ولكنـه بداية الطريـق نحـو النـور، نحـو اكتشـاف حقيقتـك وكأنـك تولـد مـن جديـد



كانت الساعة تقارب الواحدة صباحًا عندما شعر جاسر باهتزاز جواله الذى غفل وهو يُمسك به في انتظار تلك المكالمة،فهب مفزوعًا داعيًا الله أن تكون هى من تحادثه، لكنه وجد أن المتصلة هى مروة التى بادرها قائلًا:

- طمئنينى.. ماذا حدث..؟

- اعذرنى لأننى تأخرت فى الاتصال بك يا جاسر، فقد انشغلت مع بعض صديقاتى الذين..

قاطعها جاسر في لهفة، وقد طار النوم من عينيه:

- أتحدثتى مع نسرين كما اتفقنا..؟،أم لم تُتح لك الفرصة..؟أنا لم أتصل بها كما أخبرتينى، لعلها تشعر بأنها أخطات فى حقى..وهل تحدثتما سويًّا..؟

- قاطعته مروة وقلبها يعتص ألمًا من أجله :

- هى لن تتصل بك مرة أخرى يا جاسر.. لا أدرى كيف أخبرك بالموضوع،فقد حاولت كثيرًا أن أؤجل الاتصال بك، ولكن أنت صديقي ولا أريدك أن تظل فى تلك الحالة.

اكفهر وجهه ليتحول لونه إلى صفرة الموت قائلًافى صوت متقطع:

- ما الأمر يا مروه..؟، أخبرينى ما الذى حدث..؟

- هذه الأمور لا يُتحدث فيها عبر الهاتف يا جاسر، هل تستطيع المرور علىّ في العيادة غدًا.

- هل الأمر يستدعى ذلك..؟

- الأمر يستدعى أكثر من ذلك يا صديقى، لكن كل ما أريده منك أن تتقبل الموضوع بصدر رحب.. لا تفكر فى تلك الفتاة المعقدة نفسيًا مرة أخرى، سأشرح لك كل شيء عندما نتقابل غدًا.. ولكن بالله عليك لا تحزن يا جاسر فأنا أشعر بك الآن.. وأعرف أنك مذهول بما أخبرك به، لكن



صدقنى هى من ستتصل بك خلال يومين لتخبرك بما سأخبرك به، فإذا حدث أخبرها أنك فكرت كثيرًا فيما قلته لها، وأنك تشعر بتسرعك فى الحكم على مشاعرك، وأن العلاقة بينكم لا يجب أن تتخطى حدود الصداقة، أشعر كم تتألم الآن، ولكن حاول أن تلملم شتات نفسك، ولا تدعها تشعر حتى بالأسي من أجلك،فأنت أقوى مما تتخيل يا جاسر..سأتركك الآن ولكنى سأنتظرك في الغد..

أنهى جاسر الاتصال فى هدوء دون أن ينبس ببنت شفة..لم يكن يصدق ما تسمعه أذناه.. لو أن أحدًا غير مروة قال له ذلك لما صدقه، هل باح بمكنون قلبه بهذه السهولة، أتكون حبيبته قد استدرجته ليبوح لها بحبه لتسخر منه فقط، أم لترضى غرورها؟ هل كانت تلك اللحظات وتلك المشاعر محض أوهام وتخيلات؟

ألقى بجسده المرهق على السرير وقد شعر أن يدًا باردة تعتصر قلبه بلا رحمة...

****

في صباح اليوم التالى كان جاسر يشعر بألم وغضب جارف ولكنه حاول أن يتمالك نفسه بعد تلك المكالمة، وقد قادته قدماه إلى المقهى الخاص بآدم، الذى كان يجلس مع راشد فى هدوء، فما كان من جاسر إلا أن ركل المنضدة التى وسطهم فوقعت أكواب الشاى الساخن الموضوعةعليها، وأصابت آدم بحروق على فخذيه مما جعله يصرخ من الألم، وسط دهشة راشد الذى تمالك نفسه وهو يهتف بجاسر:

- ماذا بك يا جاسر..؟، ما الذى حدث لك..؟

- أخبرنى أنت ماذا الذى حدث لك أيها الخائن..؟

أصابت كلماته راشد بالصدمة وهو يحاول تهدئة جاسر قائلًا:



- خائـن..؟، هـل جننـت يـا جـاسر، اجلـس واهـدأ، ولا تجعلنـا عرضـة للمشـاهدة.

تأفـف آدم مـن جـاسر ولكنـه قـدر أنـه ربـما يكـون هنـاك مـا يغضبـه لهـذه الدرجـة، فدفعـه برفـق ليُجلسـه رغـمًا عنـه، وانشـغل في تجفيـف بنطالـه، بينـما واصـل جـاسر هتافـه في عصبيـة موجهًـا كلامـه لراشـد:

- أنـت تعلـم جيـدًا مـا الـذى حـدث..؟ تعلـم مـن هـم الذيـن دفعـوك لأن تـزج باسـمى فى أمـر لا طاقـة لى بـه..

- أنـت تقصـد العمـل مـع تلـك البعثـة.. لقـد أوصلتهـم إليـك ليكـون لـك نصيـب في ذلـك الكشـف الـذى سـوف يعـد تاريخيًـا و...

ضحك جاسر في سخرية مقاطعًا وهو يهتف به مستهزئًا:

- كشـف..؟ وتاريخـى..؟، أى كشـف أيهـا الغبـي؟، ألم تعلـم بعـد أنهـم بعثـة مـن اليهـود لاكتشـاف شيء قـد يخـدم مصالحهـم حتـمًا..

تحول وجه راشد إلى الصفرة وهو يهتف :

- يهـود..!!، أقسـم لـك إننـى لا أعلـم عنهـم سـوى أنهـم بعثـة إنجليزيـة، جـاءت مـصر فى مهمـة ليسـت رسـمية،وكل مـا تريـده.....

قاطعه جاسر وهو يهتف في غضب:

- كل مـا تريـده هـو تلـك البرديـات الملعونـة.. هـل كنـت تظـن ذلـك أيهـا الغبـي..؟، إن تلـك البرديـات التـى وصلـوا إليهـا عـن طريقـك بشـكل ملتـوٍ كعادتـك دائـمًا،تبين لهـم بعـد اطلاعهـم عليهـا أنهـا ليسـت مـا يريـدون، وبفضلـك طبعًـا عرفـوا كل شيء، وعرفـوا أيضًـا أننـى مـن سـلمها إليـك، بـل وأوصلتهـم إلىّ ليكملـوا مـا بـدأوه، ويحققـوا هدفهـم، كـم مـن الأمـوال دفعـوا لـك يـا راشـد.

أشار إليه راشد محاولاً تهدئته وهو يخفض صوته قائلًا:



- جاسر.. اخفض صوتك، أقسم لك إن الأمر ليس كما تراه، فأنت تعلم أنى لست من ذلك النوع الذى يقبل أن يرتشى أو يبيع صديقه،كل ما حدث أنهم طلبوا على الاطلاع على تلك البرديات، فأطلعتهم عليها بالفعل لكنهم أصيبوا بخيبة أمل بعد فحصها، وطلبوا منى إخبارهم بمسار تلك البرديات منذ أن خرجت من مقبرة ميدوم، فأخبرتهم بكل شيء، فطلبوا منى تقريرًا مفصلًا عنك، و......

قاطعه جاسر في غضب وهو ينظر إليه باستنكار:

- وقدمت التقرير لأسيادك بكل شىء عنى، ليرضوا عنك، ولتضعنى أنا فى موقف لا أحسد عليه.

لم يستطع راشد النظر في عينى جاسر فقال وهو يخفض نظره:

- لك كل الحق فى الحديث هكذا، لكنى أقسم لك إننى لم أكن أعلم أنهم يهود، كل ما أعرفه أخبرتك به، ولتعلم أنى كنت مضطرًا لمساعدتهم.

هتف به جاسر في استنكار:

- مضطرًا لمساعدتهم..؟!!

- نعم يا جاسر.. فإن كان هؤلاء أظهروا لك الجانب الطيب فقد أظهروا لى الجانب السيء.. فأنا ليس لدى سوى طفلة وحيدة كما تعلم، وعندما هددونى بها بشكل غير مباشر، خفت يا جاسر، نعم خفت، فقد أنجبتها بعد صراع طويل مع مرض زوجتى، وليس لدينا حياة إلا مع ابنتنا، فإذا أصابها مكروه لن أسامح نفسي أبدًا.. أنا آسف يا صديقي، كان علىّ إخبارك منذ بداية الأمر، لكنى أقسم لك إنه لو شعرت للحظة أن هناك ذرة خطر عليك وعلى حياتك فستنقلب حياتهم فى مصر إلى جحيم..

قالها وتناول سلسلة مفاتيحه وانصرف وسط دهشة آدم الذى لم يفهم شيئًا مما دار فقد انشغل أكثر بمحاولة تجفيف ملابسه، والتخفيف من ألم الحروق،



وجاسر الذى انشغل فكره بشيء ما بعيد.. مما جعله يتناول هاتفه فى رعب ليتصل بأخيه الذى لم يرد على اتصالاته منذ إسبوعين.

خطر فى باله ذلك الخاطر السيء الذى أوحى به إليه حديث راشد منذ دقائق،فحاول الاتصال بزوجته ولكنها لم تُجب هي الأخرى، تذكر فجأة أن لدى شقيقه صديق يعمل فى نفس المكان، ولكنه ليس لديه سوى بريده الإلكترونى ..

اعتذر لآدم عما بدر منه، وسارع إلى منزله ليفتح بريده الإلكترونى ويرسل رسالة لأمجد ذلك صديق أخيه ليسأله عن أخبار شقيقه، فلابد أنه قد رآه فى الآونة الأخيرة.. انتظر بجوار جهاز اللاب توب الخاص به إلا أن الرسالة لم يتم قراءتها..

كان القلق يعصف به مما دعاه إلى النظر فى ساعته،التي كانت تقارب السادسة، فتذكر أن لديه موعد هام مع طبيبته النفسية لإخباره بما حدث..

حاول جاسر أن يطرد من رأسه تلك الأفكار، وهو يستقل سيارته في طريقه لمقابلة مروة، وطوال الطريق لم يتوقف عن التفكير لحظة فيما حدثته به مروة، هل أخطأ عندما صرح بحبه إلى نسرين..؟، هل أخطأ حينما قطع ذلك الخيط الرفيع بينه وبينها..؟ لقد أخبرها أن الصداقة قد تتحول إلى حب، لكن من المستحيل أن يتحول الحب إلى صداقة، مستحيل أن يعودا أصدقاء مرة أخرى بعد أن رفضت حبه، ليته لم يُصرح لها واحتفظ بها كصديقة.

كان يشعر فى آخر لقاء بينهما أنه يفترق عنها، تبًا لتلك الرؤى التي أصبحت تراوده حتى في يقظته، لتخبره ما يخبئه له قدره السيء..

ظلت تلك التساؤلات والأفكار تدور برأسه حتى جلس أخيرًا أمام مروة، التى لم تتوقف عن الحديث طوال عشر دقائق كاملة وهى تقص عليه ما دار بينها وبين نسرين والتى لم تقصه بأكمله بالطبع حرصًا على كرامته



الجريحة، وجاسر يستمع إليها بصمت دون أن ينبس بكلمة، مما جعلها تستدرك قائلة :

- هذا فقط ما دار بيننا بالحرف يا جاسر..نعم هناك الكثير الذى لم أقصه عليك مراعاة لمشاعرك أو ربما لأنه لا يهمك فى شيء،لقد كذبت عليها حينما أخبرتها أنك لست صديقى، ولكن ذلك كان من أجلك يا جاسر فأنت بالفعل لست صديقى وإنما أنا أعتبرك أخى.. أعرف أن الأمر صعب عليك، ولكن يجب أن تتماسك وتتخطى الأمر.

كان جاسر ينظر إليها فى ذهول غير مُصدق لما سمعه من مروة وما فعلته نسرين، وهو يتمتم قائلًا:

- لكنى لا أفهم يا مروة..؟، لما دفعتنى إلى مصارحتها بحبى لها..؟ كنت مكتفيًا منها بمنزلة الصديق المقرب التى تجعلنى أراها يوميًا وأهاتفها وأحدثها بما يضيق به صدرى..وهى كذلك أيضًا.. لِمَ فعلت هذا وهى تعلم أنها ستخسرنى بما فعلته..؟ لِمَ يا مروة..؟ لِمَ..؟

ربتت مروة على كتفه لتهون عليه قائلة:

- أعرف أنك لا تصدق ما فعلته نسرين.. ولكنك يجب أن تهدأ يا جاسر وتستوعب الأمر.

أكمل جاسر وكأنه لم يسمعها:

- إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لها، لماذا إذًا أخبرتنى أنها وضعت صورة خطيبها السابق على هاتفها لتحثنى على الاعتراف لها..؟لماذا ذكرت على صفحتها الشخصية على موقع التواصل الاجتماعى ليلة اعترافى لها أنها قد قضت أسعد ليلة فى حياتها فى حفل عيد الميلاد..؟ لماذا..؟

- ربما يكون بدافع الفضول يا جاسر، وربما هي غريزة الأنثى، وربما يكون ......



توقفت عن كلامها فجأة وكأن هناك ما تفكر به أو تخفيه، فاستحثها جاسر قائلًا:

- وربما ماذا يا مروة.. أنتِ صديقتى فلا تخفى عنى شيئًا.

- ربما حاولت استخدامك كأداة لإثارة غيرة خطيبها السابق، فإصرارها على أن تظل على علاقة به بعد فسخ خطبتها، وإدعائها أنه يطاردها، محاولة إظهارك فى صورة الحبيب من خلال ما ذكرته على صفحتها، أعتقد أن كل ذلك لإثارة غيرته ودفعه إلى ما خططت له منذ البداية، وهو العودة إليها من جديد.

هز جاسر رأسه بشدة ليطرد منها تلك الفكرة التي جرحته بشدة:

- لا يمكن ذلك.. لا يمكن أن يصل بها الأمر إلى جعلى مجرد دمية فى يدها لإثارة غيرة أخر..لا يمكن يا مروة.

- أدرك صعوبة الأمر عليك، ولكن يجب أن تواجه نفسك بالحقيقة مهما كانت قسوتها يا جاسر، إن مواجهة الذات بالحقيقة ربما تكون قاسية، أن تواجه أكبر مخاوفك وأكثر أحلامك جموحًا، أن تفهم دوافعك ومشاعرك،أن تقر بأخطائك وتدرك مواطن ضعفك، كل ذلك ربما يكون صعبًا ولكنه بداية الطريق نحو النور، نحو اكتشاف حقيقتك وكأنك تولد من جديد، واجه نفسك يا جاسر وستدرك الحقيقة وحدك دون أن يخبرك بها أحد.

كان جاسر ينظر إليها بوجوم وقد شعر بكلماتها وكأنها تهزه بشدة ليفيق من ذلك الوهم الذى يعيش فيه، ولكن تلك التساؤلات ظلت تلح عليه بشدة، فتمتم في حزن:

- أتكون نسرين هي تلك الشخصية المتغيرة القاسية من داخلها لدرجةإنها تقوم بايذائي بهذه الصوره..؟، وكيف لم أشعر بذلك..؟

- أحيانًا يطمس الحب على العيون فلا ترى إلا ما يراه القلب فقط، إن



نسريـن يبـدوا انهـا شـخصية مغـرورة لا تـرى ألا نفسـها ورغباتهـا..لا تكتمـل نشـوتها وشـعورها بالنـصر الا مع وجـود جمـع مـن الرجـال حولهـا تجـذب ذلـك وتشـعر بأعجـاب أخـر وقـد تسـتميل ثالـث وذلـك يـذوب مـن نظراتهـا،ولكـن تظـل متعتهـا الوحيـدة فى أن تُلقـى بهـم بعيـدًا وأن تحـرق أفئدتهـم وتجـرح مشـاعرهم،مثلما تُلقـى بسـيجاراتها بعـد أن تنتهـى منهـا دون اكـتراث، مثلـما فعلـت بخطيبهـا السـابق كـما روت لى، ومعـك أنـت أيضًـا، هـى نفسـها لا تعلـم لِمَ تقـوم بتلـك الأفعـال.. فهـى تشـعر وكأنهـا ملكـة متوجـة تمـشي عـلى الأرض، هـي أولًا والجميـع يـأتي بعدهـا..

- كنت أشعر أحيانًا بهذا الغرور ولكن.....

- ولكنـك كنـت تتجاهـل أي شيء قـد يشـوه صـورة ذلـك الحـب بداخلـك، لذلـك لم تلاحـظ أنهـا إنسـانة تجـد متعتهـا مـع مـن يعاملهـا بقسـوة مثـل خطيبهـا السـابق، وربـما كان ذلـك سـببًا في رغبتهـا بالانتقـام لكرامتهـا مـن أي رجـل حولهـا،حتـى وإن كانـت تكـن لـه بعضًـا مـن مشـاعر الصداقـة أو الحـب..

- هل يدفعها ذلك لإهانتى بهذا الشكل..؟

- هـى نفسـها لا تعلـم السـبب ..لقـد وجـدت فقـط متعتهـا المنشـودة ياجـاسر عندمـا شـعرت بمشـاعرك نحوهـا، وهـو مـا دفعهـا للضغـط عليـك حتـى تضعـف وتصارحهـا بحبـك، ولم تكـن لتجـد أفضـل مـن تلـك الليلـة حيـث كانـت عينـاك تنطـق بالعشـق لهـا، لقـد حاولـت تحذيـرك حينهـا يـا صديقـي ولكنـك لم تكـن تـرى أو تسـمع سـواها، إن الحـب الحقيقـى هـو مـا يعطيـك القـوة لتواجـه الدنيـا دون أن تـتردد لحظـة واحـدة في الإفصـاح عـن مكنـون قلبـك، أمـا المشـاعر الزائفـة تلـك التـي تجعلـك ضعيفًـا مـترددًا خائفًـا دائمًـا مـن خسـارة مـن تحـب.

- ولكنهـا أهانتنـى.. هـل كنـت أنـا مـن أعطيهـا الكثـير مـن طاقتـى السـلبية وأؤثـر عليهـا وعـلى صحتهـا و.....



قاطعته مروة في هدوء قائلة:

- إنها تجيد لعبة الإسقاط النفسي ..

- إسقاط نفسي..؟

- نعم.. فهو حيلة دفاعية لا شعورية ينسب فيها الفرد عيوبه ورغباته المحرمة والعدوانية للناس الأقرب اليه حتى يبرئ نفسه ويبعد الشبهات عنها..فالكاذب يتهم معظم الناس بالكذب، وهكذا، وفى حالة نسرين فإنها هى من تعانى من طاقة سلبية وتكثر الشكوى المستترة لإجترار عطف الآخرين فهى تارة تجذب الناس إليها باصطناع اللطف، وتارة بإدعاء الحب ،وتاره بأى حجه أخرى ولديها عشرات الحجج لكن كل ذلك عبارة عن أقنعة ترتديها، وربما كانت الشخصية الحقيقية لها هى من كانت تحدثنى بالأمس لأنى كنت غريبة عنها، لذلك لم يكن هناك داع لإرتداء أى قناع، وربما ذلك لأنها تعلم أنى طبيبة نفسية ولن تجدى معى الأقنعة..

تنهد جاسر بعمق وهو يتراجع على مقعده ويضع يده على صدره وكأنما يحاول أن يوقف دقات قلبه التي كادت أن تقتله ألمًا، وهو يتمتم في حزن:

- أشعر أن قلبى يتمزق وكأن خنجرًا مغروسًا فيه لا أستطيع اقتلاعه، رغم كل ما مر بى إلا أننى لم أشعر قبل اليوم بكل ذلك الألم والحزن، ليتنى ما عرفت الحب يومًا.

- لم يكن ذلك ذنب الحب يا صديقى، إنما هو ذنب أولئك الذين يتدثرون بردائه ليخدعوا ويجرحوا ويخونوا ويتخلوا عن قلوب لم تنبض إلا لهم، قلوب أرادت لهم كل الخير والسعادة، في الوقت الذى أرادوا لها الألم فقط، انساها يا جاسر فذلك لم يكن حبًّا حقيقيًا أبدًا، الحب الحقيقى هو ما يُرضى قلبك وعقلك دون أن يستثنى أحدهما، الحب الحقيقى ليس أعمى



كـما يقولـون، ولكنـه ناضـج حكيـم يعـرف طريقـه جيـدًا لتلـك القلـوب النقيـة التي تـدرك قيمتـه، فترحـب بذلـك الزائـر العزيـز الـذى قـد لا تقابلـه سـوى مـرة واحـدة في العمـر.

أومـأ جـاسر برأسـه بصمـت وهـو يسـتمع لمـروة محـاولًا أن يتمـاسـك فقـد كانـت المصائـب تتـوالى عليـه.. وقـام مسـتأذنًا في الانـصراف

انطلـق جـاسر بسـيارته في شـوارع القاهـرة الشـوارع دون هـدف، وكأن الجميع قـد اتفـق ضـده، حبـه الـذى صدمـه بقسـوة، وصديقـاه راشـد وآدم بعـد أن تشـاجر مـع راشـد، حتـى شـقيقه الـذى لا يعلـم عنـه شـيئًا إلى الآن..حتـى هوايتـه في الكتابـة بـدأ يمـل منهـا..

عـاد إلى منزلـه فى المسـاء، ولدهشـته لم يجـد أثـرًا لتلـك السـيارة التـى كانـت تراقبه..كانـت الشـقة غارقـة فى الظـلام، تذكـر تلـك الليلـة الـذى عـاد فيـه إلى المنـزل ليجـد بدزمـيران ملتصقًـا بمخدعـه.. حتـى اسـمه أصبـح يصيبـه بالتوتـر والخـوف، فقـد يتهـرب مـن ذكـره حتـى بينـه وبـين نفسـه.. فهـو لا يريـد تذكـر تلـك الأحـداث المريـرة التـى مـر بهـا..

ألقـى بجسـده المرهـق عـلى السريـر، وقبـل أن يذهـب في النـوم،أمسـك بهاتفـه وتفقـد بريـده الإلكترونـى ليفاجـأ بوجـود رسـالة مـن (طـارق) صديـق ماجـد فى منحـه جامعـة جورجيـا كان فحـواهـا..

(صديقـي العزيـز جاسر كيـف حالـك ..؟، أتمنـى أن تكـون فى أحسـن حال.. قـرأت رسـالتك للتـو، ولكنـى لم أرى شـقيقك منـذ عـشرة أيـام تقريبًـا،حتـى إننـى اندهشـت عندمـا لم يـأتِ للجامعـة، ولم أجـد أحـد في المنـزل حينـما ذهبـت إليـه لأطمئـن عليـه عندمـا زرتـه فى منزلـه،لدرجـة أنـى ظننتـه قـد سـافر إلى القاهـرة دون أن يخبرنـى... لقـد أثـرت قلقـي الآن.. سـوف أمـر غـدًا عـلى بعـض أعضـاء الجاليـة المصريـة هنـا، ربـما يقـضى بعـض الوقـت عنـد أحدهـم، وإن لم يكـن



فسنبحث عنه هنا، وسأبلغك بأى تطورات فورًا، وأنت أيضًا أبلغنى إذا توصلت لشىء.. تقبل تحياتى)

شعر جاسر أن ما كان يخشاه قد وقع بالفعل فربما يكون شقيقه الوحيد قد تم اختطافه لتهديده به... لماذا يشعر أنه كلما تواجد بحياة أحدهم أنه يفسدها..لماذا كلما اقترب من أحدهم يفقده فجأة..تصارعت تلك الأفكار في رأسه قبل أن يشعر بثقل فيها..وقد بدأت أنفاسه تضيق دون سبب واضح.. لكنه فوجئ برنين هاتفه، ولدهشته وجد نسرين هي من تتصل به.. ودون تفكير ألقى بهاتفه إلى الجدار ليتحطم إلى عدة قطع قبل أن يسقط في غيبوبة سبات عميقة....

****



(7)

عندما يصفو القلب تنجلى الرؤية ويبصر الإنسان ما لا يبصره غيره من المبصرين، فهو يرى بنور البصيرة، نور قلبه الذى امتلأ حبًا وطهرًا وبياضًا، فالبشر لديهم البصر ولكن قليل هم من يمتلكون البصيرة التي تضئ لهم ليبصروا الحقيقة دون عناء، ليروا بواعث القلوب وحيرة العقول، فيدلوا غيرهم على الطريق الذى سيهديهم إلى رؤية الحقيقة وإدراكها.



كانت الساعة تشير إلى الخامسة صباحًا عندما استيقظ جاسر على صوت جرس الباب الخارجي الذى ظل يلح حتى قام من نومه مفزوعًا، ولدهشته وجد تلك الفتاة الروسية تقف مبتسمة الوجه، وبيدها علبة من الشيكولاتة..

اندهش جاسر من قدومها فى هذا الميعاد المبكر فنظر إلى ساعة الحائط متأففًا وهو يهتف فى برود:

- أنتِ ... هل هذا وقت مناسب للزيارة فى بلادكم يا آنسة..؟

- إلينا..اسمي إلينا يا جاسر،هل سنتحدث على الباب..؟، هل هكذا يستقبلون الضيوف في بلادكم..؟

- لا أدرى ما سبب الزيارة فجرًا بهذا الشكل، ولا أظن أن.....

قاطعته إلينا فى برود قائلة:

- إن الأمر أهم مما تتخيل.. ولولا أهميته لما غامرت بكشف شخصيتى أمام مراقبينك، فاصمت ودعنا نتحدث بجدية..

افسح لها المجال للدخول لتدخل مباشرة إلى غرفة المعيشة، وبمجرد دخولها فاح فى المكان عطر ياسمين لم يستنشقه من قبل فتوقف لحظة واندهش من حفظها للمكان، وقبل ان يسألها على ذلك لكنه آثر أن يصمت،وتحديدًا فى تلك اللحظة راوده تلك الأحلام الفجائيه فوجد نفسه مع تلك الفتاه وهو يرتعد من البرد فى انتظار أحدهم فى مكان غريب..نظرت إليه بعد أن جلست ثم أشعلت سيجارة رفيعة وهى تضع ساقًا فوق أخرى قائلة فى حزم:

- هل أنت منتبه، أم تفضل أن تدخل لتغتسل لتفيق من نومك بشكل كامل حتى تدرك أهمية الحديث الذى سأحدثك به.

جلس جاسر على أقرب مقعد له وهو يقول فى هدوء:



- كلى آذان مصغية، فلتتحدثى بما جئتِ من أجله ..

- ألم تدرك بعد أنك فى مأزق.. مأزق أكبر مما تتخيل يا جاسر، فأنت مطلوب حاليًا من إحدى الجماعات اليهودية المتطرفة.

توتر جاسر وهو يهتف فى عصبية أطارت ما تبقى فى عينيه من نوم:

- ماذا..؟!!، جماعات يهودية..!!!

نفثت إلينا دخان سيجارتها فى الهواء وهى تكمل وكأنها لم تسمعه:

- أنت تعلم أن هناك بعثة تسعى إلى الحصول على تلك الخريطة التي سوف تدلهم على مكان مقبرة أحد أمراء أسرة فرعون مصر رمسيس الثانى لأسباب خاصة بهم، لذلك إدعوا أنهم بعثة إنجليزية، وقاموا بالتحايل على بعض المسئولين فى القاهرة حتى وصلوا إليك، وذلك لأنهم لكى يصلوا إلى تلك الخريطة فهم يحتاجون شيئًا ما يظنون أنه معك، وهذا الشي لم يجدوه فى مقبرة الكاهن «امنى نخت» التى تم اكتشافها فى ميدوم، وبعد وصولهم إليك لا أدرى ما الذى حدث في لقائكما فى المرتين التي تقابلتم فيها.. ولكن تلك الجماعة التى يسعون إلى مومياء الأمير ليسوا بالسذاجه ولا بالسهولة التى كنا نتوقعها ولذلك هم....

قاطعها جاسر وهو ينظر فى عينيها مباشرة:

- وما شأنك أنت والمخابرات الروسية بالموضوع..؟

ضحكت إلينا وهى تنفث دخان سيجارتها فى برود:

- لست من المخابرات الروسية، ولا أنتمى إلى أى جهات أمنية، كل ما فى الأمر أننا نتبع جماعة دينية تهدف فى المقام الأول الحصول على مومياء الفرعون الشاب قبل أن تتوصل إليه الجماعة اليهودية التي تتبعك ..

- ولماذا تريدون الحصول على تلك المومياء بالذات..؟



- لا يوجد عندى أكثر مما أحدثك به يا جاسر، ولكن لتكن على ثقة أننا نحتاجك كما ستحتاجنا فى القريب، نحن نعلم أن الخريطة ليست بحوذتك، بل فى مكان آخر أنت تعلمه جيدًا، ولكن هذا لا يمنع أنك ستتعرض لضغوط هائلة من تلك الجماعة اليهودية.

- ولكنى لم أتعرض لأية ضغوط، كل ما فى الأمر أنهم طلبوا منى التعاون معهم، وعرضوا عليّ مبلغًا من المال.

- لا تصدقهم.. إنهم يسعون إلى تلك الخريطة وبأى شكل، ولذلك إذا لم تتعاون معهم فقد يضطروا وقتها إلى تهديدك.

- وحتى لو كان الأمر كذلك، فليس لديهم أى شئ يستطيعون تهديدى به..

- بل لديهم يا جاسر....

قالتها وهى تنظر مباشرة إلى صورة فوتوغرافية معلقة على الحائط تجمعه مع شقيقه،فانقبض قلب جاسر فجأة وهو يهتف فى فزع:

- ماجد..!!!

- نعم..فقد حاولوا اختطاف ماجد منذ حوالى إسبوع فى جورجيا، ولكن محاولتهم فشلت لتدخلنا فى الوقت المناسب، ولولا أنهم فشلوا فى مخططهم ما كانوا سيعرضون عليك المال، بل كانوا سيهددونك به مباشرة..

هتف جاسر بها فى توتر:

- وماجد أين هو الآن..؟

- أخوك في أمان الآن، فبعد محاولة اختطافه أقنعناه بضرورة نقل مقر إقامته هو وزوجته إلى مكان آخر وفرناه له.. وذلك بعد إقناعه بأن تلك المحاولة لاختطافه قامت بها إحدى العصابات اليهودية التي تسعى للتخلص من



العلماء والباحثين المصريين بالخارج بعد أن قدمنا نفسنا إليه على أننا أفراد من الشرطة السرية، وأخبرناه أن عليه الاختفاء لفترة من الوقت لا يتصل خلالها بأى مخلوق حتى تهدأ الأمور ونتمكن من القبض على أفراد تلك الجماعة،وقد صدق الأمر بسهولة خاصة بعد ما مر به أثناء محاولة اختطافه..

- لذلك لا يرد على اتصالاتى ولا يعرف عنه أحد من أصدقائه شيئًا..

- بالطبع لن يكون له أثر هو وزوجته، فقد أخفينا أثرهم تمامًا لأن اليهود يبحثون عن أخيك بهستيريا ..

- تخفون أثرهم ثم تهددونى أنتم به..ما الفرق بينكما إذن.

تطلعت إليه إلينا فى برود قائلة:

- لا تكن غبيًا.. إننا لا نريد منك إلا أن نتعاون سويًا فى العثور على تلك الخريطة التى ستوصلنا إلى المومياء، ولسنا فى موقف يجعلنا نضغط عليك، ثم إن هدفنا مختلف تمامًا عن هدفهم الذى سيؤدى إلى تحريف وتزوير فادح فى تاريخكم الفرعونى.. ألم تتساءل لما يريدون تلك المومياء بالذات..؟، إنهم يريدونها لإثبات نظرية تاريخية تخدم أغراضهم في نسبة مجد وتاريخ الفراعنة إليهم، وإثبات أهمية دور اليهود فى الحضارة الفرعونية، أما نحن فنريدها لهدف دينى بحت، ولا شأن لنا بالتاريخ والحضارة الفرعونية والتى نكن لها كل احترام وتقدير..

- ولكنى لا أفهم شيئًا يا آنسة إلينا..

أومأت إلينا برأسها فى برود وهى تُخرج هاتفًا من جيب معطفها قائلة:

- ستعلم كل شئ فى حينه، أما بخصوص شقيقك فتستطيع الإتصال به هاتفيًا من هذا الجوال الذى سيكون حلقة الوصل بينكما من جهة، وبيننا وبينك من جهة أخرى، فإذا شعرت بأى خطر عليك أن تبادر بالاتصال بى وستجدنى فورًا، وقد قمت بحفظ جميع الأرقام اللازمة على ذلك الهاتف..



قالتها وناولته الهاتف فأخذه منها سريعًا ثم فتحه ليجد ثلاثة أسماء فى قائمته، أحدها لشقيقه، فبادر فورًا بالاتصال به لكنه لم يجب، فاندهش ونظر إليها فابتسمت وأجابته وقد أدركت ما يقصده:

- إنها لا تزال السابعة صباحًا فى العاصمة الجورجية تبليسي، وشقيقك لا يستيقظ إلا فى العاشرة صباحًا.. لا تقلق فأنت تستطيع الاطمئنان عليه وقتما يحلو لك، لكن لا تخبر مخلوق بمكانه..

هتف جاسر فى توتر:

- حسنًا.. حسنًا.. لن أفعل بالتأكيد.

نهضت إلينا بعد أن أنهت سيجارتها لتقدم له علبة الشيكولاته معتذرة:

- أوه.. أعذرنى فقد أخذنا الحديث، هذه هدية بسيطة لأعبر عن اعتذارى لإزعاجك فى هذا الوقت..وتذكر أن تتصل بى عند حدوث أى طارئ .

أومأ جاسر برأسه موافقًا فى برود، بينما ألقت إلينا عليه التحية وهى تغادر فى صمت ...

ذهب جاسر إلى فراشه مرة أخرى وظل يفكر فى ما حدث حتى استغرق فى نوم عميق.. ولكن الكوابيس بدأت تطارده حتى فى نومه،حيث ظهرت نسرين وهى تمسك بسيجارتها ثم تلقيها على الأرض لتقوم بدهسها، وتنظر إليه مستهزئة ضاحكة.. بينما كان شقيقه ماجد يعدو مهرولاً ومن خلفه عدة رجال يصوبون أسلحتهم إليه ومن بعيد ظهر منزل فى إحدى القرى البعيدة يبدو كما لو كان مألوفًا لديه.. بينما لاح هرم ميدوم فى الأفق البعيد.. وهو يأخذ شقيقه ليعدو معه تجاه ذلك المنزل، أملًا فى الحصول على نجدة ما، ولكنهم عندما اقتربوا من المنزل اختفى المطاردين وفجأه وجد نفسه يعدو وحده، ولدهشته وجد الشيخ إلهامى يستقبله على عتبة منزله مُرحبًا.. فعانقه



جاسر بشدة، وتحول المشهد إلى آخر حيث رأى جاسر نفسه جالسًا بجوار مخدع الشيخ إلهامى وهو يحتضر، وكأنه أراد أن يرسل له إشارة أو رسالة ما من العالم الآخر.. والأحداث تمر عليه تمامًا كما مرت من قبل، فقد همس الشيخ إلى جاسر فى صوت واهن:

- فليكن الله فى عونك يا ولدى.. والآن إقترب منى ولتمد يدك أسفل تلك الوسادة، ستجد جريدة بها ظرف كبير أصفر اللون، وبداخله ظرفان أحدهما أبيض يحتوى على أربع برديات قديمة، كنت قد احتفظت بها من إحدى المقابر، وهى ليست ذات أهمية، ولكننى على ثقة أنك ستحتاجها فى وقت ما.. لا تسألنى كيف عرفت، فلتحتفظ بها حتى يأتى أوانها ..أما الظرف الآخر فهو فى كيس بلاستيك بداخله البردية الملعونة، والتى أخذتها من الشيخ حسن، فلتأخذها ولتسر فى طريقك، وأدعو الله وأنا على فراش الموت أن تنجح فى إزالة اللعنة عن القرية.

تمتم جاسر وهو يهمس للشيخ :

- تلك مهمة ثقيلة أدعو الله أن أكون قادرًا على تحملها .

- ستقدر عليها يا ولدى.. أنا على تمام الثقة أنك ستفعل..وكن على ثقة أن الجميع هنا وراءك..لن يتركوك لحظة.. وسيكونوا من خلفك دون أن تشعر بهم.. وإذا احتجت الأمانه فلتخبر الحاج مراد..

فلتخبر الحاج مراد..

فلتخبر الحاج مراد..

اقترب جاسر من مخدع الشيخ إلهامى ومد يده فى بطء تحت مرقد الشيخ حتى وصل إلى جريدة جذبها بهدوء ثم فتحها ليجد الظرف الأصفر .

فلتخبر الحاج مراد..

دارت هذه الكلمات فى رأس جاسر عدة مرات قبل أن يستيقظ من نومه..

حيث كانت الساعة تشير إلى الثانية عصرًا، ولا زالت الأفكار السوداء تطوف برأسه، ولكن ما سر ذلك الحلم الغامض وتلك الرسالة التى أخبره بها الشيخ إلهامى بإخبار الحاج مراد..؟،وما هى تلك الأمانة التى ألح عليها الشيخ إلهامى..؟،ولماذا فى هذا التوقيت بالذات..؟، أيكون ذلك إشارة لشىء ما..؟

كان يشعر أن فى الأمر شيئًا، وأن ما رأه لم يكن مجرد حلم.. لذلك فكر بالاتصال بالحاج مراد كما أخبره الشيخ ـ رحمه الله ـعليه فى الحلم، وما الذى سيخسره إن قام بالاتصال به.. لكن ما الذى سيخبره به..؟، أيكون اتصاله للسؤال فقط عن صحته..؟، وما المقصود بالأمانة..؟، أيكون لدى الحاج مراد ما أخفاه عنه الشيخ إلهامى ليرسله له فى الوقت المناسب..؟، وإن كان هذا صحيحًا فما هو هذا الشئ الذى أراد له الشيخ أن يحصل عليه..؟،لقد كان سيخبره بشئ عندما أعطاه البرديات، لكن ..

كانت التساؤلات تدور فى رأسه بشدة، عندما بدأ يربط الأحداث الجديدة.. فنهض من سريره وذهب إلى مطبخه ليجهز لنفسه فنجان من القهوة السادة التى بدأ يعشقها فى الفترة الأخيرة، وجلس فى غرفة المعيشة وقد بدأ فى التفكير بهدوء مرة أخرى:

– لقد أتت تلك البعثة، وهى تبحث عن بردية معينة مقسمة عبارة عن خريطة لمقبرة الأمير الشاب «سي أوزير»، وقد عرفوا بوجود تلك الخريطة من برديات خطها الكاهن «سوتى» أصغر الكهنة الأربعة.. وتلك البردية التي تحوى جزء من الخريطة لم تكن موجودة ضمن البرديات التي كانت بمقبرة الكاهن «امنى نخت»، فما تم إكتشافه بالمقبرة والذى ضبط بعد ذلك هي بعض البرديات العادية بالإضافة إلى برديات تحوت، والتي أبدلتها بتلك البرديات العادية التى أعطاها لى الشيخ إلهامى، وقمت بتوصيلها إلى راشد



ليسلمها لمصلحة الأدلة الجنائية، أما برديات تحوت الأصلية فقد دفنتها فى مقبرة الكاهن «تب رع».. وعند فحصهم لتلك البرديات التى قمت بتسليمها اكتشفوا الحقيقة.. ومقبرة»سوتى» التى تم فتحها كأول مقبرة لأحد الكهنة الأربعة فى عهد البعثة الفرنسية، وما وجد بمقبرته هو تلك البرديات التي يتحدث فيها عن تلك الخريطة وأنها مقسمة بين مقبرتين لاثنين من الكهنة الثلاثة الآخرين «امنى نخت» أو «تب رع» أو «واخموس».. وبما أنه لم تظهر فى مقبرة «امنى نخت» فلابد أن يكون جزئي الخريطة فى مقبرة «واخموس» و»تب رع» .

اللعنة..؟، أيكون نصف الخريطة فى مقبرة»تب رع» والتى لم يطأها سواى..؟، وبالطبع فإن النصف الآخرقد ظهر فى مقبرة « واخموس»التى اكتشفها جد الشيخ إلهامى منذ عشرات السنين ..؟!!، وبالتالى فقدأخفاها لدى مساعده الحاج مراد، وبالطبع لم يضعها وسط البرديات التي أخذتها منه.. لحين ظهور الوقت المناسب لها..

كان ذلك هو التفسير الأقرب لذلك الحلم الغامض.. لذلك حاول جاسر أن يتذكر أين يحتفظ برقم الحاج مراد.. فقام سريعًا للبحث عنه فى هاتفه، لكنه وجده محطمًا على الأرض بعد أن ألقى به بالأمس، فعاد للبحث فى أدراج مكتبه ووسط تلك الأوراق الموجودة على المكتب وداخل المفكرات الورقية وبداخل الكتب الموجودة بمكتبته.. إلا أنه لم يكن ليجدها فى تلك العجلة..حاول أن يتذكر مرة أخرى لكن دون جدوى..

وفى أثناء بحثه وقعت عيناه على الهاتف الذى أعطته له إلينا.. فتناوله فى لهفة وهو قد تذكر ما قالته له، فاتصل بماجد الذى رد أخيرًا عليه وظلا يتحدثان حتى اطمأن جاسر على شقيقه وزوجته.. دون أن يُخبره جاسر بشىء عن الخطر الذى يتهدده ولا عما يدور فى القاهرة، كل ما أخبره به أن



السفارة فى القاهرة قد أرسلت إليه مندوب يخبره بما حدث لأخيه ليطمئن أنه ما زال بخير، ويعطيه رقمه الجديد ليطمئن عليه، أما ماجد فأخبره أنه يعمل فى عمل خاص بإحدى ضواحى العاصمة الجورجية بشكل مؤقت تحت عين الأمن هناك حتى يتمكنوا من القبض على تلك العصابة التى حاولت خطفه.

أنهى الإتصال وهو يتذكر الحاج مراد، فحاول أن يتذكر كيف يصل إلى رقم الحاج مراد فهو لديه شيئًا ما حتمًا.. لكن أين ذهب ذلك الرقم اللعين..؟

لم يكن أمامه سوى حل واحد، فنظر إلى ساعته التى أشارت إلى الثانية وخمسون دقيقة، وما هى إلا دقائق وكان يقود سيارته فى طريقه إلى ميدوم مرة أخرى.

لم يتوقف جاسر عن التفكير لحظة واحدة حتى لاح في الأفق هرم ميدوم، فاستمر في طريقه حتى وصل إلى طما، حيث بدأت مغامرته الأولى.. وعلى مشارف القرية كانت هناك المقابر التى انقبض قلبه بمجرد رؤيتها وخصوصًا حينما وقع بصره على تلك المقبرة التى أحيطت بسور عُلق عليه لوحة سوداء كبيرة، وبجواره جلس خفير للحراسة.. كانت تلك مقبرة الكاهن «امنى نخت» التى تم إكتشافها فى السابق وبدأت المغامرة منها ..

ظل جاسر فى طريقه حتى وصل إلى ساحة كبيرة فى القرية، وترك سيارته ليكمل طريقه إلى بيت الحاج مراد سيرًا على الأقدام.. ولكنه كان قد نسى منزله فسأل عليه أهالى القرية الذين دلوه عليه، وعندما وصل أخيرًا إليه طرق الباب عدة مرات لكن لم يجيبه أحد.. إلا أنه فوجئ بصوت يأتى من ورائه قائلًا:

- الحاج مراد ليس بالداخل، لا هو ولا أفراد أسرته.

التفت جاسر ليجد عجوز يقترب منه، وهو يشير إلي أحد المنازل القريبة وهو يستدرك قائلاً:

- اليوم هو ميعاد الحضرة الشريفه بمناسبة مولد السيدة زينب عليها السلام.

- حضرة...؟!!

- نعم.. فالحاج مراد من كبار شيوخ الحضرة.. يبدو أنك لست من الجوار.. من أين أنت يا ولدى..؟

- من القاهرة، وجئت فى زيارة للحاج مراد.

- مرحبًا بك يا ولدى.. تفضل معى وسأدلك على المنزل، هيا ...

استند العجوز على مرفق جاسر وسارا سويًا بينما استمر العجوز فى الحديث قائلًا:

- إنها الليلة الكبيرة لمولد السيدة زينب رئيسة الديوان وأم العزايم مدد يا مولاتى مدد..

لم يرتح جاسر لحديث العجوز، فهو بعيد كل البعد عن الصوفية والبدع الموجودة فى العصر الحديث، ولذلك اكتفى بالاستماع إلى العجوز دون أن ينبث بكلمة وهو يتبعه..حتى تنامى إلى أذنيه هتاف جماعى(الله.. الله) يأتى من داخل المنزل الذى كان بابه مفتوحًا على مصراعيه وبه لا يقل عن مائة فرد تقريبًا،كانوا جالسين على مقاعد خشبية فى البهو الفسيح جدًاوالذى يأخذ شكل مربع، بينما كان فى الوسط حوالى سبعة رجال ينشدون ومن بينهم كان الحاج مراد..

استقبله رجل بشوش وحياه دون أن يسمع ما قاله وهو يأخذه من يده ويُجلسه فى مكان بالقرب من المنتصف، كان جاسر ينظر للأمر كله وكأنه أجنبي عن تلك الطقوس، ولكنه بالرغم من ذلك شعر بتلك القشعريرة



تسرى فى جسده من خشوع الناس من حوله، وصوت الحاج مراد يبدو واضحًا رغم الجموع بصوته الأجش الجهورى، أما جاسر فلم يُبعد عينيه عن الحاج والذى كان يتمايل وينشد وهو فى قمه النشوة:

- بكم وبزينب طرزت شعري.. بكل سُلالة البيت الأغرِ..

وقفت عليكم شِعري ونثرى ..فياحظ الفواصل والروي.

بينما كان الرجال ينشدون وراءه فى نشوة :

- الله الله ..

- لقد باركتم الأقطار طُرا..بمكة أوبطيبة أوبمصرا ....

مقاكم بها قد طاب نشرا..فطاب الكون بالعرف الشذي.

- الله الله ..

- نشأت وعشت محسوبًا عليكم..وسوف أموت منسوبًا إليكم ...

- فصلى عليكم ربي وسلم..وأسعدني بقرب سرمدي.

- الله الله..

- لقد ضاقت مذاهبنا فجئنا..نلوذ فكن لنا ملجأ وحصنا ...

- ونستجدي رضائكم علينا..فمن نرجو سوى آل النبي.

- الله الله ..

- وصلى اللهم وسلم وبارك عليك يا سيدنا محمد، مدد يا آل النبي مدد..

تعالت الأصوات من حوله مرة أخرى وشعر جاسر بالاختناق من الزحام، فقام مغادرًا المنزل حتى يستنشق بعض الهواء، وجلس على أحد المقاعد الخشبية بجوار المنزل.. واستمر الحال هكذا حتى مرت ساعة ونصف وبدأت الأصوات فى الخفوت تدريجيًا.



وفجأة وجد أمامه الحاج مراد الذى احتضنه بشدة وكأنه يرحب بصديق قديم ودعاه للدخول إلى المنزل لكن جاسر أخبره انه أتى لامر هام وعليه الانصراف سريعًا.

- لا حديث قبل أن نتناول العشاء، وبعدها سيكون لنا جلسة طويلة بإذن الله..

اصطحب الحاج مراد جاسر لتناول العشاء، وقد قام أصحاب المنزل بإكرامه أشد الكرم بل وأصروا عليه ليقضى ليلته، إلا أن الحاج مراد أصر على أنه ضيفه، وماهى إلا ساعة أخرى بعد العشاء حتى كانا يتسامران فى شرفة بمنزل الحاج مراد حيث حدثه جاسر عن حلمه الليلة الماضية.. وقد شعر أن الحاج مراد لا يصدقه لأنه ظل واجمًا حتى بعد أن انتهى جاسر من الحديث مما دعى جاسر إلى أن يهتف به فى توتر:

- حاج مراد.. يبدو أنك لا تصدقنى..ولكن...

قاطعه الحاج مراد فى هدوء:

- أصدقك يا ولدى..كل ما فى الأمر أننى قد اشتقت للشيخ الهامى.. فنحن لم نترك بعض طوال الستين عامًا الماضية..صدقنى يا ولدى منذ وفاته وأنا أشعر به معى لم يفارقنى لحظة..

- رحمة الله عليه فبالرغم من أننى لم أعرفه جيدًا، إلا أنه يعلم الله أنى أكن له معزة خاصة فى قلبي.. ولكنى أشعر أن الأمر لم يكن مجرد حلم وإنما رسالة من الشيخ، وليس هناك من يمكنه إجابة تساؤلاتى سواك يا حاج مراد..؟

- بعدما تركتنا المرة الماضية يا ولدى ورحلت إلى القاهرة فى نفس الليلة التى توفى فيها الشيخ إلهامى همس إلىّ بأن هناك أمرًا آخر لم يخبرك به.. ولكنه استبقاه حتى تعود مرة أخرى.. لذلك اخبرنى به.



تطلع إليه جاسر فى دهشة وهو يهتف:

- أعود..؟!!، كيف كان على تلك الثقة أنى سأعود..؟

- لقد أخبرنى أن المهمة التى قمت بها يا ولدى ليست هى المهمة المقصودة، وأن هناك مهمة أخرى أنت مكلف بها منذ القدم، وتلك ستكون مهمتك الحقيقية.. وعندما سألته كيف عرف أنك أنت المقصود أخبرنى أنه قرأ ذلك فى عينيك.. فالشيخ إلهامى كان له صلة ما بجن الرصد، فقد كان له أوقات ينعزل فيها عنا، وكنت أسمعه بأذنى يهمس من داخل غرفته.. المهم أنه رحمة الله عليه قد أخبرنى أنك الوحيد القادر على الوصول يا ولدى.. أنت صاحب النصيب القادر على تجميع الخريطة، لا تسألنى من أين عرف ذلك..؟، الله أعلم بذلك ولكن يبدو أنه علمه من الرصد.. أو ربما عن طريق اتصاله بهذا العالم، ولكنه تأكد أنك المطلوب منذ أن وقعت عليك عيناه..

- لا زلت أذكر لمعة عينيه بمجرد دخولى غرفته.. وقتها قلت لنفسي أن الرجل يمتلك نظرات غير طبيعية، وكأن هناك من استولى على روحه هو الآخر، كنت أشعر بحديثه داخل عقلى قبل أن يتكلم، ولا أخفيك سرًا أنى قد ارتعدت بمجرد رؤية الرجل.. حتى أخبرنى بسر فيداخ..

نظر إليه الحاج مراد باستغراب قائلًا:

- فيداخ مَن..؟!!

- لا عليك.. لا عليك.. ولتخبرنى ما هى تلك الأمانة يا حاج مراد ؟

- الأمانه ما هى إلا بردية ما بداخل صندوق خشبي كان الشيخ يحتفظ به أسفل سريره.. وتلك البردية هى آخر ما كان يملكه من المقبرة التى قام جده بفتحها في نهايات القرن الماضي، وقد أخبرنى أنها جزء من خريطة مقسمة إلى نصفين تشير إلى مقبرة ما فى مكان بعيد لم يخبرنى به، وقد تناسيت



الموضـوع وقتهـا، ولكنـى فوجئـت بـه قبـل الوفـاة يوصينـى بـأن احتفـظ بتلـك الأمانـة، وعندمـا أخبرتنـى بحلمـك دهشـت لأنـه كان رحمـه الله يطلـق عليهـا لفظ الأمانـه كـما جـاء فى رؤيتـك.. المهـم أنـه طلـب منـى إخفائهـا جيدًا، حتـى يأتـى وقـت ظهورهـا للنـور، وهـذا الوقـت سـيحين عندمـا تأتـى أنـت للبحـث عنهـا وطلـب منـى أيضًـا أن أسـاندك وأدعمـك ولا أُخيـب ظنـك أبـدًا.. سـبحانك ربي.. لقـد تنبـأ الشـيخ إلهامـى بـما يحـدث بعـد موتـه تحديدًا..مـدد ..مـدد

– لا أحـد قـادر عـلى أن يتنبـأ بالغيـب يـا حـاج مـراد، ولكنـى لم أعـد أفهـم شيء، فقـد أصبحـت أرى أمـورًا في غايـة الغرابـة في الآونـة الأخـيرة.

– الشـيخ إلهامـى عليـه رحمـة الله كان مـن كبـار مشـايخ الصوفيـة فى بلدتنـا والبـلاد المجـاورة، وكونـه يأتيـك برسـالة فى الحلـم فمعناهـا طيـب جـدًا يـا ولـدى، وسـترى أن حالـك سـيتغير، وسـتندهش مـن ذلـك التغيـير.. فعندمـا يصفـو القلـب تنجلى الرؤيـة ويبصر الإنسـان مـا لا يبصره غـيره مـن المبصريـن، فهـو يـرى بنـور البصـيرة، نـور قلبـه الـذى امتـلأ حبًـا وطهـرًا وبياضًـا، فالبـشر لديهـم البصر ولكـن قليـل هـم مـن يمتلكـون البصيرة التي تضـئ لهـم ليبصروا الحقيقـة دون عنـاء، لـيروا بواعـث القلـوب وحـيرة العقـول، فيدلـوا غيرهـم عـلى الطريـق الـذى سـيهديهم إلى رؤيـة الحقيقـة وإدراكهـا.

– أدعـو الله ألا يكـون هـذا التغيـير للأسـوأ يـا حـاج مـراد، فـالله وحـده هـو مـن يعلـم مـا الـذى يقودنـى إليـه النصيـب كـما تقـول.. والآن هـل لى فى الحصـول عـلى الأمانـة.

– إنـك تهيننـا بذلـك يـا ولـدى.. فأنـت لـن تحصـل عـلى أمانتـك إلا بعـد ثلاثـة أيام.

هتف جاسر فى توتر قائلًا:

– ماذا..؟!!،ولما ثلاثة أيام بالتحديد يا حاج مراد..؟

- لـن تخـرج مـن البلـد إلا بعـد تلـك المـدة، أنسـيت أننـا أهـل كـرم ورحمـة ومـودة، وأنـت ضيـف عزيـز مـن طـرف الشـيخ إلهامـى و......

قاطعه جاسر وهو يحاول الاعتذار منه:

- ربـما سـأفعل في المـرة القادمـة، ولكـن الآن لـدىّ الكثـير والكثـير مـن المشـاغل، ويعلـم الله مـا أمـر بـه في هـذه الأيـام، لذلـك أسـتأذنك أن تعطينـى إياهـا وأعـدك أن أبقـى عنـدك في المـرة القادمـة كـما شـئت.

ابتسم الحاج مراد وهو ينهض ليربت على كتف جاسر قائلًا فى هدوء:

- لا تحاول يا ولدى، استرح الآن، وسنتحدث فى الغد إن شاء الله.

****



(8)

عندما تأخذ الأمور الصبغة الدينية يتوقف عقل العوام عن التفكير ويعطلون عقولهم وينساقون أمام الشعارات والموروثات التي يجهلون حتى مصادرها، ولكنهم يؤمنون بها إيمانًا أعمى يجعلهم أداة سهلة لتحقيق أهداف قد تكون بعيدة كل البعد عن الدين، ولكنه الجهل هو من يقودهم إلى ذلك المصير، فيصبحون مغيبين، وما أسهل التحكم في شعوب جاهلة مريضة مغيبة، وخاصة عندما تخلق لديهم شعورًا بالخطر والتهديد الدائم من ذلك العدو الوهمى الذى يتهددهم دائمًا، فيلتفتون عن عدوهم الحقيقى الذى لا ينخر في تاريخهم وتراثهم وهويتهم فقط وإنما يفسد عليهم حاضرهم ومستقبلهم أيضًا.



مدينة بيتر هوف - روسيا

فى صباح اليوم التالى انطلقت سيارة مُصفحة تقل خمسة رجال، أحدهم كان أليكسي رجل مكسيم جوكوف، الذى كان يتطلع بسعادة بالغة إلى هؤلاء الجالسين فى المقعد الخلفى، حيث جلس يواكيم عضو المنظمة وحارس آخر يتوسطهم رجل يرتدى على رأسه قلنسوة سوداء أخفت ملامحه، وإن كانت انتفاضة جسده توحى بأنه سيلقي حتفه من شدة الرعب.

كانت السيارة فى طريقها مسرعة إلى ضاحية بيترهوف والتى تبعد قرابة الثلاثين كيلو مترًا عن مدينة سان بطرسبرج الروسية تلك الضاحية التى بناها بطرس الأكبر لتكون مقرًا لأباطرة روسيا.

قطع اليكسى الصمت وهو ينظر باستمتاع إلى تلك القصور التى تعج بها الضاحية قائلًا للسائق بجواره فى همس حتى لا يصل صوته لمن خلفه :

- تبًا لتلك المدينة يا جوزيف.. إن مليارات روسيا قد تجمعت فى تلك الضيعة.

- لا تنس المافيا يا عزيزى، إننا داخل إحدى قلاعهم المحصنة.. وكل ذلك لا يقاس بقصر إيفان الرهيب..

- نعم إن كل مرة أحضر فيها إلى قصره المنيف يتجمد الدم فى عروقي يا جوزيف..إننا نسعى إلى إرضائه بأى شكل ..

- ولا تنس (فيرا) نبينا المنتظر.



- لا تذكرنى ياجوزيف.. فأنا لا ينقصنى رعبًا أكثر مما أنا فيه بالفعل،فأنا لا يروقنى الأمر كله.. وخصوصًا ذلك المدعو فأنا لا أرتاح حتى لرؤيته من بعيد فما بالك ب....

قاطعه جوزيف وهو يقول بصوت خافت:

- أليكسي.. لا يجب أن نتدخل فيما لا يعنينا.. فوجودنا في هذه الجماعة ليس لصبغتها الدينية، فمنذ أن خرجنا من السجن ونحن نعيش في رفاهية بعد انضمامنا لتلك الجماعة، وليس لنا أى شأن بتصرفاتهم.. كل ما علينا هو التظاهر بالإيمان بأهدافها وتعاليمها حتى لا نخسر كل هذا ونواجه ما لا تُحمد عقباه.. ولا تنس أننا بداخل الدائرة الصغرى يا عزيزى، وأننا تعبنا حتى وصلنا لتلك المكانة لدى مكسيم جوكوف وها أنت قد أصبحت ذراعه اليمنى وربما اليسرى أيضًا.

- أعلم ذلك.. وأعمل على أُقوى ثقته بى يومًا بعد يوم،وها أنت ترى أن أى عمليات قذرة لمكسيم لا يكلف بها أحدًا سواى... هاهو القصر يلوح فى الأفق.. أتمنى أن تكون تلك الأمسية هادئة يا جوزيف..

- أى أمسية تلك التى ستكون هادئة..؟ لم أعهد فيك ذلك الهدوء يا أليكسي من قبل، وخصوصًا مع وجود تلك الطريدة التى نجحت فى الإتيان بها من لندن.. أتذكر رحلتنا الماضية إلى باريس.. إنك تستمتع بالأمر أكثر من مكسيم ذاته يا صديقي.

ابتسم اليكسي فى نشوه بينما اقتربت السيارة من بوابات القصر، فأفسح لها رجال الأمن حتى مرت من البوابة واستمرت فى السير قرابة الكيلو متر وسط النباتات والأشجار العالية حتى اقتربت من باب القصر ..

توقفت السيارة ليهبط منها أليكسي والآخرين قبل أن يصطحب ذلك الرجل المذعور ومعه يواكيم تاركًا جوزيف والحارس الآخر، سار أليكسى



ومن معه وسط الحراس داخل القصر..حتى دخلا إلى تلك الردهة الفسيحة، فاستوقفهم الحرس الخاص بعض الوقت حتى سمحوا لهم بالدخول إلى بهو آخر أكبر، بينما كان هناك عدة رجال يجلسون فى أقصاها..وقد وقف رجلان أمام الباب الخشبي العتيق والذى توقف اليكسي بجانبه حتى يعطى له مكسيم الإذن بالاقتراب..

كان البهو من الداخل فسيحًا وقد علت حوائطه تلك اللوحات العالمية ليبدو مع تلك النقوش التى تزين جدرانه وكأنه متحف كعادة الأباطرة فى القصور الكلاسيكية القديمة،وقد كانت تلك هى المرة الثانية التى يتواجد فيها اليكسي فى معقل زعيم جماعة خاليستى وإمبراطورها الأوحد الطبيب إيفان كونيف.. والمرة الأولى التى يقابله فيها وجهًا لوجه، حيث أمره مكسيم بإحضار ذلك اليهودى إلى هنا..كان من داخله يرتعد لمقابلة رئيس التنظيم أخيرًا..دار بعينيه فى أرجاء المكان الذى يشبه فعلًا القصور القديمة لأحد القياصرة، فقد غطت الأرضية برخام لم يرَله مثيل، انعكست عليها لأضواء التى انبعثت من تلك الثُريات التى تدلت من سقف البهو المرتفع والتى يبدو أنها كانت من الذهب الخالص، وتلك الأعمدة المزينة بنقوش ذهبية فى أشكال دائرية، بينما افترش الأرض ذلك السجاد الإيرانى الكثيف والذى يمتد الى الجدار الضخم المزين بصوره راسبوتين وأمامها لوحة جدارية رسمت عليه بطوله وبألوان واضحة لوحة خلق آدم للفنان مايكل أنجلو.. والتى اقشعر بدنه عندما نظر إليها من بعيد فقد ذكرته بتلك اللوحة الأم الموجودة فى كنيسة السيستين فى الفاتيكان مقر الكنيسة الكاثوليكية المقدسة..

وفى أقصى البهو جلس خمسة رجال كان منهم الزعيم، وبجواره ثلاثة من رجال الدين كما يبدو من هيئتهم، وقد جلس أمامهم فى خضوع مكسيم جوكوف رئيسه، وتحت أقدام الزعيم كان هناك كلبان من طائفة القوقازى كل منهم بحجم دب روسي كبير.. كان المشهد بالكامل يدعو إلى الرعب..



فإذا كان قد دب الرعب فى قلبه هو فما بال تلك الضحية التى يمسك بها من رقبته.. والذى لم يتوقف عن الارتعاد لحظة واحدة وربما توقف قلبه لو كان يفهم الروسية.

لم يصدق اليكسي ما يراه، هل هذا هو مكسيم جوكوف الذى يقف مرتعدًا أمام زعيم الجماعة..كان مكسيم يقف بشكل شبه منحنى أمام عجوز قارب السبعين من عمره واضعًا يديه خلف ظهره فى تأدب، بينما جلس رجال الدين يتحدثون فى هدوء والزعيم يستمع فى صمت وهو يمسح بإحدى يديه على رأس كلبه الضخم.

استمر الأمر لعشر دقائق تقريبًا حتى انصرف رجال الدين ومن خلفهم مكسيم.. فأفسح اليكسي ويواكيم المجال لمرور رجال الدين بينما همس مكسيم لاليكسي:

- اترك هذا اليهودى بصحبة يواكيم، وتعال لتحضر هذا العرض..

همس اليكسى فى حذر قائلًا:

- أى عرض هذا يا سيدى..

تمتم مكسيم فى سخط:

- اصمت وأفعل كما أمرتك.. وكأن علينا أن نؤدى دورنا فى تلك المهزلة التى لن تنتهى، إننا فى طريقنا لتغذيه الفريسة ..

- أى فريسة تقصد.؟لا أفهمك يا سيدى..

- إذن اصمت وسر ..

ترك اليكسى أسيره ليواكيم وتبع مكسيم وهو لا يعلم إلى أين يذهب هؤلاء الرجال ومن خلفهم مكسيم..حتى صعدوا الدَرج المكسو بالسجاد الفاخر، بينما كان الدرابزين الممتد بطول الدَرج يعلوه قطع فنية من العاج الصافي بأشكال مختلفة..



سار الجميع حتى توقفوا أمام باب واسع وقف على جانبيه ثلاثة حراس قام أحدهم بفتح الباب ليدلفوا منه..و من خلفه وعلى بعد ثلاثة أمتار كان هناك باب آخر بجواره حارس آخر لم يقم بفتح الباب حتى تم غلق الباب الأول..

اندهش اليكسي من تصرف الحارس، ولكنه أدرك السبب عندما فتح الباب الثانى، فقد كان الظلام يغطى الغرفة الفسيحة، فقد أُسدلت الستائر مخملية سميكة على جميع نوافذ الغرفة.. وفى ركن الغرفة كان هناك ضوء ضعيف جلس بجواره شاب يقرأ فى أحد الكتب.. وبمجرد أن رآه مكسيم حتى هبط على إحدى ركبتيه وهو يحنى رأسه وعيناه إلى الأرض وجذب اليكسي ليفعل مثله، بينما كان الفضول يقتل اليكسي لرؤية ابن الإله أخيرًا.

فلاديمير فيرا.......

اتجه رجال الدين إلى الشاب مباشرة، وتقدم أقلهم سنًا إلى منضدة كبيرة توجد بأحد أركان الغرفة، بينما قام كبيرهم بفتح حقيبة صغيرة كانت معهم وسط اندهاش الشاب الذى لم يحرك ساكنًا، بل نظر إليهم وهو يهمس بصوت واهن لم يستطع اليكسي الذى كان فى قمة فضوله أن يتبينه .

أخرج رجل الدين من حقيبته شمعدانين ووضعهم على حافتى المنضدة، ومعهم إنائان وضع بإحداهما ماء مضاف إليه ماء اللقان الذى أتى به من الكنيسة، والآخر به ملح وقارورة من الزيت المقدّس الذى يستخدم في المسح على الأشخاص الممسوسين بالأرواح الشريرة،وفى هذه الأثناء كان القس الأكبر يقف بعيدًا عنهم وهو يرتدي الصدرية(البدرشيل)، ويصلّي صلاة الشكر، ثم بدأ فى التلاوة هامسًا فى بداية الأمر بينما تراجع الآخران وجلسا بجوار مكسيم واليكسي:

- إلهى تعهدهم بالمراحم والرأفات اشفهم..انزع عنهم وعنّا كل مرض



وكلّ سقم، وروح الأمراض اطرده، والذين أبطأوا مطروحين في الأمراض أقمهم وعزهم، والمعذبون من الأرواح النجسة اعتقهم جميعًا...

ابتسم الشاب فى نشوة حيوان جائع بدأ فى استنشاق رائحة الدم أخيرًا، فوضع الكتاب فى هدوء وبدأت عيناه تلمع فى شهوة عجيبة،بينما أخرج القس إنجيلًا ليفتحه على صفحات محددة ويبدأ فى الترتيل:

- يارب...كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين انزعها عنا..ياربّ..حتَّى الشَّياطينُ تَخضَعُ لَنا بِاسمِكَ.. والَّذينَ يُؤمِنونَ تَصحَبُهم هذهِ الآياتُ.. فبِاسْمي يَطرُدونَ الشَّياطين..ويَتكَلَّمون بِلُغاتٍ لا يَعرِفونَها.. يارب..لا تدع الشيطان يطغينا بواسع الأمل..أبطل عنا يا رب وعن شعبك كل الأحلام والخيالات والهواجس الشيطانية..حِل المأسورين من رباط الشياطين..والذين في المطابق والسجون والذين في السبي والنفي والمأسورين والمربوطين برباط السلاطين والشياطين ردهم وأت بهم جميعًا إلى الميناء.. سالمين غانمين كاسبين رابحين معافيّ النفس والجسد والروح.. آمين.

ومن خلفه بعيدًا كان القسان الآخران يرددان:

- آمين...

بدأ الشاب فى التململ وإصدار أصوات غريبة، ثم ما لبث أن بدأ صوته فى الارتفاع تدريجيًا وهو يصيح ويتحدث بلغة غير مفهومة مما أرعب الجميع، ولكن القس استمر فى صلواته وهو يقترب من المنضدة...

ووضع إبهام يده اليمنى في قارورة الزيت وهو يقترب من الشاب الذى بدأ جسده فى الانتفاض وهو ينهض مذعورًا ليلتصق بالجدار الأسود الذى أمامه.. بينما اقترب قس آخر متشجعًا ممسكًا بصليبه الفضي فى يده وهو يشير بيده الأخرى إلى جبهة الشاب قائلًا فى صوت جهورى :



- ليبعد عنه كل روح شرير نجس مخفي قاطن في قلبه..

وكررها ثلاث مرات وسط صراخ الشاب الذى انتفض وهو ينزوى مذعورًا فى أحد أركان الغرفة، بينما قام القس الثالث بعد أن ملأ أحد الأكواب من الإناء الممزوج بماء اللقان، وبدأ فى ترديد صلوات أخرى وهو يرش الماء بإصبعه على شكل صليب ثلاث مرات، وينفخ في الماء ثلاث مرات قائلًا:

- لتنسحق تحت علامة رسم صليبك جميع القوات المضادة.. أنا آمرك باسم الرب يسوع أن تفارق هذا الإنسان..

واقترب بالماء من وجه الشاب الذى فر ليقف فى منتصف الغرفة ويطلق ضحكة خلع بها قلب الموجودين بما فيهم رجال الدين.. وفجأة تغيرصوته إلى صوت أجش وبدأ التغيير يصل إلى ملامحه التى تحولت فأصبحت شيطانية،وهو ينظر للجميع وهم فى رعب هائل،ثم تحركو فظل يدور حول نفسه ويهتز بطريقة عنيفة.. اقترب منه القس مرة أخرى بالمياه المقدسة محاولًا نثرها على وجهه مع استمراره فى تلاوة صلواته فدفعه الشاب حتى اقترب من باب الغرفة، وهو يصرخ بتلك اللغة الغريبة،وفجأة وقف على ساق واحدة ثم أخذ يميل بجسده إلى الوراء شيئًا فشيئًا حتى لامست رأسه أرضية الغرفة، كل هذا دون أن يسقط أو تتحرك قدمه الثابتة من فوق الأرض،واستمر على هذاالوضع لدقائق وهو يصيح ويصرخ بصوته المخيف ..

اقترب منه القس اللحوح مرة أخرى بمياهه المقدسة وهو ينثرها عليه، ولكن الشاب فى هذه الحالة كان لديه قوة غير عادية، فدفع القس مرة أخرى وجثم على صدره صارخًا وهو يقترب بوجهه من وجه القس الذى بدأ فى الارتعاد، ثم تناول الشاب قارورة المياة المقدسة ودفعها فى فم



القس وهو يغلق إياه بقوة غير طبيعية، فقفز القسان الآخران محاولين إنقاذ زميلهم، ولكن الشاب كان قد كتم أنفاسه للأبد بعد أن خنقته القارورة، ثم قفز متناولًا الشمعدان من جواره على المنضدة وهو يمسك بتلابيب أحد القساوسة الآخرين وهو يدفعه داخل قفصه الصدرى، فخرج من الناحية الأخرى من صدره فى مشهد مرعب، بينما تناثرت الدماء على الأرض، وعندما حاول الأخير الهرب منه تعثر من شدة الرعب ووقع أرضًا، فاقترب منه الشاب وهو يدفع بأصابعه إلى داخل عيني الرجل الذى حاول التملص منه صارخًا لكن دون جدوى، ولم يتركه إلا بعد أن أخرج عينيه تمامًا فى مشهد مرعب، والرجل يصرخ فى ألم ورعب حتى فارق الحياة..

وفى هذه الأثناء كان اليكسي ومكسيم يقفان مرتعدين بجوار الباب الذى حاولا فتحه مرارًا، لكنه كان قد أغلق من الخارج جيدًا، فاقترب الشاب من اليكسى الأقرب إليه والذى كان وجهه فى شحوب الأموات فدنًا من وجهه، ولأول مرة كان يراه عن قرب.. كان الشاب أمهق تقريبًا، شديد البياض بصورة ملحوظة، ولكن ملامحه فى تلك اللحظة كانت أقرب للشيطان ..

أمسك الشاب باليكسي من رقبته فلم يقاوم ولم يتحرك بل شعر بشحنة كهربائية كانت كفيلة أن تقضي عليه فى الحالات العادية، لكن كمية الأدرينالين التى أفرزها جسده فى الدقائق الأخيرة أنقذته من ذلك المصير المحتوم.

وفجأة فُتح الباب من خلفه ودخل الزعيم ايفان بكلبيه يتبعه أربعة رجال أشداء وبمجرد رؤية هذا الشيطان للزعيم، تغيرت ملامحه حتى عاد كما كان وهدأ تمامًا واقترب منه محتضنًا إياه والزعيم يبتسم وهو يربت على خدى الشاب الشيطان..

بدأت الكلاب تزوم وهى تقترب من الجثث، وكأنها تتساءل فيما بينها ألم



يكن هؤلاء أحياء يرزقون منذ ما يقرب الساعة.. كاد أليكسي الملقى أرضًا أن يفقد وعيه من شدة رعبه، فلم يكن يتخيل حتى فى أسوأ كوابيسه أن يدخل بقدميه إلى كهف هذا الشيطان، شعر بإعياء شديد وهو يلتفت على يمينه قبل أن يفقد وعيه ليجد مكسيم وقد غاب عن الوعى بدوره.

****

بعد حوالى نصف ساعة تقريبًا كان الجميع موجودين فى البهو الخارجى للقصر، حيث جلس الزعيم ايفان كونيف وبجواره مكسيم الذى أفاق بعد فترة وجيزة، بينما جلس فى الكرسي المقابل العجوز اليهودى انتونى شافال تاجر الآثار الإنجليزى المعروف، والذى كان يتصبب عرقًا وخاصة وهو ينظر برعب إلى اليكسي الذى تسبقه سمعته سمعته دائمًا داخل الجماعة، بينما وقف يواكيم بعيدًا عنهم.. فى حين تململ ايفان قائلًا وهو يحتسي كأس الفودكا:

- أكمل أيها اليهودى.

ازدرد أنتونى لعابه فى صعوبة وهو يهتف فى توتر:

- هذا كل ما حدث يا سيدى أقسم لك.. فقد أرسلت إيزاك إلى القاهرة ولكنه لم يفلح فى الحصول على البرديات المطلوبة، حتى بعد مقتله لم أستطع التواصل مع ديفيد هو الآخر، وعلمت فيما بعد أن المصري قد قام بتسليم البرديات إلى الشرطة هناك والتى احتفظت بها بمخازن الأدلة، أما بخصوص برديات سوتى فأنا لم أدع مكان إلا وبحثت عنها به، وقد بذلت قصارى جهدى حتى علمت من تلك الجماعة الدينية اليهودية مكان برديات الكاهن «سوتى» الأصلية التى احتفظ بها ذلك العالم اليهودى وبمجرد علمى قمت بإخبار يواكيم بالمكان السري الذى يخفي فيه أبناء تلك الطائفة مقتنياتهم السرية، وها أنتم قد حصلتم على تلك البرديات بعد أن ارتكبتم تلك المذبحة.. وبسبب ما حدث حاول اليهود التخلص منى لشكهم أنى



نقلت لكم سر تلك البرديات التى تشير إلى وجود الخريطة الأصلية وتحتوى على سر الكتاب المقدس للكاهن سوتى.. لولا أنى هربت وطلبت حمايتكم، وهذا ماجاء بي إلى روسيا ومقابلة السيد مكسيم الذى أحضرنى إلى هنا.

لم ينبس إيفان بكلمة، بل ظل يتطلع إلى أنتونى فى شرود وهو يحتسى الفودكا، والتى بدا وكأنه وقع تحت تأثيرها، حتى نظر إلى مكسيم وهو يشير بسيجاره إلى أنتونى قائلًا فى برود:

- ما رأيك يا مكسيم..؟، هل يشكل وجود ذلك اليهودى مصدر خطر علينا أم نتركه ونكتفي بما قدمه لنا من خدمات.

كان مكسيم لا يزال يعانى من الاضطراب بعد ما دار فى تلك الغرفة، لكنه حاول أن يتماسك، فقد كان يضمر كل الشر لهذا الطبيب زعيم الجماعة الخرف.. كان لديه الكثير من التحفظات على سلوكه وسلوك جماعة خاليستى التى يقودها، كم كان يتمنى أى فرصة.. بل مجرد نصف فرصة للقفز على كرسي زعيم جماعة خاليستى السرية..

أفاق مكسيم من شروده على صوت إيفان الذى هتف به قائلًا:

- مكسيم.. أين شردت يا رجل..؟، فأنا من يحتسى الفودكا ولست أنت.

انتبه مكسيم على صوت إيفان فاعتدل فى مجلسه قائلًا :

- أنا لا أجد أى فائدة من هذا العجوز، صحيح أنه قد أدى إلينا خدمات عديدة، أهمها بالطبع أنه أرشدنا على مكان الكتاب الذى يضم برديات «سوتى» التى كشفت عن تلك الجريمة التى قام بها هؤلاء الكهنة مع الملك الشاب.. كما كشفت عن سر الخريطة،ونحن نبحث على قدم وساق، وسوف نهتدى إليها فى القريب، ولدينا عملاء الآن فى القاهرة قد أوشكوا على التوصل لتلك الخريطة.. ولكن هذا العجوز لم يعد ذو فائدة بالنسبة لنا، لذلك يجب التخلص منه فى أقرب فرصة ..



قال ذلك وهو ينظر بطرف عينه إلى إيفان الذى يبدو أنه لم يعِ ما تفوه به الأخير.. ولكنه لاحظ ارتجاف أنتونى فابتسم قائلًا فى برود:

- أنتونى.. أنت تعلم أننا كجماعة دينية تسعى للحصول على مومياء الملك الشاب لأسباب دينية أنت لا تعلمها، ولكنها مقدسة فى تاريخنا منذ أيام المُعظّم راسبوتين، ونسعى جاهدين بشتى الطرق للحصول على الخريطة التي ستقودنا حتمًا إليها أيًا كانت التضحيات..فماذا عنكم أنتم..؟ ما سر ذلك الإصرار اليهودى للحصول على تلك المومياء..؟ وخاصة من جماعات دينية متشددة.. بالتأكيد لديكم دافع قوى لذلك، ولدى الفضول لأعرفه.

خفض أنتونى رأسه فى استسلام وهو يجيب إيفان:

- حسنًا يا سيدى سأخبرك بالسر الذى يجعلنا نحن أيضًا على استعداد للتضحية بكل غالٍ للحصول على مومياء الأمير المنبوذ ولى العهد.. فبعد اكتشاف البعثة الفرنسية لمقبرة الكاهن «سوتى» والعثور على تلك البرديات ...

قاطعه إيفان متأففًا، وهو يحتسى كأسًا أخرى:

- نحن نعلم كل ذلك، وقد اطلعنا على كل ما ورد بتلك البرديات، والتي يروى فيها الكاهن «سوتى» عن قيامه بالاشتراك مع ثلاثة آخرين من كهنة المعبد بقتل ابن ولى العهد تقريبًا.. لا أتذكر اسمه..ما اسمه يا مكسيم..؟

بادره مكسيم قائلًا بحنق:

- الأمير «سي أوزير» ابن ولى عهد رمسيس الثانى الأمير»خا ام واس»

- نعم.. نعم.. فلتكمل أنت يا مكسيم لعله يصحح لنا إن أخطأنا.

اعتدل مكسيم وهو يغلى حقدًا وحنقًا من ذلك المتغطرس إيفان ولكنه كتم مشاعره ليكمل فى برود:



- حسنًا يا سيدى.. فبعد أن اشترك الكهنة الأربعة فى قتل الأمير الشاب، يبدو أن الكاهن»سوتى« قد شعر بتأنيب الضمير، فقام بتدوين ما حدث في بردياته، والتي أشار فيها إلى أن مومياء الأمير تم إخفائها فى مكان مجهول لأنها ملعونة، فصاحبها كان سيجلب الدمار والخراب على أرض طيبة، ولذلك وقبل أن يموت ذلك الكاهن دَوّن تلك المذكرات، والتى أشار فيها أيضًا إلى أنه تم إخفاء كتاب يحوى أسرار الآلهة المقدسة ويقصد بذلك تلك التي تسمى برديات تحوت، وذلك فى مقابر الكهنة الأربعة والذين تم محو وإخفاء اسمهم من التاريخ الفرعونى، حفاظًا على تلك الأسرار، وقد تم اكتشاف مقبرتين من مقابر هؤلاء الكهنة بالإضافة إلى مقبرة الكاهن «سوتى» وهى مقابر الكهنة «واخموس» و»امنى نخت»، وفى إحداهما كان هناك نصف الخريطة، والنصف الآخر في المقبرة المتبقية التي لم تكتشف والتي سنتوصل إليها بإسلوبنا نحن.. أليس كذلك يا أيها اليهودى.

ابتسم أنتونى بمرارة ورعب وهو يقول لمكسيم:

- يبدو أنك اطلعت جيدًا على الكتاب الذى حصلت عليه أنت ورجالك يا سيد مكسيم، ولكن كما تتذكر هذا تذكر أيضًا أن يداك ملطختان بدماء ديفيد وزوجته حرقًا، فأنت لا تقل نازية ووحشية عن هتلر.

ضحك مكسيم فى برود وهو يتطلع بسخرية إلى أنتونى قائلًا:

- من يتحدث عن الدماء هنا..؟!! إن تاريخكم كله قد بنى عليها يا عزيزى، وكأنها قربان تتقربون به، المهم هو أننا قد قطعنا نصف الطريق إلى هدفنا، وهو ليس هدف شخصي أيها اليهودى بل هو لأجل جماعة خاليستى المقدسة.

كان أنتونى يشعر بأن هذا الروسى اللعين لن يعفو عنه ويطلق سراحه، لذلك اتجه بنظره إلى إيفان الذى يجلس فى هدوء دون أن يتكلم، وهو يهتف متوسلًا وهو يشير إليه بكلتا يديه المقيدتين:



- سيد إيفان.. هل لى أن تفك قيدى.. فأنا لا أتحمل تلك القيود الحديدية.

أشار إيفان لأليكسي بيده فاقترب من اليهودى باشمئزاز ليفك قيده، فأمسك أنتونى برسغه وهو يتحسس مكان القيد..وقام بهدوء وكأنه ضيف وهو يستأذن إيفان بتناول كأس من الفودكا الروسية فوافق إيفان، فصب أنتونى لنفسه كأسًا وهو يستدرك فى الحديث :

- نحن لا يهمنا الموت، ولا يهمنى إن مت الآن أو بعد عشر سنوات.. فقد كانت غلطتى الوحيدة أننى حاولت أن أستفيد من جميع الأطراف، منكم ومن الجماعة الدينية اليهودية.. ولكن لم يعد ذلك مهمًا الآن.. سأصارحك بالحقيقة يا سيد إيفان، فَسِر إصرارنا يا سيدى يعود لقرن مضي.. فبعد اكتشاف تلك البرديات وفك رموزها اتضح لناأن الكاهن «سوتى» لم يشترك فى قتل الأمير الصغير «سي أوزير»، بل كان شاهدًا فقط على تلك الجريمة التي ارتكبها الكهنة..

تمتم إيفان وقد أثار حديث أنتونى اهتمامه:

- ولِمَ قام الكهنة بقتله..؟

اعتدل أنتونى وقد تأكد أنه قد نجح فى إثارة اهتمام إيفان:

- لأنه لم يكن ابن الأمير «خا إم واس» ولكنه كان ابن طبيب الأمير، فولى العهد «خا إم واس» ظل فترة دون إنجاب بالرغم من قيام الكهنة بعلاج زوجته بكافة الطرق والأعشاب وحتى التعاويذ السحرية، إلى أن حملت زوجته ذات يوم، وسعد كل من بالقصر، حتى جاء المولود الجديد إلى الدنيا، والذى سماه الأمير «سى أوزير» وسعد به كثيرًا واهتم به وأولاه رعايته وجل اهتمامه، ونشأ الأمير الصغير في كنف ولى العهد الأمير «خا إم واس» إلى أن شب وأصبح يتوقع له شأن ومكانة كبيرة وخاصة بعد أن واجه الساحر الحبشى، ثم.....



توقف أنتونى وهو يسعل وكأنما أجهده الكلام والتوتر، فبادره إيفان قائلًا فى فضول:

- ثم ماذا أيها العجوز..؟

استدرك أنتونى الحديث قائلًا:

- ذات ليلة مرض طبيب الأمير ولى العهد، فقد أصيب بمرض صدرى أودى بحياته، وقبل موته سمعه أحد العبيد يتحدث مع مساعده، حيث اكتشف من خلال حديثهما أنهما يهوديان، ولكنهما كانا يخفيان ذلك الأمر خوفًا من الاضطهاد والقتل من قبل كهنة المعبد.

قاطعه مكسيم وهو يهتف بسخرية:

- وما علاقة ذلك بمقتل الأمير الشاب أيها اليهودى المأفون.

تطلع إليه أنتونى فى غيظ ولكنه أخفى مشاعره تلك وهو يستدرك:

- لقد سمعه العبد وهو يعترف لمساعده بأنه الوالد الحقيقى للأمير الشاب «سي أوزير»، فقد أحب الأميرة، فكان الأمير هو نتاج حبهما، كما أخبره أن الأمير هو أمل اليهود الذين عاشوا في مصر بذل ومهانة، وعانوا من الاضطهاد، الأمل في أن يتولى نسل اليهود ملك مصر يومًا، فها هو أحد أفراد العائلة المالكة والفرعون المنتظر من نسل اليهود، وأوصى مساعده أن يتولى الأمير الصغير بالعناية ويلقنه تعاليم اليهودية دون أن يشعر به أحد حتى لا يؤذيه كهنة المعبد .

ضحك مكسيم وهو يهتف فى سخرية :

- هذه القصة تصلح لفيلم أمريكى أيها العجوز الخرف، فأي يهودية تتحدث عنها، هل لا زلتم ترتعون في تلك التخاريف من أن رمسيس الثانى هو فرعون الخروج.



- نعم.. أقسم بالرب أنه فرعون الخروج، ولكن المصريين يحاولون دائمًا نفى ذلك.

أشار إليه إيفان قائلًا فى هدوء :

- فلتكمل أيها اليهودى .

أومأ أنتونى برأسه إيجابًا وهو يستدرك قائلًا:

- بعد أن سمع العبد الحديث الذى أسر به الطبيب اليهودى لمساعده، قام على الفور بنقل ما سمعه لكبير الكهنة الكاهن «نفرو» والذى اتفق مع الكهنة الأربعة على التخلص من الطبيب اليهودى ومساعده وكذلك التخلص من الأمير الشاب دون أن يعلم ولى العهد وزوجته أو والده الفرعون بشىء وذلك حتى لا ينتشر الأمر في القصر ومنه إلى العامة وتتدنس العائلة المالكة وتذهب هيبة فرعون العظيم بين الرعية، لذلك قام الكهنة الأربعة بتنفيذ ما طلبه منهم كبير الكهنة، وقاموا بدفن مومياء الأمير الصغير في مقبرة مجهولة حتى لا يظهر له أي أثر، ولم يعلم أحد عن الأمر شيئًا، وخيم الحزن على القصر لاختفاء الأمير المفاجئ،وظل ولى العهد على حزنه حتى رزق بالأمير الصغير «أوزير» لتعود له سعادته مرة أخرى.

قاطعه مكسيم مرة أخرى وهو يصفق بيده فى سخرية لاذعة:

- لن تملوا أبدًا من هوايتكم المفضلة، إن تحريف التاريخ هو متعتكم ودينكم الأبدى، وطبعاً فأنتم تسعون للعثور على مومياء الأمير الشاب حتى تثبتوا أن العائلة المالكة كان نسلها من اليهود، وربما يؤدى ذلك لقصة ثانية وثالثة حتى تنتهون إلى نسبة الحضارة الفرعونية وأمجادها إليكم، ولكن لا تنسَ أيها المزور أن الكتاب الذى بحوذتنا لم يذكر أى حرف من تلك التخاريف التى تهلوس بها.



تطلع إيفان لمكسيم وهو يهتف بغضب :

- مكسيم لا تقاطعه مرة أخرى، ودعه يكمل .

وأشار إلى أنتونى الذى رمق مكسيم بنظرة انتصار ليكمل :

- لدينا الكثير من البرديات المخفية حيث نحتفظ بكل أسرارنا المقدسة يا سيد مكسيم..المهم أنه لسبب ما وقبل وفاة الكاهن»سوتى» عكف على كتابة أدق أسرار المعبد الجنائزى، وكيف قام بقية الكهنة بقتل الأمير الشاب لحماية أرض طيبة والحفاظ على نقاء الدم الملكى لأسرة فرعون العظيم، وكيف قاموا بإخفاء جثته فى مكان ما فى مقاطعة «أيمنتى»التى كانت عاصمتها مدينة «بديت» والتى كانت أيضا عاصمة مملكة الشمال.. والتي يطلق عليها الآن دمنهور..وقد تم تحديد المكان على نطاق واسع فى حدود دائرة قطرها خمسة كيلومترات.. أظن أن ذلك مكتوب فى الكتاب الذى سرقته يا سيد مكسيم..ولكننا عجزنا منذ القرن الماضي عن الوصول إلى مكان تلك المقبرة، فقد سعينا للحصول على كافة الأراضى التي تقع في هذا النطاق، ولكن لم يكن ذلك ممكنًا ففي المكان المحدد يقع قرية كاملة يطلق عليها (دميتوه)، لذلك فكرنا في أن يأخذ الأمر شكل آخر لا ترفضه الشخصية المصرية ولا تبحث وراءه، ألا وهو الشكل الدينى .

ردد إيفان باندهاش:

- شكل دينى..؟ وكيف ذلك يا أنتونى..؟

- نعم شكل دينى، فعندما تأخذ الأمور الصبغة الدينية يتوقف عقل العوام عن التفكير ويعطلون عقولهم وينساقون أمام الشعارات والموروثات التي يجهلون حتى مصادرها، ولكنهم يؤمنون بها إيمانًا أعمى يجعلهم أداة سهلة لتحقيق أهداف قد تكون بعيدة كل البعد عن الدين، ولكنه الجهل



هو من يقودهم إلى ذلك المصير، فيصبحون مغيبين، وما أسهل التحكم في شعوب جاهلة مريضة مغيبة، وخاصة عندما تخلق لديهم شعورًا بالخطر والتهديد الدائم من ذلك العدو الوهمى الذى يتهددهم دائمًا، فيلتفتون عن عدوهم الحقيقى الذى لا ينخر في تاريخهم وتراثهم وهويتهم فقط وإنما يُفسدعليهم حاضرهم ومستقبلهم أيضًا.

تطلع إليه مكسيم وهو يضحك مُعلقًا فى سخرية:

- الشيطان يعظ...

تجاهله أنتونى وهو يستدرك قائلًا:

- كان ذلك عن طريق ما يسمى مولد أبو حصيرة.. والمولد يا سيد إيفان هو تجمع دينى لأبناء طائفة ما، يجتمعون سويًّا كل عام لممارسة طقوسهم الدينية وشعائرهم، ولأننا نفهم طبيعة المصريين الذين رفضوا بيع أراضيهم فى دميتوه، فقد كان علينا التفكير بطريقة أخرى، فأرسلنا أحد كبار الحاخامات اليهود إلى المنطقة، وقمنا بصنع هالة دينية حوله قدسها المصريون وقتها..بل من وقتها حتى شهور مضت.. فبعد استقرار الحاخام فى تلك البلدة منذ قرابة المائة عام صنعنا له هالة دينية، واختلقنا القصص حوله، فنشرنا بين العامة أن اسمه يعقوب أبو حصيرة، كان يعيش في المغرب وأراد الحج إلى القدس..فركب سفينة إلا أنها غرقت بمن فيها من بحارة وركاب ولكن الله نجاه، وظهرت كرامته بأن وضع حصيرته التي كان ينام عليها وفردها على سطح البحر وجلس فوقها وظل مبحرًا بحصيرته على الماء، حتى وصل إلى السواحل السورية ومنها إلى أورشليم أو القدس كما يسمونها، وبعد أن أدى شعائر حجه توجه لحائط المبكى اليهودي، وأراد أن يعود مرة أخرى إلى مدينته مراكش بالمغرب سيرًا على الأقدام، فحمل حصيرته على



كتفه وتوقف بمصر واخترق الدلتا حتى وصل إلي قرية ((دمتيوه)) وقد أعجبه الحال في مصر فاستقر بها وعمل إسكافيًا لعدم معرفة المصريين بالنعال الحديثة في ذلك الوقت،وظل يُصلح أحذية المصريين حتى مات في عهد الخديوي توفيق ودفن بمقابر اليهود بالقرية.. وبعد أن مات شرعنا فى تنفيذ المخطط بالكامل وأخذنا في اختراع الكرامات والمعجزات والقصص حول الرجل الصالح المزعوم،والذي استطاع السفر في البحر المتوسط من مراكش إلي سوريا على ((حصيرة))، وأخذاليهود يتوافدون على قبر أبو حصيرة المزعوم للبكاء وذبح الخراف والخنازير، وشيئًا فشيئًا بدأ الاحتفال يصبح له طقوس عديدة تأخذ أشكالًا شاذة من شرب الخمر وسكبه فوق القبر ثم لعقه بألسنتهم والرقص على أنغام يهودية بشكل هستيري وسط تراتيل يهودية وغيرها من الأمور العجيبة لعدة سنوات، كل ذلك تمهيدًا لتنفيذ الخطوة الثالثة فقد شهدت المقبرة بعد ذلك بعض التوسع مع زيادة عدد القادمين، وتم كسوة القبر بالرخام والرسوم اليهودية،وخاصة داخل القبر ثم جائت الخطوة الأهم والتى بدأت بضم بعض الأراضي حوله وبناء سور ثم قيام منشآت أشبه بالاستراحات،حتى اتسعت المقبرة من مساحة 350 مترًا حتى وصلت إلى أكثر من 840 مترًا مربعًا، بعد أن انهالت التبرعات اليهودية لتوسعتها، وقد أردنا بعدها شراء خمسة أفدنة مجاورة للمقبرة بحجة إقامة فندق عليها ليقيم فيه اليهود خلال فترة المولد إلا أن الطلب تم رفضه.. وكل ذلك كان لأخذ ذريعة لنا بالحفر والتنقيب بحثًا عن المقبرة المقدسة فى تاريخنا، وهذا ما كنا نقوم به كل عام، وقد اكتشفنا العديد من المقابر الأثرية، والتى كنا نُهرب ما فيها أثناء المولد السنوى.. المهم أن طلبنا لم يُقبل حيث رفض أهالي القرية التعامل مع اليهود أو بيع مزيد من الأراضي، على الرغم من الأثمان المرتفعة من الجانب اليهودي لمتر الأرض



هناك، مع العلم أن دولةإسرائيل وقتها قدمت معونة مالية للحكومة المصرية لإنشاء جسر يربط قرية ((دمتيوه)) التي يوجد بها قبر أبو حصيرة بطريق علوي موصل إلى مدينة دمنهور القريبة، حتى يتيسر وصول اليهود إليها..

استمر الحال سنوات وسنوات ونحن نبحث فى السر ولا نجد تلك المقبرة المقصودة، حتى صدر حكم قضائى منذ عدة شهور بعد ثورتهم بمنع إقامة المولد مرة أخرى ورفض دخول اليهود، وبالفعل لم يصبح لنا أية سيطرة على تلك القرية، وفى تلك الأثناء نما إلى علمنا ما حدث في مقبرة ميدوم وتلك البرديات، فكان علينا تتبع الأمر، فاكتشفنا أن البرديات التي سلمها ذلك المصرى للشرطة مزيفة، وأنه يخفى تلك البرديات التي تحوى خريطة المقبرة المنشودة مع برديات «تحوت» أو على أقل تقدير هو يعرف مكانها .

أشار إليه إيفان بيده ليتوقف عن الحديث، ليقول فى هدوء وهو لا يزال مندهشًا:

- أخبرنى يا أنتونى..ما سر إصراركم منذ قرن مضي على الحصول على تلك المومياء..؟، فمثلًا جماعتنا «خاليستى» تريدها لأسباب دينية بحتة، أما أنتم فلم أفهم أهدافكم بعد.

- بالتأكيد لدينا سبب قوى يا سيد إيفان، فعندما نثبت للعالم أن ولى عهد رمسيس الثانى كان من أصل يهودى، وأن عروق العائلة المالكة كان يجرى بها الدم اليهودى، وأن كهنة المعبد قد قاموا بارتكاب جريمة قتل في حق الأمير الشاب وولى العهد وهو ما ستثبته برديات الكاهن «سوتى» ومومياء الأمير الشاب.. وقتها سيتأكد للعالم أن الفراعنة هم القتلة وأن اليهود مظلومون على مدار التاريخ وأننا قد شاركنا فى بناء الحضارة الفرعونية، بالرغم من محاولات المصريين لنفى تلك الحقيقة الثابتة.



تنهد إيفان فى قائلًا في تعجب:

- كل مئات السنوات تلك لمجرد لإبراز دوركم اليهودى فى بناء الحضارة الفرعونيـة..؟ كل هـذا المجهـود مـن أجـل تزييـف التاريـخ والهويـة..؟ مولـد وزيـارات وطقـوس وعـشرات الأعـوام.. عـشرات الأعـوام أيهـا العجـوز مـن التخطيـط والتلاعـب والتزييـف مـن أجـل تحقيـق أهدافكـم المزعومة..يـا لكـم مـن قـوم ذوى صـبر شـديد...

هتـف مكسـيم وقـد بلـغ بـه الحنـق مـداه وهـو يتطلـع إلى أنتونـى موجهًـا حديثـه لإيفـان:

- ولا تنسَ أيضًـا ياسيدى أن المتاحـف الأوروبيـة قـد امتـلأت بفضـل هـذا الاحتفـال المزعـوم.. فهـم لا يضيعـون أى فرصـة.. ونحـن أيضًـا يـا سـيدى لا يجب أن نضيـع الفرصـة، فنحـن لم نعـد بحاجـة هـذا اليهـودى المأفـون الآن.

أومـأ إيفـان برأسـه بعـد أن تنـاول رشـفة أخـرى مـن كأسـه وهـو يلتفـت إلى اليكـسي قائـلًا:

- أيهـا الشـاب.. لقـد سـمعت أن لديـك طـرق عديـدة فى القتـل، هـل لـك أن تريـنى إحداهـا؟

ابتسـم اليكـسي فى جـذل وهـو يقـترب مـن أنتونـى الـذى ظـل يـصرخ ويتوسـل قائـلًا:

- سـيد إيفـان أنـا أتوسـل إليـك لتُبقي عـلى حياتـى، لقـد أفضـت لـك بـكل أسرارنـا وتعاونـت معكـم حتـى حصلتـم عـلى برديـات «سـوتى»، لقـد خنـت بنـى جلدتـى مـن أجلكـم، أيكـون جزائـى هـو القتـل بتلـك السـادية..

قهقه إيفان قائلًا فى تفاخر:



- أنت لم تخن بنى جلدتك من أجلنا أيها اليهودى، ولكنك خنتهم من أجل سيدك وإلهك الأكبر.. المال، ولو وجدت من يدفع لك أكثر لخنتنا نحن أيضًا، ولكن هل تعلم يا أنتونى أنه بكلمة منى أوهبك حياتك وبكلمة أخرى أقضي عليك..

تناول رشفة أخيرة من كأسه وهو يهب واقفًا تتبعه الكلاب وهو يغادر البهو ومن خلفه حارساه الشخصيان ولكنه توقف مشيرًا إلى اليكسي الذى هرول نحوه ليقترب من إيفان الذى ربت على خده قائلًا فى برود :

- حسنًا فلتجعلها ميتة بشعة أيها الشاب، فأنا أكره الخيانة.. أما أنت يا مكسيم فأمامك شهر فقط.. شهر فقط يا مكسيم للعثور على تلك الخريطة وإحضار المومياء إلى روسيا، وإلا ....

لم يكمل تهديده الذى فهمه مكسيم، قبل أن يغادر إيفان البهو، فى حين كانت صفرة الموت تعلو وجه أنتونى الذى تيقن من مصيره وهو يعض إصبع الندم على خيانته لقومه.

****

طوال طريق العودة كان الصمت يخيم على تلك السيارة التى كانت تقل اليكسي ومكسيم فى الطريق إلى قصر مكسيم الذى يقع على نهر الفولغا القريب من بحر قزوين، ومن خلفهم انطلقت سيارتان، إحداهما للحراسةأما الأخرى فقد كانت تقل يواكيم وأنتونى شافال،ومرت فترة كبيرة لم ينبس فيها أحد ببنت شفة،فقد كان مكسيم فى أشد حالات الضيق والحنق من ذلك العجوز الخرف.. ولكنه حاول أن يتجاهل تلك المشاعر بحديثه مع اليكسى فيما جرى اليوم، ودون أية مقدمات تحول مجرى الحديث إلى الجماعة، فأردف مكسيم وهو يتطلع بلامبالاة ناحية الطريق:



- إن الجماعة تتدهور على أيدى هذا المختل، وإذا استمر الحال هكذا فلن يصل إلينا روح المعظم راسبوتين.. فمنذ ثلاثة وعشرين عامًا يا اليكسي كانت المراسم ستتم.. فقد كانت والدة ذلك الإله المزعوم في حالة المخاض حينما اجتمع رؤساء الجماعة وعلى رأسهم العظيم الذى لن يُعوض رئيسًا ميخائيل أنطونوف.. وقتها كان إيفان مجرد تابع، مجرد طبيب للجماعة.. وكانت المراسم ستتم بوجود روح طفل فى المهد وقتها مع مومياء أخرى لابن الشيطان..

كان الفضول يكاد يقتل اليكسي وتلك التساؤلات تدور بداخله دومًا عن تلك الجماعة وطقوسها السرية منذ أن ابتدعها راسبوتين لينشأ تلك الجماعة السرية التى طالما ذاقت المرار على أيدى قوات الشرطة والمخابرات الروسية، مما دفعه أن يتساءل فى حذر:

- ابن الشيطان..؟منذ أن التحقت بخدمتك يا سيدى وأنا أحاول فهم ما يعنيه ذلك اللقب ولماذا..؟

قاطعه مكسيم فى حنق قائلًا:

- لا تقاطعنى مرة أخرى يا اليكسي، فلدىّ ما يكفينى بسبب ذلك المأفون..ابن الشيطان هو مصطلح فلسفي وديني يدل على نبي الشيطان الذي سيأتي إلى العالم ويحكمه لقرون عديدة..ونعلم أنه سيظهر من رحم سيدة عذراء فى شهر الموت حسب تقويم حضاره شعب المايا،أو ما يقابل شهر أكتوبر فى التقويم الميلادى، ليكون ميلاد ابن الشيطان في الثالث عشر من أكتوبر..

وقد كانت تلك المراسم تُجرى فى ذلك اليوم المشئوم من تاريخ جماعة خاليستى،ولكن القوات الروسية اقتحمت المكان الذى كانوا يقيمون به



المراسم وقتها، وقضت على أغلب الأعضاء،وقد استطاع إيفان ذلك الشيطان إقناع الزعيم وقتها أن أولجا تلك الفتاة الممسوسة قد حملت وهى لا زالت عذراء، وبالطبع سيكون طفلها المنتظر هو نبي الشيطان مُخلص الجماعة.

ـــ ولماذا قام بذلك..؟

- لسبب بسيط..وهو أن ما كان بداخل رحم تلك الممسوسة لم يكن سوى ابنه.. فقد كان يريد الهيمنة على الجماعة منذ البداية..على الرغم من أنه لا أحديعلم ذلك السر الذى أخبرنى به ذات مرة وهو تحت تأثير الفودكا التى لا يفيق منها.

- وبالطبع هذا سبب تدليل ذلك الشاب الأمهق والاهتمام به.

- طبعًا فهو من سيرث الزعامة الدينية فى تلك الجماعة.

- ولكن ما الذى حدث بعد الهجوم على مقر اجتماع الجماعة؟

- قام إيفان ببقر بطن الفتاة وقتها،فقد كانت لديها إصابة قاتلة،وكان عليه أن يقرر،إما أن يهرب ويبدأ من جديد في التخطيط والتحايل على الجماعة أو الحصول على الطفل والهرب به تمهيدًا لإتمام المراسم فى وقت لاحق.

- وهل حصلتم على مومياء أخرى وقتها.

- نعم كان لديهم مومياء فرعونية لاحد كهنه الممسوسين من الجن بنفس المواصفات المطلوبة وقتها كما ذكر لى إيفان.

- وما الذى حدث بعد هروبه..؟

- تولى الزعامة وقتها وبعد ذلك الحادث مباشرة سيزيف اولوف الذى استمر لعدة سنوات قتل بعدها فى ظروف غامضة، وتولى الزعامة بعده إيفان، والذى استمر إلى وقتنا هذا في ظل وجود ذلك المسخ وتدليله حتى



إتمام المراسم..

- ولكن سيدى ما أعرفه أن تلك المراسم لا تتم إلا بوجودجنين فى رحم الأم.

- بالطبع يا اليكسي.. فهدف الجماعة هو استحضار روح المُعظّم راسبوتين..ولا يتم ذلك إلا بوجود مومياء ذلك الطفل الفرعونى وإقامة الشعائر والطقوس المطلوبة لاستحضار روح راسبوتين المعظم والتي ستتجسد في طفل وليد، ليولد نبي الشيطان الذى سيحكم العالم، ولذلك نحن بحاجة إلى طفل وليد وليس شابًا فى العشرينات من العمر، ولكن إيفان بدهائه استطاع أن يقنع أعضاء خاليستى باستكمال الطقوس بالنسبة لذلك الشاب المختل.

- أعتقد أنه ليس مختلًا يا سيدى، بل هو ممسوس من الشيطان.

- لا أعتقد ذلك يا اليكسي،فالشاب قد تم تنشأته على أنه نبى الشيطان والزعيم الدينى للجماعة، وكل من حوله كان يعامله كنبى، ولذلك هو يتظاهر بشكل ما بقواه الخارقة وأنت رأيت ما فعله بهؤلاء القساوسة المساكين.

- وهل يجب تتم المراسم يا سيدى في شهر أكتوبر..؟

- نعم.. فأنا أتعشم ذلك يا اليكسي، ولكن ليس لذلك المختل،فلدىّ أمل فى الحصول على تلك المومياء فى أقرب فرصة.

- والطفل..؟

- الطفل لا زال فى رحم أمه وسيتم ميلاده في اليوم المحدد بعملية قيصرية، تمامًا كما حدث فى الماضي، ولكننا سنقوم بعمل كافه الاحتياطات حتى لا يحدث أى خطأ.



- وهل تلك المراسم أو الطقوس ستأتى فعلًا بنبي الشيطان..؟

- بالتأكيد وهذا ما سنراه..وما سنتبعه فى تلك المراسم التى أوصانا بها المُعظّم راسبوتين فى دروسه السرية،فهذا الطفل سيملك قوة الشيطان الخارقة من أبيه وقداسة الأم العذراء،سيكون في أحيان كثيرة عدوًا ونقيضًا للإله فهو ممثل لصراع الشر والخير وكل ماينطوي تحت ذلك من أفعال وأفكار في حرب كونية مقدسة مع قوى العالم من خيرو شر معًا .

- وما علاقة الفراعنةأساسًا بتلك الأسطورة..؟

- ظهر هذا الموضوع أيضًا لدى الفراعنة فى بعض البرديات القديمة، فقد وجدت بردية مجهولةقبل عهد «إخناتون» تنص على أنه عندما يولد للفرعون ابن من روح الشيطان الذي سيمسح اسم الفرعون ويضع اسم إله خاص به، ولكن مجلس الكهنة سيتخلصون منه وسيعدوا أسماء آلهاتهم من جديد، وقد حدث هذا بالفعل عندهم فقد مسحوا من تاريخهم اسم «إخناتون» واعتبروا ميلاد الفرعون «إخناتون» ميلاد للشيطان الفرعوني، كان ذلك قبل الميلاد ويقابل الشهر العاشر في التقويم القمري في اليوم الثالث عشر الذى عُد تاريخًا شريرًا للكهنة فأسسوا أسرة جديدة.. وأسَاءوا لسمْعَة إخناتون وخلفائه، وقد أشاروا إلى أخناتون نفسه بأنه «العدو» في السجلات الأرشيفية وسُمي في بعض النصوص «ابن ست»إله الشر عند الفراعنة.. وعادت الأسطورة لتظهر مع قصة النبي موسي الذي تنبأ بهلاك الفراعنة إلى الأبد فحاربه الكهنة واعتبروه ملعونًا، ويبدو أن ذلك قد حدث فى عصر الأمير المطلوب فقام الكهنة بالتخلص منه لذات السبب .

- لا أفهم شيئًا مما تقول يا سيدى، ولكن كن على ثقة دائمًا أننى دائمًا على استعداد حتى لو...



قاطعه مكسيم قائلًا فى توتر :

- نعم يا اليكسي كن مستعدًا دائمًا..فهناك فى الكواليس شيء ما لابد من إعداده حتى لا تضيع الفرصة الأخيرة من يدينا للأبد .

****

بعد عدة ساعات كان مكسيم ينظر بتشفى إلى أنتونى الذى كان يتلو صلواته الأخيرة فى رعب وهو ينظر متوسلًا إلى اليكسي الذى بدا وكأنه يتفنن فى ابتكار وسائل غريبة فى القتل، فقد كان مكسيم ورجاله على متن يخت يبحر بهم فى نهر الفولغا، حيث كان اليكسي يفتح التابوت ليتقدم منه الرجلان اللذان يمسكان بأنتونى ويقوما بطرحه على أرضية اليخت مقيدي يديه من خلفه، فى حين بدأ اليكسي يلف شاش طبى سميك حول قدمى أنتونى المقيدة بشدة بواسطتهم، أما مكسيم فقد وقف يتابع أحد رجاله الذى طلب منه تصويرمشهد الموت، واليكسى يهتف ضاحكًا:

- وكما ترى يا سيدى.. إن السيد أنتونى هو من كبار تجار الأثريات، ولأنه عجوز فقد رأفت بحاله ولذلك أصدرت الحكم عليه بالموت مع الرأفة.

كان أنتونى يصرخ برعب واليكسي يلف الشاش حول جسمه، والذى استدرك وهو يتقدم بالشاش حتى وصل إلى وسط العجوز:

- لذلك يا سيد مكسيم كان علىّ أن أبتكروسيلة مبتكرة لمقتله، فبعد ربطه بشاش سنضعه داخل ذلك التابوت الخشبي المتهالك، ليلقي مصيره إما بغرق التابوت أو ربما يجد من ينقذه، وإن كنت أشك في أن يجد منقذ فى هذا النهر المتجمد



واستمر فى لف الشاش حتى غطى وجه الرجل تمامًا ولم يظهر حتى فتحتى أنفه، حيث بدأ جسمه فى التشنج رعبًا، ليرفعوه بعدها ويضعوه بداخل التابوت الخشبي، وما هى إلا لحظات حتى رفع الرجال التابوت ملقيين به إلى ذلك النهر شبه المتجمد..

قام مكسيم ليشاهد آخر لحظات التابوت، والنهر يأخذه بعيدًا فى ذلك الجو القارس، وهو يستمتع بأنات العجوز المكتومة التى تبتعد وهو يضحك فى تشفٍ.



(9)

تظل الخطيئة واحدة في كل الأحوال، ويظل التبرير سلاح بنى آدم الذى يزين به آثامه حتى لا يضطر إلى مواجهة نفسه ليرى ذلك الشيطان الكامن داخله، فيظل متدثرًا بدثار الملائكة، مُلقيًا بكل أخطائه على ذلك الذى كان سببًا في خروجه من الجنة، متناسيًا أن من أخرجه منها هو طمعه وتلك النفس الأمارة بالسوء التي يحملها بين جنبيه.



فى مساء اليوم التالى لوجود جاسر عند الحاج مراد، كان جاسر لازال يدور حول نفسه فى منزل الحاج مراد، فقد مضى من مهلة الثلاثة أيام يوم ونصف فقط، وعلى الرغم من عشرات التساؤلات ولكنه كان قد اتخذ القرار الأخير، والذى سيساعده فى تنفيذه الحاج مراد، الذى أكد له أنه مستعد لمساعدته وسينفذ ما يطلبه منه حتى ينهى ما قُدّر له أن يفعله كما ذكر الشيخ الهامى.

كان عليه أن يتخلص من مطاردة الروس واليهود الذى يشعر أنهم لا يزالون فى أعقابه.. بالرغم من علمه أنه من المستحيل مراقبته بداخل القرية، حيث إنه سيتم اكتشاف أى غريب فيها فور دخوله إليها، لذلك فقد كان عليه أن يتظاهر بسفره إلى القاهرة، لذلك طلب من الحاج مراد تجهيز شخص له نفس هيئته، ليرتدى ملابسه ويستقل سيارته ليعود بها إلى القاهرة، وقد كان ذلك بالفعل، فبمجرد دخول الليل تحركت السيارة فى طريقها إلى منزل جاسر بالقاهرة، والذى أعطاه مفتاح منزله طالبًا منه الحضور بعد يومين، حيث سيكون قد أنهى مهمته خلالهم، بعد أن قرر أخيرًا إحضار البردية الأخرى المطلوبة من القبر الذى قام بإعادة برديات تحوت الحقيقية إليه منذ شهور....

قبر الكاهن «تب رع».....

****

كانت الساعة تشير إلى الثانية عشر منتصف الليل عندما تحرك جاسر وبصحبته الحاج مراد فى سيارة نصف نقل وعليها أربعة رجال مسلحين.. فى طريقهم إلى المقابر التى تضم تلك المقبرة الملعونة، بينما كان الحاج مراد يتمتم ببعض الآيات القرآنية لحمايته، فقد كان ملتزمًا بالدفاع عن جاسر بكل ما استطاع من قوة، تنفيذًا لوصية صديقه الراحل، ولذلك استجاب لطلب



جاسر، بعد أن طلب منه الأخير توصيله إلى مكان قريب من المقبرة الملعونة، والانتظار والمراقبة من بعيد حتى يخرج بالبردية المطلوبة، وأوصاهم بألا يتحركوا أو يتبعوه فى طريقه لتلك المقبرة، مهما كانت الأسباب.. فإذا احتاج لمساعدة فيسيتصل بالحاج مراد الذى كان لا يزال يتمتم بتلك الأيات، فإذا لم يعد حتى ظهور ضوء الشمس يأتون لنجدته.

كانت دقات قلبه تكاد تكون مسموعة، فكلما اقترب من المقابر كان يتوتر أكثر، فأخرج من تلك الحقيبة التى يحملها معه حبوب دوائه والتى كانت وصفتها له طبيبته النفسية عند شعوره بالتوتر أو القلق، وبدلًا من أن يأخد حبة واحدة تناول ثلاث حبات، فقد اعتاد فى الفترة الأخيرة على زيادة جرعته.. إلا أنه شعر بالصداع فجأة قبل أن تنتابه إحدى الرؤى الغريبة التى بدأت تراوده فى الآونة الأخيرة..فقد رأى نفسه بداخل ممر ضيق ليخرج إلى رواق قصر فرعونى مما جعله يُمسك رأسه وهو يتمتم فى سخط..

- اللعنة..

كان الهرم يقع على يسارهم مباشرة والسيارة تتجه إلى المقبرة المقصودة التى يحفظ عنوانها عن ظهر قلب كما أخبره بدزميران..ذلك الجنى حارس المقبرة والبرديات الملعونة.. لم يدرِ لِمَ يشعر أن ذاكرته التى كانت تخونه فى بعض الاوقات ترجع إليه شيئًا فشيئًا..كان ينظر حوله منقبضًا،فهنا بدأت أولى خطوات المغامرة والتى قادته إلى أعماق المجهول، وجعلته يدخل عوالم لا قِبل له بها، ويقابل أشخاص وشياطين وجن لم يكن يتخيل رؤيتهم فى يوم من الأيام حتى فى أحلامه.. مغامرة سيظل يتذكرها طوال حياته، خاصة وأنه سيحمل تذكارًا أبديًا فى يديه.. لم يكد يتذكر ذلك حتى رفع يده محتضنًا مكان إصبعه المبتور كتذكار من تلك المغامرة،والذى بدأ يؤلمه عندما تذكر تلك الأحداث..



بعد مائة متر طلب من السائق أن يتوقف ليهبط الرجال مع الحاج مراد للحماية إذا فاجأهم أحد من مدخل الطريق المؤدى إلى المقبرة، واستكمل مسيرته وحده حتى المقبرة..

كانت المقبرة المطلوبة تقع على بُعد مسيرة خمسة كيلو مترات خارج القرية، حيث تقع تلك من ضمن مقابر الصدقة والتى يدفن فيها عابرى السبيل ومن ليس لديه مكان لدفنه، والتي أقامها بعض أهل القرية.. وجيلًا بعد جيل بدأ الدفن يقل هناك مع توارث أهل القرية حكايات وأساطير عن المرأة المسعورة التى دفنت حية بهذه المدافن.. والحيوانات التى يمسها الجن والتى تسكن دائمًا فى هذا المكان، مما جعل أهل القرية يتجنبون حتى المرور بجوار هذا المكان.. وعلى الرغم من ذلك فقد كان عليه الدخول مرة أخرى إلى داخل تلك المقبرة الموجود بها النصف الآخر من الخريطة.. وما كاد يصل إلى مكان المقبرة حتى قام بالرجوع بظهر السيارة بحيث تكون خلفيتها أمام باب المقبره تمامًا .

كان جسده يرتعد بشدة وقد طافت به الذكريات السيئة من دخوله ذلك القبر المرة الماضية، وذلك الكلب الضخم الممسوس.. فتلفت حوله متوقعًا رؤيته جالسًا على المقبرة..لكنه لم يجده، فقد كانت الليلة مظلمة تمامًا، مما جعله يزداد رعبًا وقد شعر بكآبة رهيبة خاصة عندما اقترب من باب المقبرة الذى أغلقه بصعوبة المرة الماضية..

تراجع جاسر بالسيارة حتى أصبح ظهرها موازيًا لباب المقبرة الذى ربطه بحبل فى مؤخرة السيارة،ثم تحرك بالسيارة إلى الأمام حتى تحطم القفل الكبير الذى وضعه على بابها، ليظهر ذلك القبر المظلم الخانق القاتل، فأخرج مصباحه الكهربائى ونظر حوله،وكأنه يستعد ليبتلعه ذلك الظلام الدامس بالداخل، وقبل أن يخطو أول خطواته سمع عواء بالقرب منه.. عواء يعرف



صاحبه جيدًا.. فما كان منه إلا أن قفز بداخل القبر لا يلوى على شيء..

لم يتغير الشكل بالداخل عن ذى قبل.. نفس الرائحة التى تزكم الأنوف على الرغم من عدم وجود أى جثث فى الجوار،ولكنه شعر برأسه وقد اجتاحها الدوار مجددًا، لم يكن يدرى هل ذلك تأثير القبو الخانق أم تأثير الأدوية المهدئة التى ابتلعها منذ قليل..؟ شعر بالأرض تميد به.. كانت الأرض تتوسع بشكل غريب، حتى أصبح جدار القبر الذى كان أمامه على بعد أربعة أمتار لا وجود له.. كان أمامه ذلك الحجر المربع ذو الحلقة المعدنية الذى يخفى ورائه الطريق المؤدى إلى أسفل المقبرة، ولذلك تحامل على نفسه مرة أخرى وأخرج عتلة حديدية من حقيبته ليزيح ذلك الحجر المربع الذى بذل جهدًا غير طبيعى فى المرة الماضية فى إغلاقه وإعادته إلى مكانه..

تناول العتلة واقترب منه لكنه شعر أن الظلام يتشكل من حوله.. ففرك عينيه جيدًا حيث كان الظلام يتشكل ويتشكل وكأنه دخان يتحول إلى صورة جسدية.. مما جعله يتراجع عدة أمتار للخلف وبيده العتلة التى رفعها فى وجه الظل المتكون.. وهو يتقهقر حتى شعر أنه تراجع عشرات الأمتار، لكنه وبمجرد أن تشكل الظل أمامه ألقي بالعتلة الحديديةمن يده، وركع على الأرض وهو يستند بيديه عليها قائلًا فى خشوع:

- مولاى بدزميران..

لمح جاسر فى أقصي المكان ظل آخر يتشكل، لكنه لم يجسر على رفع رأسه أكثر من ذلك، بينما اقترب منه بدزميران وهو يدور حوله قائلًا بصوت بدا وكأنه يأتى من أعماق الجحيم :

- لقيد أتيت مره أخرى أيها الإنسي.. وكأننا تركنا بعضنا البارحة..

تمتم جاسر وقلبه يكاد يتوقف :

- لم يكن بيدى يا سيدى فقد أُرغمت على .....



قاطعه بدزميران وهو يشير إليه:

- أنت لم تُرغم أيها الإنسى، أنت مُجبر على القيام بما هو مقدر لك القيام به.. ألا ترى أنى تركتك طوال هذه المدة على الرغم من حديثك عنى مع بعضهم..فقد طمست على عقلك حتى لا تتذكر ما حدث.. وهناك الكثير فى غياهب عقلك مما لا تعلمه ولا تتذكره حتى الآن.

هتف جاسر وقد بلغ به التوتر مبلغه:

- سيدى.. أنا لا أدرى لِمَ أنا..؟، لِمَ أنا الذى يحمل هذا القَدَر السيء على كاهلى.. لم أعد أستطيع التحمل،فلا أحد يصدقنى.. الجميع يتجنبنى الجميع وكأنى مجنون أو ممسوس..أقرب الناس إلىّ تركونى.. أصحبت على يقين أنى لعنة.. مجرد لعنة تسير على قدمين، وكلما قررت الابتعاد أجد نفسي مجبرًا على القيام بما هو مطلوب منى.

- حسنًا لقد بدأت تعى طبيعة دورك فى هذه الحياة.. إن القدر لم يختارك عبثًا.. فأنت مقدر لك ما هو أكثر مما تتخيل.. ربما يحمل لك المستقبل الكثير..وربما تكون تلك هي مهمتك الأخيرة.. ولكن هل تعلم ما تلك المهمة أيها الإنسي..؟

- لا أعلم سوى أن علىّ إحضار خريطة لمكان مقبرة ما للحصول على مومياء أمير فرعونى.

- ليست الخريطة فقط، وإنما مقدر لك أيضًا دخول تلك المقبرة والخروج بتلك المومياء بعيدًا عن أرض طيبة حيث قدرها المحتوم، وعندئذ سوف أخبرك ما المطلوب تحديدًا ولتعلم أنك فقط من سيقوم بذلك..

- سيدى.. إن دورى مقتصر فقط على إحضار البردية التى لا أعلم إلى الآن كيف سأهتدى إليها..

- أخبرتك أنك فقط المقدر لك الدخول إلى مقبرة الأمير الفرعونى



والخروج بالمومياء.. لن يستطيع أحد الدخول أو الخروج منها حيًّا إلا أنت.. بل لن يعلم أحد غيرك عن مكان المقبرة، كن على ثقة بذلك.. إنه من سيجسر على اقتحام مقبرة الفرعون الصغير سيتملكه الموت لا محالة.. أنت الوحيد الذى ستفعل، وسوف نساعدك في ذلك حتى تتخلص أرض طيبة من تلك اللعنة..لن يطأ المقبرة شخص غيرك، هل تفهم أيها الإنسى..؟

- أى لعنة تلك..؟ فأنا لا أفهم شيئًا..

- لن تفهم الآن أيها الإنسى ولكنك ستفهم كل شيء في حينه.. والآن قم وأدخل إلى مقبرة الكاهن المعظم «تب رع» وستجد برديتك المطلوبة.

- ولكن كيف سأعرف أن تلك هي البردية المطلوبة..؟

لم يجبه بدزميران، فقد بدأ الظل يتلاشي مصطحبًا معه ذلك الظل الغامض الآخر.. فدار جاسر بعينيه فى أرجاء المقبرة ولكنه لم يجد باب الخروج.. لم يكن يدرى إن كان ما يراه مجرد هلاوس من تأثير الدواء أم حقيقة.. وخاصة أنه شعر بذات الشعور الذى يشعر به عند ظهور بدزميران.. فسلط مصباحه إلى الأرض وهو يحاول بكل جهده أن يزيح تلك الصخرة التى تسد باب الطريق إلى المقبرة..

وبعد محاولات مضنية انزاحت الصخرة بالقدر الذى يكفي تسلله إلى الداخل،فتناول مصباحه فى هدوء وحقيبته وهو يهبط إلى الأسفل مستندًا بظهره على الحائط لتهالك السلالم عن المرة الأخيرة التى جاء فيها إلى هنا، حتى هبط قرابة العشرين مترًا، تلتها فتحة أخرى بباب خشبي لازال متماسكًا على الرغم من تحطم أجزاء كبيرة منه بفعل الزمن.. والذى دفعه بهدوء فتهشمت أجزاء أخرى لتثير كمية كبيرة من الأتربة..

سعل جاسر بشدة واندهش عندما وقعت عيناه على المقبرة، تمامًا كالمرة السابقة، فقد انعكس ضوء المصباح على جدران المقبرة ليظهر تابوت الكاهن



الفرعونى فى المتصف وبجواره كان هناك العديد من الصناديق الأبنوسية، وعلى الجدران تراصت تلك النقوش الهيروغليفية التى تصيب اللعنة كل من سيقلق مقام ذلك الكاهن المقدس.. دار جاسر بالمقبرة مشدوهًا إلى روعة ألوان النقوش الموجودة وكذلك الآثار الموجودة بجوار التابوت والمحرم عليه أن يمد يده إليها وفاء لذلك القسم المقدس القديم مع بدزميران.. ولكنه ظل يتساءل كيف سيهتدى إلى تلك البردية الملعونة.

اقترب من التابوت ووجد ذلك النقش مكتوبًا عليه ولكنه لم يعِ حرف لكن تذكر تلك الكلمة التى ظلت تتردد فى عقله..

يا من محوت ذكراك فداءً للآلهة.. فلتتمجد للأبد يا (امتبواسوخ)

دار حول التابوت من الناحية الأخرى ليكشف بقية الجدران،ولكنه توقف مرة أخرى أمام نقش على الجدار..لم يفهم منه شيئًا على الرغم من تذكره أنه كان فى وقت ما قادر على قراءة ما نقش على الجدران بتلك اللغة.. فاقترب منه.. ولكنه توقف فجأة فقد تذكر أن تحت أقدامه تمامًا كان هناك شيئًا مايحتضن التابوت، نعم لقد تذكر الآن.. فعندما اقترب من التابوت فى المرة السابقة لمح هيكل عظمى بجواره هنا تمامًا..لكنه لم يجده هذه المره ..

حاول جاسر أن يتغلب على خوفه عندما شعر بشىء ما يتحرك خلفه.. توقع أن يكون بدزميران لكنه لم يشعر بما يشعر به فى وجوده.. فنهض ليلتفت فى هدوء موجهًا المصباح إلى ركن بعيد داخل المقبرة، لكنه لم يتبينه جيدًا فاقترب رويدًا رويدًا.. واستجمع شجاعته عندما اقترب أكثر ولكنه شعر بأن هناك من يلمسه من كتفه.. وعندما التفت فجأة على يساره لم يتحمل الصدمة ليسقط وقد فقد الوعى.

لم يدرِ جاسر كم مر عليه من الوقت حتى أفاق على يد تربت على وجهه فى رقة وأحدهم يهتف به:



- خـاى هيـا لـن تظـل مصروعًـا طـوال اليـوم، إن لدينـا شـيئًا مـا أريـد أن أُريـك إيـاه..؟

قـام مفزوعًـا مـن هيئـة مـن يحدثـه، فقـد كانـت مومياء فرعونيـة ترتـدى تلـك الملابـس الفرعونيـة الذهبيـة، ولكـن شـكل الهيـكل العظمـى وطريقـة حديثـه كادت أن تجعلـه يغشي عليـه مـرة أخـرى، لكـن الهيـكل لم يدعـه بـل اسـتمر فى الحديـث قائـلًا:

- أعلـم أن وقـع الصدمـة صعـب عليـك، أنـا «خـاى» وأنـت أيضًـا «خـاى».. أتذكـر ذلـك المكـان..؟، هيـا قـم أيهـا الكسـول..

تمتم جاسر فى ذهول:

- أنا لا أفهم شيئًا، من أنت، وأين أنا..؟

قالهـا جـاسر وهـو يجـول بنظـره فى المـكان مـن حولـه، فقـد تغـيرت أرضيـة المقـبرة إلى أرضيـة فاخـرة، وامتـلأ المـكان بضـوء الشـمس الـذى كان يأتـى مـن عـدة أماكـن بداخـل الممـر المـؤدى إلى المقـبرة.. ورأى نفسـه نائـمًا عـلى أرضيـة هـذا الممـر الضيـق، والموميـاء تهتـف قائلـة:

- أنـا «خـاى»..ابـن الكاهـن «تـب رع».. أنـت مـن وجدتنـى فى مقـبرة أبي كيـف لم تتذكرنـى إلى الآن..؟،حسـنًا.. حسـنًا.. هيـا بنـا فلدينـا الكثـير لنفعلـه اليـوم..

و مـد يـده إلى جـاسر وهـو يقبـض عـلى كـف يـده، فـسرت قشـعريرة فى جسـد جـاسر، لكنـه لم يكـن أمامـه إلا أن يطيعـه وهـو ينهـض ليتبعـه، ومـا هـى إلا عـدة خطـوات حتـى خرجـا مـن الممـر الضيـق ودلفـا إلى سـاحة فسـيحة جـدًّا،كان الضـوء شـديد لدرجـةأن جـاسر وضـع يـده عـلي عينيـه اتقـاء لأشـعه الشـمس التـى كانـت تنعكـس عـلى لوحـة ذهبيـة جداريـة هائلـة، بينـما كان هنـاك العديـد مـن النفائـس الفرعونيـة بجـوار شرفـة كبـيرة مغطـاة، وكذلـك كان هنـاك عـدة مواقـد صغـيرة ينبعـث منهـا رائحـة هادئـة لم يستنشـق مثلهـا فى حياتـه..



كان لا يـزال يشـعر بذلـك الصـداع الشـديد داخـل رأسـه مـع عـشرات التسـاؤلات، فقـد شـعر أنـه كان هنـا فى وقـت مـا.. ولكنـه لم يـدرِ هـل كان داخـل حلـم وقـد انقلـب إلى كابـوس فيـما بعـد،أو ربـما كل مـا يـدور حولـه كان واقعًـا يعيشـه مـن جـراء تلـك اللعنـة..

اللعنةإنهـا تلـك الرؤيـة التـى رأهـا تمامًـا قبـل دخولـه إلى المقـبرة، فهـا هـى تتحقـق الآن..

أشـار إليـه «خـاى»أن يتقـدم معـه إلى الشرفـة، فسـار خلفـه ليجـد أجمـل منظـر قـد تقـع عليـه عينـاه، فقـد كانـت الشرفـة تقـع عـلى النيـل مبـاشرة، وقـد انطلـق ليشـق الأرض الخـضراء عـلى جانبيـه مشـكلًا لوحـة جماليـة فاتنـة..وكان الفلاحـون بزيهـم البسـيط يعملـون فى الأراضي القريبـة بـكل جـد ونشـاط، فتنفـس مـلء رئتيـه بذلـك الهـواء المشـبع برائحـة الخـضرة الطيبـة.. إنـه إحسـاس لم يشـعر بـه قـط قبـل ذلـك..كان يـود أن يظـل فى هـذا الحلـم للأبـد، وهـو يهتـف:

– «خاى» أين أنا..؟

– نحـن الآن فى قـصر ولى العهـد الأمـير «خـا إم واس» سـليل رمسـيس الثانـى ابـن الآلهة.

– «رمسـيس» و»خـا إم واس» وأنـت «خـاى» ابـن «تـب رع»عظيـم جـدًّا.. إذن أخبرنـى أأنـا داخـل حلـم أم مـاذا؟

– لا أسـتطيع أن أفسر لـك شـيئًا، ولا أسـتطيع حتـى تفسـير كيـف نحـن الآن هنـا، ولكنـه مقـدر لى أن آخـذك إلى زمـن مـا، وتحديـدًا فى تلـك الايـام التاليـة ليـوم مقابلـة مـولاى الأمـير الطفـل «سي أوزيـر» للسـاحر الحبشي.

– نعـم.. نعـم.. أنـا أذكـر ذلـك، وأتذكـر أيضًـا أنـه بعـد تلـك الحادثـة اختفـى الأمـير فى ظـروف غامضـة..نعـم.. لقـد تذكـرت فأنـا هنـا لإحضـار تلـك البرديـة التـي تشـير إلى مـكان وجـود موميـاء ذلـك الأمـير، ولا أعلـم السر فى ذلـك، أو حتـى السر فى ضرورة الخـروج بجسـده مـن أرضكـم.



تطلع إليه «خاى» فى غرابة قائلًا:

- أنت تهذى أو تتكلم بلسان لا أعلمه.. كل ما أعلمه أنك مُقدر لأشياء وأنا مقدر لأشياء..

نظر جاسر حوله وهو يتساءل وكأنه لم يكن ينتظر تفسيرًا من «خاى»:

- أين البشر..؟ أنا لا أرى أحدًا .

- ليس الآن.. سآخذك إلي مكان آخر حيث سنبدأ من هناك، لكن حاول أن تعى ما سأقوله،فنحن الآن فى فجوة زمنية بين عالمنا وعالمكم، كيف ذلك..؟ لا أدرى، ولكنك سترى بعينى وتتكلم بلسانى فى الماضي، ولا أدرى كيف.. فكلانا قد طمس على عقله حتى لا يتحدث كثيرًا، فربما إذا علمنا ما قمنا به بعد ذلك لأصبحنا حمقي ولادعى العامة علينا بالجنون.

- ولكن إلى أين ستأخذنى..؟

- سنسير سويًا حتى نصل إلى داخل المعبد، حيث اجتماع الكاهن الأعظم مع الكهنة الأربعة..

- وإذا رآنا أحد..؟

- لا تخف لن يرانا أحد فنحن عبارة عن ظلال.. إن كل مهمتى أن أجعلك تعرف لِمَ كان لزامًا على الكهنة الأربعة التخلص من الأمير «سي أوزير»

- التخلص منه ..!!، هل قتلوه..؟!!

- هيا بنا الآن وسأخبرك بكل شيء في الطريق .

سار جاسر وراء ذلك الهيكل الغامض وهو لا يدرى كيف يفعل،فقدكان لايشعر بخطواته بل يشعر أنه يطير فوق الأرض.. كان الأمر بالكامل يدعو إلى الجنون المطبق، فهو يرى أشياء من المستحيل أن يراها داخل حلم،فقد



كان هناك ذلك القصر مترامى الأطراف به العشرات من التحف الأثرية الفرعونية..بينما ظهر العديد من الخدم يحملون أوانى غريبة الشكل.

كان يود لو تركه «خاى» يتجول فى القصر بمفرده، فهى فرصة لن تتاح له مرة أخرى، فقد كان يتوقف أثناء سيره مشدوهاً لينظر من شرفة أو يقترب من أثر فرعونى، بينما كان يحثه «خاى» على الإسراع.. حتى اقتربا سويًّا من المعبد الجنائزى، ودلفا داخله دون أن يراهم الحراس الأشداء الموجودين فى كل مكان..

سارا سويًّا حتى وصلا إلى ممر جانبي يحرسه عدة حراس مروا بجوارهم وكأنهم لا وجود لهم، وفى آخر الممر فتح «خاى» الباب بهدوء ليدلفا إلى الداخل ثم يسيران على يسار المدخل عدة أمتار ليجد جاسر قاعة كبيرة اجتمع فيها مجموعة من الكهنة وهم يرتدون أجمل ما لديهم وعلى صدورهم تلك القلادات الذهبية، فأشار «خاى» لجاسر بالجلوس والصمت التام..

كان جاسر أقرب للجنون فى تلك اللحظة،فلم يكن يصدق ما تراه عيناه، فقد كان هناك كاهن كبير فى السن يجلس على رأس طاولة خشبية، وعلي يمينه اثنان من الكهنة وعلى يساره عجوز آخر ينظر إلى الجميع ولا يتحدث بينما كان هناك كاهنان آخران أحدهما كان يشرح بيديه ويتكلم لكن دون أن يسمع منه جاسر شيئًا، بينما كان الآخر يهز رأسه يمينًا ويسارًا وهو يسير جيئة وذهابًا، وعلى هيئته تبدو مظاهر التوتر..

جلس جاسر بينما أخذ»خاى» يدور حول الطاولة فى سعادة طفل صغير وجد أهله أخيرًا.. فاقترب من العجوز على رأس الطاولة مشيرًا إليه قائلًا:

- مولاى «نفرو» كاهن المعبد الجنائزى وحامل كأس الأمير «خا إم واس» حاكم منف وكاهن بتاح الأعظم وولى عهد الملك المعظم «رمسيس الثانى» ابن «سيتى الأول»



- هذا ولى العهد...؟

- لا هذا الكاهن الأكبر «نفرو» يا صديقي،أما الأمير «خا إم واس» هو ولى العهد، وأنت تسعى إلى مومياء مولاى «سي أوزير» ولي ولي عهد مولاى «رمسيس الثانى».

- نعم.. نعم.. لقد فهمت..ومن هؤلاء..؟

اقترب «خاى» من الرجل على يمين «نفرو»والذى كان يشير بكلتا يديه إلى الكاهن الآخر الواقف، ويبدو أنه كان يقوم بإقناعه أو بشرح مسألة ما.. فأشار إليه «خاى» قائلًا:

- هذا أبي الكاهن «تب رع» كاهن المعبد الجنائزي ومساعد الكاهن الأكبر «نفرو».. أما المجاور له هو الكاهن «امنى نخت» ويجلس مقابلهما الكاهن «حوتب» رئيس المعبد، أما هذا الذى يجلس بهدوء فهو الكاهن «واخموس».. أما ذلك المتوتر دائمًا فهو الكاهن الأصغر «سوتي».. إنك الآن فى حضرة أهم كهنة المعبد الجنائزي..

صمت جاسر وكأن على رأسه الطير من هول المشهد، فلو استطاع توثيق هذا اللحظة لفعل، فلو روى ما يراه الآن فلن يصدقه أحد أبدًا.. تذكر هاتفه فراودته فكرة إخراجه وتصويرهم.. فأخرج هاتفه بهدوء وسط دهشة»خاى» وقام بتصوير الكهنة والمكان و»خاى» ونفسه حتى لا يظن به أحد الجنون حينما يروى لهم ما يراه.. و»خاى» ينظر إليه متعجبًا وهو يهتف به:

- صديقي.. ماذا تفعل بهذا الشىء..؟

- لا عليك يا «خاى»، أخبرنى لِمَ أتيت بى إلى هنا، ولماذا لا نسمعهم..؟

- أتيت بك لحضور هذا الاجتماع الهام جدًّا، ففى هذا الاجتماع تم الاتفاق على قتل مولاى الأمير «سي أوزير»، فلقد اتفقوا على أن يقوم الكهنة الأربعة بقتل ولى ولى العهد..



- لماذا..؟ وما علاقة الروس بهذا الفرعون الصغير..؟، وما السبب لتدخل اليهود أيضًا ومحاولتهم المستميتة للحصول عليه..؟

نظر إليه»خاى« بتعجب وهو يكرر:

- يهود.. روس؟!!! أنت تتحدث بلسان آخر غيرنا ..

- لا عليك يا «خاى»،أخبرنى أنت عن السبب الذى يجعل أربعة من أوفى كهنة المعبد الجنائزي يخططون لقتل ولى ولى العهد..؟

- حسنًا سأخبرك بالتفصيل،فقد علمت من والدى فيما بعد السبب فى ذلك، فقد كانت زوجة ولى العهد الأمير «خا إم واس» وأم مولاى «سي أوزير» غير طبيعية..

- ما الذى تعنيه بأنها كانت غير طبيعية .؟

- زوجة مولاى الأمير «خا إم واس»ولى العهد الأولى ظلت فترة غير قادرة على الإنجاب، ولكنها بعد فترة كبيرة من العلاج بالوصفات السحرية من خلال السحرة الفراعنة المختصين بذلك، لم يفلح معها أى سحر حتى أتى إليها ذلك الكاهن الغامض الذى جاء من صحراء منف، واستقر فى القصر لثلاث ليالٍ يداويها فيها بوصفاته الطبية..لكن كل من فى البلاط الملكى كان يقشعر بمجرد مرور الكاهن الذى ظل مجهولًا إلى الأبد.. فقد كانت ملامحه مرعبة وصوته كان أجش يثير الرعب فى أشد الرجال قوة.. وقد عاصره الكاهن الأكبر «نفرو» ولكنه كان يشمئز منه إلا أن تعليمات مولاى الأمير ولى العهد كانت صارمة، فقد أمر الجميع معاملته معاملة الملوك.. وظل هكذا حتى ظن الجميع أنه إله الشر «ست»نفسه.. وفى الليلة الرابعة اختفى كأنه لم يكن له أى وجود، إلا أنه بعد شهر قمرى كامل حملت مولاتى الأميرة.. وكان الفرح قد عم البلدة كلها، ووصل الأمر إلى سليل الإله مولاى «رمسيس الثانى»..



واستمرت فترة الحمل لكن خلال نلك الفترة بدأت مولاتى الأميرة فى التغير كليًا.. كان ينتابها صراخ متواصل فى منتصف الليل وبكاء أشبه بعواء الذئب يثير رعب كل من يسمعه، وقد حاولت الانتحار بالقفز من شرفة القصر عدة مرات، ولكن كان يتم إنقاذها فى اللحظة الأخيرة قبل أن تفعل.. ولم تفلح محاولات الكهنة فى شفائها حيث كانت أقرب للشياطين، وخاصة عندما حاولت قتل وصيفتها.. فوضعت تحت المراقبة المستمرة خشية على حياة ولى العهد الصغير.. وكم من المرات المرعبة التى وجدوها فيها تسير على أربع فى جنبات القصر، وعند الإمساك بها كانت تصرخ بلغة غريبة..

المهم يا صديقي..فقد استمر الحال على ذلك حتى وضعت مولاى الأمير الصغير والذى أطلق عليه «سي أوزير»، ولكن بعد ثلاثة أيام تماماً ماتت مولاتى الأميرة فى ظروف غامضة.. وقد سعد مولاى الأمير ولى العهد بمولوده واهتم برعايته وتربيته وتعليمه إلا أنه اكتشف أن هذا الطفل يمتلك قدرات تفوق قدرات أى طفل آخر فى مثل سنه..

وترعرع الطفل فى البلاط الملكى، فقد كان الأقرب إلى ميراث عرش مولاى المعظم «رمسيس الثانى».. وفى يوم من الأيام جلس الأمير «خا إم واس»مهمومًا.. فقد سمع بأن هناك ساحرًا حبشيًا أتى إلى قصر ملك مصر ومعه رسالة مغلقة، وتحدى كل سحرة مصر إن كان منهم من يستطيع قراءة الرسالة وهى مغلقة، وهدد الساحر الحبشى بأنه إذا لم يظهر فى مصر من يستطيع قراءة الرسالة وهى مغلقة فسيقوم باختطاف ملك مصر وأسره فى الحبشة..

كانت تلك طامة كبرى، فالساحر الحبشى جاء إلى مصر بالشر، ولن يستطيع أن يوقفه إلا ساحر أقوى منه، ولكن مولاى «خا إم واس» بكل ما لديه من معرفة بعلم السحر لم يكن يمتلك القدرة على السيطرة على الساحر



الحبشى، وقتها كان الأمير «سى أوزير» ما زال صبيًا عندما حدثت تلك الواقعة، وعندما علم بأنها هى سبب حزن أبيه فاجأه بأن أعلن عن قدرته على قراءة رسالة الساحر الحبشى وهى مغلقة، وأنه مستعد لقبول أى تحدٍّ يأتى به الساحر الحبشى، و.....

قاطعه جاسر قائلًا:

- أعلم تلك القصة يا «خاى» عندما بارز «سي أوزير» ذلك الساحر وفند سحره وقضي عليه.

- مدهش.. كيف عرفت ذلك يا صديقي..؟،فقد أخبر «سى أوزير» أباه الأمير»ساتنى» بأنه عاش من قبل على أرض مصر على هيئة كاهن من كهنة الإله الأعظم «تحوت»، ويحفظ تعاويذه الخاصة، وأنه قام بحماية مصر من شر هذا الساحر الحبشى فى زمن سابق، وأنه عاد الآن مرة أخرى إلى الحياة بأمر من «تحوت» لكى يحمى مصر مرة أخرى من ذلك الشر العظيم، وأن تلك هى المهمة التى جاء من أجلها إلى هذه الحياة .

- عظيم جدًّا.. ولكنى لم أعرف بعد لماذا يصر كهنتكم على التخلص منه..؟

- لأن الأمير تحول إلى صورة مصغرة من والدته، وقد كان مولاى الأمير ولى العهد يُخفى الأمر عن الجميع، حتى أصبح الأمير الصغير على هيئة إله الشر «ست» ولكنه صغير.. فقد أصبح قاسيًا لأبعد الحدود، يمارس السحر الخفي، أتعلم أنه فى حضرته أصبحت القشعريرة تسري حتى فى أجساد كهنة المعبد، مما يؤكد أن روح الشيطان «ست» قد تجسدت فى ذلك المخلوق، وقد كانت الكارثة الكبرى أن ذلك الأمير هو من سيتولى مُلك أرضنا الطيبة يومًا ما فتُدمر أرض طيبة ويعم فيها الخراب..

- ولكن ما ستفعلوه هو جريمة قتل..؟، فالخطيئة تظل واحدة في كل



الأحـوال، ويظـل التبريـر سـلاح بنـى آدم الـذى يزيـن بـه آثامـه حتـى لا يضطـر إلى مواجهـة نفسـه لـيرى ذلـك الشـيطان الكامـن داخلـه، فيظـل متدثـرًا بدثـار الملائكـة، مُلقيًـا بـكل أخطائـه عـلى ذلـك الـذى كان سـببًا في خروجـه مـن الجنـة، متناسـيًا أن مـن أخرجـه منهـا هـو طمعـه وتلـك النفـس الأمـارة بالسـوء التـي يحملهـا بـين جنبيـه.

- أحيانًـا عليـك أن تتحمـل قـدرك مقابـل خـلاص شـعبك يـا صديقـي..أنـت لم تـدرك خطـورة الأمـر بعـد.. والآن هـل أنـت مسـتعد للدخـول فى المناقشـة..؟

قالهـا «خـاى» وهـو يشـير لاجتـماع الكهنـة، ولم ينتظـر إجابـة جاسـر حـين صفـق بكلتـا يديـه فجـأة فجفـل جاسـر عـلى إثـر صراخ الكاهـن «سـوتى» :

- كيـف يـا سـادة..؟، إنـه ولى العهـد، أتعلمـون مـاذا سـيحدث إذا نمـى إلى مـولاى المعظـم ذرة شـك.

أشار إليه كبير الكهنة «نفرو» قائلًا فى هدوء:

- فلتهـدأ يـا «سـوتى»، فأنتـم الأربعـة صفـوة الكهنـة وأنتـم أبنائي، لذلـك أخبرتكـم بالأمـر كلـه، ففـى يدكـم خـلاص أمتنـا، والكاهـن «حوتـب» هنـا لمشـاورتنا فى كيفيـة التنفيـذ.

أومأ الكاهن «حوتب» برأسه موافقًا وهو يقول:

- لى كل الـشرف فى حضـور اجتماعكـم مـن أجـل أرض طيبـة يـا مـولاى «نفـرو»، وأنـا معكـم لمسـاعدتكم بـكل مـا أقـدر عليـه مـن مسـاعدة.

وهتف «تب رع» بدوره هو الآخر قائلًا:

- وأنا معك أيها الكاهن الأعظم، ولكن العواقب ستكون وخيمة.

هتف «سوتى» وهو لايزال يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا فى عصبية:

- وأى مصير قد نُلقي بأيدينا به .



تنحنح الكاهن «امنى نخت» وهو يعتدل فى مقعده قائلًا فى هدوء:

- أنت تعلم يامولاى «نفرو» أنى مؤيدك تمامًا في الأمر، أما أنت يا «سوتى» فلا زلت صغيرًا، ولا تدرى خطورة الشر الكامن بداخل ذلك الأمير الشاب، فأنت لم تحضر مناظرته مع الساحر الحبشي التي حضرتها أنا والكاهن الأعظم، فقد كنا هناك أتذكر يا «نفرو»..؟

تمتم «نفرو» وهو يسرح بنظره متذكرًا:

- نعم.. لازلت أذكر تلك النظرة الشيطانية التى أطلت من عينيه وهو يبارز ذلك الساحر الحبشي، وقتها أقسمت أن روحًا ما تسكن جسد الأمير الشاب، ذلك كنت أراقبه عن طريق حاشيته، وتنبأت أنه فى غضون سنوات قليلة سيصبح «ست» إله الشر ذاته.

أومأ «واخموس» برأسه موافقًا وهو يهتف فى هدوء:

- أنا لا أستطيع تصور أن يحكم أرض طيبة مثل ذلك الفتى، تخيلوا كيف سيكون الوضع وقتها..؟

هتف «سوتى» فى توتر قائلًا:

- أنتم تنظرون إلى ما سيحدث بعد أكثر من خمسين سنة على الأقل، فلماذا لا نحاول مع الأمير، ربما تساعدنا الآلهة فى شفائه و.....

قاطعه «نفرو» فى عصبية:

- أية محاولة يا «سوتى»..؟، إننا نحاول معه منذ مده، وبعد أن حضر ذلك الساحر الحبشي الملعون، تيقنا انه لا يوجد أى أمل، فالفتى يتحول من سيء إلى أسوأ، ووالده الأمير ولى العهد يُخفى الأمر عن البلاط الملكى لخوفه من ضياع الحكم من أسرته..

خفض «سوتى» صوته وهو يتمتم :



- لا أخفيكم سرًّا فأنا أكاد أن أموت رعبًا منذ أن أخبرنى الكاهن «تب رع» الإسبوع الماضي بالأمر.. لقد فكرت كثيرًا في الأمر وكيفية تنفيذه.

أشار إليه «نفرو» قائلًا :

- لن نناقش كيفية تنفيذ الأمر إلا بعد أن أسمع موافقتكم أنتم الخمسة.

نظر العجوز «حوتب» إلى الجميع قائلًا بصوت أقرب إلى الهمس:

- عليكم أن تعلموا أن ما تخافون منه الآن سيكون فيه خلاص أمتكم والذى سيكون على أيديكم.. لا أحد يعلم على وجه التحديد ما الذى سيقوم به ذلك الشيطان إذا حكم أرض طيبة.. سيعيث فى الأرض فسادًا وسيمحو كل آثاره أجداده العظام، وخاصة مولانا المعظم» رمسيس الثانى» حاكمنا العادل وصاحب نهضتنا الحديثة.. لذلك فأنا موافق وأؤيد فكرتك تمامًا أيها الكاهن الأعظم «نفرو».

أشار «امنى نخت» إلى «نفرو» قائلًا:

- أما أنا فلا تسألنى عن رأيي يا «نفرو»، فنحن أصدقاء منذ ما يقرب الخمسين عامًا، فهل أخذلك الآن..؟

هتف «تب رع» قائلًا هو الآخر:

- وأنا معكم بالطبع وأوافقكم الرأي، ولن أترككم أبدًا.

أومأ « واخموس» برأسه موافقًا قائلًا فى هدوءه المعتاد:

- وأنا أيضًا يا مولاى «نفرو» على استعداد لافتداء طيبة بدمى وأنت تعرفنى جيدًا.

أشار «سوتى» بيده فى استسلام:

- وهل أخذلكم أنا..؟، أنا معكم بشرط ضمان السرية التامة.

تطلع إليه «نفرو» بنظرة أبوية وهو يهتف:



- يا ولدى أتظن أن هناك من سيخون في جمعنا هذا.

هز «سوتى» رأسه نافيًا وهو يهتف:

- لا أقصد ذلك يا مولاى، ولكن الأمر قد يستلزم رجال لتنفيذ المهمة، ونحن لا نضمن ولائهم، وكذلك تحنيط جثة الأمير الشاب وتجهيزه للدفن.. إن كل ذلك يستلزم مساعدين لنا.

أشار «تب رع» بيده قائلًا:

- سأتولى أنا أمر التنفيذ مع أحدكم، وسنقوم بتجهيز من نثق به لأداء المهمة.

هتف «واخموس» بدوره:

- وأنا معك يا سيدى ولدى من الرجال الأشداء المخلصين من يقوم بالأمر.

أومأ «نفرو» برأسه وهو يشير إلى «امنى نخت» قائلًا:

- وأنت يا «امنى نخت»عليك بتجهيز مكان مقدس لتحنيط الأمير الشاب كما يليق به كولى عهد.

أومأ «امنى نخت» برأسه موافقًا وهو يهتف:

- سمعًا وطاعة أيها الكاهن الأعظم.

أشار الكاهن العجوز «حوتب» قائلًا:

- وأنا من سيتولى تجهيز التابوت المقدس .

تمتم «نفرو» بهدوء:

- عظيم جدًّا.. أما أنا فسأقوم بمراسم التجهيز، وأنت يا «سوتى» فهناك مهمة تستلزم كاهن شاب مثلك..

هتف «سوتى» متسائلًا عن طبيعة تلك المهمة:



- وما هي تلك المهمة يا سيدى..؟

استدرك «نفرو» قائلًا:

- الخروج بالجسد الملعون إلى مكان بعيد عن عواصمنا المقدسة، سنرسلك معه إلى أحد المخلصين ليقوم بمراسم دفنه فى مكان سري يليق به، بعيدًا عن عبث اللصوص، فى مكان مقدس فى مدينة حورس «دى من حور».

هتف «سوتى» موافقًا :

- حسنًا يا سيدى الكاهن الأعظم، هذا أفضل بالنسبة لى، فأنا أريد أن أكون بعيدًا عن الدماء.

أومأ «نفرو» برأسه قائلًا:

- أعلم ذلك يا ولدى، فقلبك الصغير لم يزل بريئًا يا «سوتى»، ولكن عندما تصبح فى مثل سنى ستدرك أنه لابد من التضحيات لاستمرار الحياة والمحافظة على تلك الأرض الطيبة بعيدًا عن أي شيء قد يدنس أرضنا، أرض الإله المطهرة ..

كان جاسر مذهولًا وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا، ولكنه أفاق فجأة على إثر تصفيقة من أيدى «خاى» الذى ابتسم عندما جفل جاسر، فصمتت الأصوات فجأة ليردف «خاى» فى همس :

- هيا يا صديقي، لن نستمر هنا طوال اليوم.

- إلى أين سنذهب يا «خاى»..؟

- كان من المفترض أن أمضي بك إلى يوم اغتيال الأمير، ولكنى عدلت عن ذلك .

- هذا أفضل حتى لا أشاهد تلك الجريمة..؟، ولكن أخبرنى يا «خاى»..فهناك شيئًا ما يدور فى ذهنى، ماذا لو حاولنا منع تلك الجريمة، تُرى هل يتغير مجرى التاريخ...؟



ابتسم «خاى» من حديث جاسر وهو يهتف:

- هيهات يا صديقي أن يتغير التاريخ، قد نملك تغيير الحاضر فقط، أما الماضى والمستقبل فبيد الإله وحده، أتدرى شيئًا.. أنت الآن فى حضرة عظماء الكهنة ممن لم يذكرهم التاريخ، فقد ضحوا بذكرهم فى سبيل تلك الأرض الطيبة، كما أنك لا تستطيع إلا أن تشاهد فقط ما هو مُقدر لك أن تراه.

مد خاى يده الهيكلية ليسير معه جاسر واستمر النقاش حتى وصلا إلى مكان فسيح فيه ممر واسع طويل نقشت على جدرانه كتابات فرعونية ذهبية رائعة، فانبرى «خاى» شارحًا:

- تلك بطولات مولاى الإله «رمسيس الثانى» مُنشيء نهضة بلادنا، والذى سيذكر التاريخ عنه أنه أحكم إله حكم أرضنا يا صديقي..

- للأسف يا «خاى» لقد حاولوا تشويه تاريخه في زماننا، ضمن محاولاتهم المستمرة لتزييف التاريخ.

- إن نصف حديثك لا أفهمه يا صديقي، وليس لدى فضول لمعرفة عالمكم هذا، فربما لو أطل عليكم الأجداد الآن فلن يتعرفوا إليكم، دعنى أرقد فى مقبرتى فى هدوء بجوار أبي لأنعم بالسكينة ولكن عِدنى ألا تمتد يد مخلوق إلى تلك المقبرة، هذا هو طلبي الأخير لك يا صديقي.

- بالطبع يا «خاى»، سأحاول بكل الطرق أن تبقي سليمة بعيدًا عن أيدى العابثين، فأنا أدرك جيدًا ما يحدث عند اكتشاف تلك المقابر و....

قطع جاسر حديثه عندما فوجئ بعدة رجال يهرولون ومن خلفهم يأتى أربعة رجال أشداء، صلع الرأس، يلتفون حول صبي لم يبلغ السادسة عشر من العمر، يمشي فى خيلاء وغرور، فمال على أذن «خاى» قائلًا:

- مَن ذلك الطفل يا خاى..؟



هتف «خاى» وهو يخر ساجدًا ويجذب جاسر من يده ليفعل مثله:

- اصمت واسجد كما سأفعل، صحيح أنه لا يرانا ولكنها القدسية، إنه مولاى الأمير ولى ولى العهد المعظم «سي أوزير» ابن مولاى «خا إم واس»..

تجاهل جاسر ما طلبه منه «خاى» ولم يسجد، وصمت تمامًا وهو يقترب من الموكب، ولكن شيئًا ما جعل قلبه يهوى من بين ضلوعه، فقد توقف الأمير فجأة وهو ينظر إلى جاسر، وتفحصه بنظرته حتى كاد جاسر يقسم أنه يراه بالفعل.. توقف الموكب عندما اقترب «سي أوزير» قليلًا من جاسر وهو ينظر فى عينيه مباشرة.. ثم ضحك دون سبب وهو يُكمل طريقه ولكنه وقبل أن يغيب داخل ممر آخر جانبي التفت برأسه مرة أخرى ناحية جاسر وهو يغمز له بسخرية، ثم يلتفت ليغادر وهو يُطلق تلك الضحكة الشيطانية.

جذب جاسر »خاى» وهو يهتف فى رعب:

- هيا بنا لنغادر هذا المكان سريعًا يا «خاى» .

أخذ «خاى» بيده ليتحول المكان إلى منزل بسيط، يجلس به الكاهن «سوتى» وهو منكب على الكتابة.. وهو يقرأ ما يكتبه بصوت هامس:

(السلام عليك أيها الإله الأعظم.. إله الحق، لقد جئتك ياإلهي خاضعًا لأشهد جلالك، جئتك ياإلهي متحليًا بالحق، متخليًا عن الباطل، فلم أظلم أحدًا ولم أسلك سبيل الضالين، لم أحنث في يمين ولم تضلني الشهوة فتمتد عيني لزوجة أحد من رحمي، ولم تمتد يدي لمال غيري، لم أكن كذابًا ولم أكن لك عصيًا، ولم أسع في الإيقاع بعبد عند سيده... إني ياإلهي لم أُوجع ولم أُبكِ أحدًا، وماقتلت وماغدرت، بل وماكنت محرضًا على قتل، إني لم أسرق من المعابد خبزها ولم أرتكب الفحشاء ولم أدنس شيئًا مقدسًا، ولم أغتصب مالًا حرامًا ولم أنتهك حرمة الأموات، إني لم أبع قمحًا بثمن فاحش ولم أغش



الكيل.. أنا طاهر، أنا طاهر، أنا طاهر. وما دمت بريئًا من الإثم، فاجعلني ياإلهي من الفائزين...

هذه البرديات هى تذكرة لمن سيأتى بعدى، وليعلم أنى لم أشارك فى دماء مولاى الأمير، حتى لا تظل لعنة الدم تطولنى حتى مقابلة رب الارباب.. لم أُجبر على ذلك، بل طاوعت مولاى الكاهن الأعظم ومعلميى فى المعبد الجنائزى، وسوف يشهد التاريخ أنى لم أطاوعهم إلا بعد تأكدى التام من تحقق روح الشيطان «ست» داخل الأمير..

لقد جرت الأحداث المؤسفة بعد قتله وتحديدًا فى يوم تحنيطه، فقد وُجد الكاهن «حوتب» ميتًا وعلى وجهه آثار رعب هائل، وليس هناك مجال للحديث عن تلك التجربة المؤلمة التى مرت علىّ، حين أشرفت على نقل جثمان الأمير بأعجوبة خارج القصر وخارج البلدة ليتم دفنه فى تلك المدينة البعيدة..

إنى من مجلسي هذا أؤكد أن جسد الشيطان لا يزال يحل بمومياء الأمير، وسوف تحل نكبات ومصائب فى البلد الموجود بها، ولو كان الأمر بيدى لكنا ركبنا البحر ودفناه فى آخر مكان على وجه الأرض.

لم يتبقَ ممن يعرف بالأمر من كهنة المعبد سوى أربعة غير مولاى كبير الكهنة»نفرو» وأنا والكهنة «امنى نخت» و»تب رع» و»واخموس»، وقد اتفقنا على أن نضع خريطة لتدل على مكان المقبرة الملعونة لذلك الأمير، وسوف تُقسم تلك الخريطة إلى نصفين، ليوضع كل نصف بمقابر اثنين من الكهنة الأربعة، ليتمكن من هو مُقدر له من الوصول إلى تلك المقبرة فى الوقت المُقدر لذلك، ليستخرج مومياء الأمير الشاب ويخرج بها فى مكان هو أبعد ما يكون عن أرضنا الطيبة.. إن تلك المومياء ملعونة، وشخص واحد فقط هو من سيكون قادرًا على التخلص من تلك اللعنة.. فهو من



سيجتاز العتبات المقدسة وسيطوى له الزمان أجنحته طيًّا وسيساعده فى ذلك آلهتنا العظام التى تحرس أرض طيبة..

كان جاسر مذهولًا مما يسمعه، مما دعا «خاى» إلى أنه يهزه وهو يهتف به:

- ما لك تقف مشدوهًا هكذا يا صديقى وكأن على رأسك الطير.

- ألا ترى يا «خاى»..؟، أن التاريخ يُكتب أمامى.. أتدرى مدى روعة شعورى الآن ..؟

- إن الوقت لم يعد معنا يا صديقى.. هيا بنا الآن وإلا ستظل أسيرًا هنا إلى الأبد.

- انتظر.. فقد يرسم خريطة ال.......

قاطعه «خاى» فى عجلة وهو يهتف به:

- أى خريطة تلك، هيا حفظتك الآلهة.

جذبه «خاى» ليجد جاسر نفسه داخل مقبرة «تب رع» مرة أخرى و»خاى» يستدرك قائلًا:

- لقد كنت أعلم مكان مقابر الكهنة الأربعة، ولكنى حافظت على سرهم المقدس يا صديقي.. أتدرى أننى اخترت أن يكون هنا مدفنى الأبدى بجوار جثمان والدى، وقد حفرت اسمي بجانب الكهنة العظام الذين حافظوا على سر تحوت المقدس، وحافظوا أيضًا على سلامة أراضي طيبة.. فهنا سأرقد للأبد.. أتدرى يا صديقى لقد كنت على يقين أننا ستتقابل فى وقت ما وفى زمن ما، كنت على يقين أننى سأجد ذلك الشخص الذى كان دائمًا موجود بداخلى وبداخل عقلى.. فهناك آلاف الأشياء التى لا يمكن تفسيرها.. ولا أعلم حتى هل أنا الآن حيًّا أم ميتًا..؟



- أقسم لك يا «خاى» إنى لدى نفس شعورك، حتى أنا لا أدرى ما الذى يمر بنا..؟ ولكنى لا أستطيع أن أصف لك مدى سعادتى بوجودك بجانبي.. من يعلم فقد نتلاقي مرة ثانية.

- كم أتمنى ذلك يا صديقى.. كم أتمنى أن نلتقى مرة أخرى حتى ولو بداخل أحلامنا .سنلتقي..كن على ثقة.

- و لكن كيف سأصل إلى البردية المطلوبة وسط عشرات البرديات والآثار التي تمتلئ بها المقبرة.

- يجب أولًا أن تدرك أنك الوحيد القادر على إخراج تلك المومياء الملعونة بعيدًا، فأنت وحدك من سيُسمح له باجتياز عتباتنا المقدسة وإحضار تلك المومياء، وهذا شرف عظيم.

- لا أريد ذلك الشرف يا «خاى» .

- هذا ليس شرفًا فقط يا صديقى، وإنما أيضًا قدر أُلقى على عاتقك وليس منه فكاك.. ولتعلم أن أى شخص سيدخل تلك المقبرة غيرك سوف يذوق أشد الألم وستتحول حياته إلى جحيم.

- حسنًا يا «خاى»، والآن أخبرنى أين هي تلك البردية المنشودة.

- حسنًا سأرشدك إليها لكن على وعد يا صديقي.. فأنا أريد ألا...

قاطعه جاسر قائلًا:

- أعلم تمامًا ما تريده يا «خاى»، وأقسم لك إنى لن أبوح بسرك أبدًا، وستظل مقبرة أبيك فى طي الكتمان.

- وأنا أثق فيك يا صديقي، والآن اقترب حتى أودعك.

اقترب جاسر من «خاى» ليحتضنه لكن خاى لمس رأس جاسر لمسة خفيفة، فشعر جاسر بالظلام يحيط بعقله مرة أخرى وقدماه لا تقوى على



حمله وكان آخر ما رأه قبل أن يهوى إلى الأرض «خاى» الذى كان يبتسم له مودعًا.

****

أفاق جاسر على صداع شديد فى رأسه والظلام يحيط به من كل جانب، فأخرج هاتفه ويضىء مصباحه ليجد نفسه خارج المقبرة وداخل ذلك القبر المؤدى إليها.. وإلى جواره كان هناك صندوق خشبي نقش عليه رسومات فرعونية ذهبية، ففتح الصندوق سريعًا ليجد داخله نصف الخريطة التى تشير إلى مكان المقبرة التى دفنت فيها تلك المومياء.. لم يكن يدرى هل ما مر به كان حلمًا أم كابوسًا أم أن بدزميران قد ساعده ليصل إلى تلك الخريطة..؟

التفت ناحية فتحة النزول إلى أسفل المقبرة والذى فتحه بتلك العتلة الحديدية إلى جواره، فوجد أن هناك من قام بسده تمامًا.. نظر إلى ساعته متذكرًا كل تلك الأحداث الماضية ولرعبه وجد أنه لم يمض على دخوله المقبرة إلا ثلاثون دقيقة فقط.. لم يدرِ كيف حدث ذلك..؟ كل ما يعلمه أنه كان على وشك الجنون..

نهض جاسر وهو يحمل ذلك الصندوق ليخرج من المقبرة ويقوم بغلق الباب الحديدى لها بقفل جديد.. واستقل السيارة بعد أن وضع الصندوق الخشبى داخل حقيبته ليعود إلى الحاج مراد ورجاله الذين لا يعلمون شيئًا عن مهمة جاسر سوى أنه هنا ليفك الرصد الموجود بالقرية حتى لا تصيب القرية لعنة أخرى كما حدث من قبل، لذلك كان يعامله رجال الحاج مراد على أنه له علاقه ما بالجن، لم يعلم بمهمته الحقيقية سوى الحاج مراد فقط، وما هى إلا دقائق حتى كان الجميع فى الطريق إلى منزل الحاج مراد الذى مال عليه هامسًا:

- أرجو أن تكون قد وفقت فى مهمتك.



- الحمد لله يا حاج مراد

- ولكن مالى أراك مهمومًا هكذا يا ولدى..؟

- الأمر أخطر بكثير مما كنت أتصور.. ولكن دعنى أوصيك بشىء أولًا.

- تفضل يا ولدى.

- إن هذا القبر لو فُتح ستنفتح على القرية أبواب جهنم.. ثق فى حديثى يا حاج مراد.. إن كل ما رأه الشيخ إلهامى فى عمره هو ما رأيته بداخل ذلك القبر..

- وما الحل إذن يا ولدى، أخشي أن تعود تلك اللعنة إلى القرية .

- الحل فى يدكم، حاولوا إغلاق تلك المنطقة بسور أو بأى شىء يمنع الدخول إلى تلك المنطقة.

- سنعمل على ذلك بإذن الله، لا تقلق واتركها على الله ثم علىّ يا ولدى.

بعد ثلاثين دقيقة كان جاسر مستلقيًا على السرير فى غرفته بمنزل الحاج مراد، وهو يتذكر كل تفاصيل تلك الليلة الغريبة.. «خاى» وحديثه.. اجتماع الكهنة.. نظرة»سي أوزير» المرعبة له وكأنه يراه..بل إنه كان يراه فعليًّا، كيف..؟، لا يدرى.. بردية»سوتى» وإشارته إلى جريمة القتل والبرديات التى تحوى خريطة لمكان المومياء.. وفى وسط تلك الأفكار تذكر شيئًا فنظر إلى هاتفه من بعيد..ارتعد من فكرة وجود صورة الكهنة عليه.. وارتعد أكثر عندما لم يعثر لها على أثر، فألقى بالهاتف بجواره وكأنه كان يتوقع ذلك.

كان عليه التفكير فى أمر آخر.. ولكن كان عليه انتظار سيارته التى ستأتى من القاهرة فى الغد..

****



(10)

إن مشاعر الإنسان شيء خاص به يملكه وحده لا يحق للآخرين اقتحام خصوصيتها وانتهاك قدسيتها بالتدخل فيها والتطفل عليها، كما لا يحق لتلك المشاعر أن تؤثر على الآخرين أيضًا، ولا أن تطغى فتؤثر على مجرى الحياة من حوله، ربما تغيره أو تؤثر على نظرته للحياة، ولكن ليس لها توقف ذلك النهر الجارى الذى لا يتوقف على أحد، تلك هى الحياة بكل ما تحمله من متناقضات .



كانت الساعه تشير إلى الثامنة صباحًا عندما استقل جاسر سيارته متوجهًا إلى القاهرة بعد أن أخذ البردية التى تحوى النصف الآخر من الخريطة من الحاج مراد، والتى تركها له الشيخ إلهامى ليعطيه إياها، وبعد توديع الحاج مراد وتوديع القرية ومن بها، مع وعد بزيارتهم قريبًا والمكوث عندهم لأطول وقت ممكن، وذلك حتى يطمئن إلى تنفيذ ما وعد به «خاى» بعدم فتح المقبرة مرة أخرى، ويكفي أن بدزميران لم يلاحقه هو الآخر..

بعد مرور حوالى النصف ساعة لاحظ جاسر أن هناك سيارة تحاول أن تقترب منه من الخلف..فزاد من سرعته فلاحظ أنها تزيدها أيضًا.. شعر جاسر بالخطر فحاول أن يبحث عن أى استراحة، لكن لسوء الحظ لا توجد استراحات فى ذلك الجزء من الطريق الصحراوى..

وما هى إلا دقائق حتى وجد أمامه سيارة كبيرة تجبره على الانحراف يمينًا، بعد أن أجبرته على الاصطدام بمؤخرتها.. لتظهر تلك السيارة التى كان قد هرب منها مجددًا، وينزل منها عدة رجال أجبره أحدهم على الركوع أرضًا فى حين بدأ الآخرون بتفتيش سيارته..

وفى تلك الأثناء هبط من السيارة الأولى ذلك الرجل ذو الملامح اليهودية الذى رآه فى مقابلته مع وليم أثناء زيارته للبعثة الإنجليزية، ليقترب منه ذلك اليهودي قائلًا فى شماتة وهو يقيده بعد أن عجز جاسر عن المقاومة حيث أمسك أحدهم به من الخلف:

- طلبنا منك أن تتعاون معنا لكنك رفضت.. ودفعت صديقك لترحيلنا عن القاهرة.. أتظن أننا بمفردنا أيها الغبي، لن ينتهى الأمر إن تركنا القاهرة، فسيأتى غيرنا ليكملوا تلك المهمة التي لن تنتهى حتى نحصل على ما نريد.. والآن أخبرنى هل حصلت على تلك الخريطةالتى....

قطع حديثه ذلك الرجل الذى كان يبحث فى سيارة جاسر متحدثًا بنبرة



انتصـار، لكـن جـاسر لم يفهـم حرفًـا واحـدًا، فقـط تحـدث الرجـل بالعبريـة، ليلتفت إليه الرجل الـذى قيده ليناول جاسر لطمة شديدة على أنفه أوقعته أرضًـا، ويذهـب ليفتـح الصنـدوق بعـد أن عثـروا عليـه بالسـيارة ليجـد بـه البرديتـين المطلوبتـين ..

أما جاسر فقد شعر أن أجله قد حان، وأنه بغبائه وصلت البرديات إلى أيدى اليهـود.. أما الرجل فقد ألقى عدة أوامر على الأربعة رجال من حولـه فاقترب أحدهـم مـن جـاسر وجذبـه مـن ملابسـه ليسـحبه إلى تلـك الصحـراء الممتـدة، فحـاول جـاسر المقاومـة إلا أن ضربـة مفاجئـة على رأسـه ألقتـه أرضًـا وهـو ينـزف، فجذبـوه مـن ملابسـه حتـى توغلـوا قليـلًا فى تلـك الصحـراء..

كان الرجل يهمهم ضاحكًا بتلك اللغة الكئيبة، فحاول جاسر القيام مرة أخرى لكن الرجل ركله بشدة فى صدره ليجبره على الاستسلام ..

أخـرج الرجـل مسـدس مـن طيـات ثيابـه وهـو يبتسـم بسـخرية، فأغمـض جـاسر عينيـه وشريـط حياتـه يمـر أمـام عينيـه فى تلـك اللحظـة، وبعـد لحظـات دوى إطـلاق النـار.

****

فتـح جـاسر عينيـه على اتسـاعهما بعـد سـماع صـوت الرصـاص، ليفاجـأ أن الشـخص الـذى يمسـك بالمسـدس يسـقط مضرجًـا فى دمائـه على إثـر طلقـة هشـمت رأسـه تمامًـا.. فقـام محـاولًا الهـرب لكـن دفعـة مـن يـد أحدهـم أسـقطته أرضًـا، وقـد سـاد صمـت تـام لم يقطعـه سـوى صراخ باللغـة الروسـية..بعد تبـادل لاطـلاق النـيران

لم يـدر سـبب تلـك السـعادة عندمـا استنشـق رائحـة الياسـمين المميـزة، ليشـعر بوجـود إلينـا، ومـا إن رفـع رأسـه حتـى وجدهـا بالفعـل بجـواره ومعهـا عـدة رجـال بـدا مـن شـكلهم أنهـم روس أيضًـا، فقامـوا بجـر تلـك جثـث هـؤلاء اليهـود إلى



الصحراء الممتدة بعيدًا عن الطريق ومنها جثة ذلك الرجل اليهودى أفطس الأنف والذى كان يسير بخيلاء منذ دقائق..

ابتسمت إلينا وهى تحل وثاق جاسر وهى تقول:

- أخبرتك أننا سنكون فى أعقابك ولن نتركك، ولا أعرف لما قمت بتلك الحيلة لإبعاد الأنظار عنك خلال اليومين الماضيين، ولكننا توصلنا إليك في النهاية وكذلك اليهود.

- ما الذى حدث يا إلينا..؟

- علمنا أن اليهود قد خرجوا فى أعقابك بعد أن تركت القاهرة، وذلك بعد أن قام صديقك باستصدار أمر بترحيلهم خارج البلاد و....

قاطعها أحد الروس هامسًا لها فقطبت حاجبيها قائلة لجاسر:

- يبدو أن هناك سيارة تقترب وعلينا الانصراف سريعًا، فلتستقل السيارة معنا.

- لن أترك سيارتى فى مكان الحادث فقد........

قاطعته إلينا وهى تشير إليه:

- لا تقلق فسيارتك سيقودها أحد رجالنا..

- ولكن.. لكن..

- لكن ماذا..؟، هيا تحرك..

- لقد كانت الخريطة معى فى سيارتى قبل أن يسرقها ذلك اليهودى .

- لقد سبقتنا الخريطة بمجرد أن حصلنا عليها بعد أن لقوا مصرعهم، والآن هيا بنا وإلا أقسم أنى سأتركك هنا.

قفزا داخل تلك السيارة ذات الدفع الرباعي والتى أطلق لها قائدها العنان لتسير بسرعة فوق المائة وخمسين كيلو مترًا، بينما كانت إلينا تتطلع إلى



جهاز الكمبيوتر المحمول الذى تحمله، وهى تفتح الكاميرا لتجد فى الطرف الآخر مكسيم، حيث دار بينهما حديث أدرك جاسر من لهجة الانتصار التى يتحدثان بها أنها تبلغه بنجاحهم فى الحصول على تلك الخريطة.

أنهت إلينا الاتصال فى حين كانت الحيرة تتملك جاسر، فقد أنقذته إلينا من ذلك المصير المؤلم بعد أن كان سيلقى مصرعه فى الصحراء بتلك الطريقة البشعة، فى ذات الوقت الذى حصلت فيه على الخريطة، فما الذى منعها من التخلص منه ومن شقيقه هو الآخر، لذلك بادر إلى سؤالها قائلًا:

- إلينا هل لى فى أن أسألك سؤالًا..؟

- تفضل..

- لماذا أنقذتينى..؟، كان من الممكن أن تقتلينى أنا الآخر بعد أن حصلتى على الخريطة ثم تهربين.

- أقتلك..؟!!، أنا لست بقاتلة يا جاسر.. كل ما هنالك أنى كنت أدافع عن شىء نريده بقوة ونحتاج إليه، وأنت بالنسبة لى شخص برئ فلماذا ألوث يدى بدمائك..؟

- ولكن بعد أن حصلتم على مبتغاكم، ما السر فى اصطحابى معكم لمكان لا أعلمه..؟

- لعدة أسباب.. فنحن لم نتأكد بعد من أنها الخريطة الأصلية، كما أن اليهود فى أعقابك بعد أن تم طرد أغلب أفراد بعثتهم.. فلو وصلوا إليك أولًا سيتم ذبحك بلا رحمة.. بالإضافة إلى أنه لديك خبرة بالمقابر الفرعونية.

- وهناك أمر آخر ستكتشفونه فيما بعد.

اعتدلت إلينا وهى تتساءل فى اهتمام:

- وما ذلك الأمر..؟



- لن يستطيع أحد غيرى أن يهتدى إلى تلك المقبرة أو يفتحها غيرى.. فأنتم لديكم الخريطة ولكن تصلوا إليها من غيرى.

- أنت تهزىء يا جاسر.

- سترين بعينيك يا إلينا..فإن أردتم التخلص منى أو من شقيقى اعلموا أنكم لن تصلوا أبدًا إلى ما تريدونه..

أغلقت إلينا جهازها وهى تتطلع إليه فى دهشة:

- ولماذا تخبرنى بذلك..؟

- أخبرك فقط لتخبرى ذلك الرجل الذى تتحدثين معه، فما رأيته داخل المقبرة التي أتيت منها بالخريطة يجعلنى الوحيد القادر على إخراج تلك المومياء، ولكم أن تتأكدوا من ذلك، فإذا تأكدتم فلدى عدة شروط .

كان جاسر واثق تمام الثقة أنها مسألة وقت ليتخلصوا منه، لذلك كان عليه التفكير مرات ومرات للخروج من هذا المأزق الذى سيق إليه دون أن يدرى، فأردف قائلًا وهو يتظاهر بعدم الاكتراث:

- ولكن إلى أين سنتجه الآن يا إلينا..؟

- إلى إحدى مقراتنا السرية فى الإسكندرية، بحيث نكون بالقرب من مدينتكم دمنهور التي بها المقبرة..

- والخريطة..؟

- الخريطة أرسلت ليتم التأكد من أنها البردية الأصلية التى توضح مكان مقبرة الأمير الصغير، وليتم فك رموزها.

ساد الصمت بينهما تمامًا بعد هذا الحديث، وهما يتطلعان إلى الطريق الذى بدا وكأنه يمتد إلى مالا نهاية.

****



بعد أسبوع من تلك الواقعة كان جاسر يجلس أمام البحر فى فيلا خاصة بالساحل الشمالى.. ومن خلفه كان أحد الرجال الروس الذى كان ملازمًا له كظله لحمايته، بينما كان جاسر شاردًا فى ما وقع له من أحداث ماضية.. كانت الأمور إلى حد ما تسير نحو الاستقرار، فقد اتصل بشقيقه لأكثر من مرة وعلم منه أنه عاد إلى عمله فى العاصمة تبليسي، وأنه هو وزوجته منى بخير ويمارسان حياتهما كالمعتاد.. حاول الاتصال بآدم ولكن إلينا أصرت ألا يقوم بفتح هاتفه الخاص منعًا من تتبعه، لذلك امتثل للأمر ولم يجادل..

كان يشعر أن إلينا تتقرب منه، ففى الأيام السابقة زادت مساحة الحوار بينهما فى كل شيء.. الفراعنة والعمل وروسيا وأحوال البلاد.. وعندما اقترب منها شعر أنها شخصية أخرى رقيقة غير تلك الفظة القاسية التى كانت تظهر بها.. من داخله كان يعلم أنها مجرد مرحلة فى حياته ستنتهى بمجرد حصولهم على مبتغاهم منه، وإلى الآن لم يجد منهم أى سوء، بل على العكس تمامًا، كان له مطلق الحرية فى الحركة والتنقل دون رقابة.. ولكن ماذا بعد أن يحصلوا على تلك المومياء وينجحون فى الخروج بها من مصر..؟، هل ستعود حياته كما كانت..؟، من المستحيل العودة إلى ما كان عليه الأمر قبل ذلك بعد أن أصبح مطاردًا من اليهود حتى داخل بلده كما حذرته إلينا وجماعتها.

وفجأة تذكر نسرين، لا يدرى ما الذى ذكره بها، ولكنه شعر بمرارة فى حلقه عندما فعل، نسرين..نعم نسرين تُرى أين هى الآن..؟ هل واصلت حياتها كما هى..؟ هل شعرت بالفرق في غيابه..؟ هل تشعر بالألم أو الندم على ما فعلته به..؟ لا يظن ذلك، فهى شخصية تتنفس كِبرًا وعشقًا لذاتها وستظل طوال عمرها تهوى ابتداع الحجج لإثاره الانتباه.. غريب أمر الإنسان فهو عندما يكون غارقًا فى الحب لا يشعر أبدًا بعيوب من يحب، لكن عندما ينفض عن كاهله غبار العشق ويبتعد تتكتشف أمامه كمية العيوب التى تغاضى عنها لمجرد أن قلبه غض الطرف على حساب عقله..



- أين ذهبت يا جاسر..

قالتها إلينا مبتسمة، وهى تقطع حبل أفكاره، فاعتدل قائلًا:

- أبدًا لا زلت هنا أنظر إلى ذلك اليم الذى لا نهاية لأسراره.

- يبدو أنك من هؤلاء الأشخاص الذين يجلسون أمام البحر ليشكوا إليه ما بهم.

- إلى حد ما، لكنى دائمًا أخاف منه.

- أتعرف يا جاسر، إن بحركم هذا من أجمل الأماكن التى رأيتها فى حياتى، ولكنك لم ترَ المحيط بعد..

- أتمنى رؤيته فى وقت ما.

- قريبًا ستفعل يا جاسر، بل ربما أقرب مما تتخيل..

- ماذا تقصدين..؟

- لا أقصد شيئًا، ولكن لِمَ لا تأتى معنا إلى روسيا وتستقر هناك عوضًا عن حياتك التى انتهت هنا تقريبًا بسبب تلك المومياء السخيفة..؟

- لا أدرى حقًّا يا إلينا، إن ذلك ما كنت أفكر به حاليًا، ولكن ليس لدى أحد هناك.

- إذن لماذا لا تفعل، هل لديك أحد هنا لتبقى صديقة أو ربما حبيبة مثلًا..؟

- كان يا إلينا.. كان..

- أخبرنى إذن ولا ترد علىّ باقتضاب هكذا، أين هي ولِمَ لم ترتبطا وكيف ستتركها وكيف وقعت فى الحب..؟

ضحك جاسر وهو يتطلع إلى إلينا باستغراب قائلًا:

- أتعلمين أنكِ فى منتهى الغرابة يا صديقتى الروسية .



- ولماذا..؟

- من يراكِ أول مرة يصدم بفظاظة مشاعرك وبرودك وثقل ظلك وتجهمك وقسوة قلبك، ولكن عندما اقتربت منك شعرت أن بداخلك طفلة كل ما يهمها هو أن تلهو وتلعب، وفتاة رقيقة تود لو تنطلق بحرية.

- لا أفهم أى من تشبيهاتك، ولكن يبدو لى أنك تمدحنى.

- إلى حد ما...

ضحكت إلينا تلك الضحكة الطفولية التى تميزها وهى تستدرك:

- إذن أخبرنى ما الذى كنت تشكيه إلى البحر كمعظم المصريين..؟ هل تشكو حبيبتك.

وجم جاسر فجأة وهو يجيبها باقتضاب:

- لا يوجد شيء اسمه حب يا إلينا.. إنه مجرد مشاعر كاذبة تجعل الآخرين يقتربون منكِ حتى يحققون ما يريدون..

- غريب جدًّا حديثك يا جاسر، فأغلب الشرقيون يؤمنون بالحب، وليس الماديات، فأنتم شعوب عاطفيون بطبعكم، لقد ظننت أنك وصديقتك تتبادلون تلك المشاعر

- صديقتى..؟!! عن أى صديقة تتحدثين..؟

- تلك التى رأيتها تكاد تقتلنى بنظراتها في الحفل عندما تعرفت عليك أول مرة.

- تقصدين عندما تعمدتى أن تسكبي كأسك على ملابسك.

- كان لابد أن أخلق معك حديثًا فالعيون كانت تراقبك طوال الوقت دون أن تدرك، لذلك حاولت أن أصطنع مشهدًا طبيعيًّا إلى حد ما.. ولكن دعنا من ذلك ولا تتهرب من إجابتى..



- حسنًا أنتِ قلتِ صديقتى وليست حبيبتى.. والآن فلنغير مجرى الحديث، فأنا أصبحت الآن أمتعض من مجرد تذكرها فى حياتى، ولا تسألينى عن السبب..أخبرينى أنتِ هل سبق ووقعتى فى الحب..؟

لم تجب الفتاه من فورها بل قامت من الكرسي الذى بجواره وسارت قليلًا على الشاطئ فلحق جاسر بها وألح فى السؤال مرة أخرى..

- لماذا لا تجيبين..؟، هل أنتِ مثلى ترفضين الحب..؟

فوجمت عدة ثوانى قائلة فى ألم:

- أنا لا أرفض الحب رغم كل محاولاتى لاظهار ذلك لكن في الحقيقة أنا لا أرفضه بالمعنى الحرفي للرفض كل ما في الأمر أننى أحاول تجنب مأساة سابقة انهالت على قلبى بالطعنات المميتة فأتجنب تكرار مشاهد مأساوية عجزت الذاكرة على نسيانها ربما أأخشى الوقوع في فخ الخذلان مجددًا هذا الفخ الذي جعلنى أفقد ثقتى في الجميع، الجميع بلا استثناء لكن بداخلى أؤمن بالحب، أؤمن أن الحب وحده من يعطي للحياة رونقها ولذتها.. أعرف أن أجمل ما يمكن أن تشعر به الجميلات هو الحب، وأعرف أيضًا أن أجمل الرسائل تلك التي تكتب بخط اليد وأجمل رحلات السفر تلك التي تكون في القطار أو الحافلة وأنا نائمة على كتف رجل يفهمنى ويجعلنى أشعر بالأمان والطمأنينة، ثم إننى أعشق المشاركة وكم أتمني لو أن هناك شخص ما يشاركنى اهتماماتى البسيطة ويصبح الوحيد الذي يتحمل نوبات جنونى ويشاركنى لحظات تفاهتى ومزاجيتى أريد ذلك الذي يكون لى أبًا صديقًا وعاشقًا في آن واحد، ورغم كل ذلك أقطع كل الوصل للحب، أخاف أن تتعلق سعادتى في وجود شخص ما أن تبني احلامى مجدداَ برفقة رجل وفي النهاية يتركنى بلا مرسى يوما أن يحاول أحدهم الاقتراب منى حتى ادفعه بقوة عنى.. هذه المعاناة التي لايفهمها أحد غيرى ولن يشعر بها إلا من



هم مثلى، هذا الصراع الذي لا ينتهي بين قلبى وعقلى بين نوبات احتياجى للحب وبين ذاكرتى التي لازلت تحمل كل مشهد مأسوي وكئيب أفسد قلبى أو قتل روحى، إن مشكلتى لا تتعلق بالحب بل تتعلق بالأمان أنا في حاجة للشعور بالأمان للطمأنينة لا أكثر لكنى حقًّا لا أرفض الحب.

اندهش جاسر ووقف لاستيعاب تلك الكلمات التى لم يصدق أنها قد تخرج من شخصية كإلينا، مما جعله يهتف قائلًا:

- أنا فى غاية الدهشة، كيف تتحدثين بكل تلك المشاعر على الرغم من أنك روسية.

صُدمت إلينا بكلامه فأجابت بحدة:

- وهل أخبرك أحد أن الروس ليس لديهم مشاعر..؟

- لا أقصد ذلك، ولكنى أقصد أن بعضكم قساة القلب، والمشاعر كما أخبرتينى ليس لها وجود عندكم.

- بالطبع خطأ، لكننا قادرون بعكسكم على أن نضع لكل مقام مقال كما تقولون.. فمشاعر الإنسان شيء خاص به يملكه وحده لا يحق للآخرين اقتحام خصوصيتها وانتهاك قدسيتها بالتدخل فيها والتطفل عليها، كما لا يحق لتلك المشاعر أن تؤثر على الآخرين أيضًا، ولا أن تطغى فتؤثر على مجرى الحياة من حوله، ربما تغيره أو تؤثر على نظرته للحياة، ولكن ليس لها توقف ذلك النهر الجارى الذى لا يتوقف على أحد، تلك هي الحياة يا صديقى بكل ما تحمله من متناقضات .

- عامة أنا أعتذر منكِ، فيبدو أنى ضايقتك بحديثى هذا.

- لا أبدًا ..اعذرنى فقط لحدتى أعرف انك قد لا تشعر بهذه الكلمات ولكنك جعلتنى أتذكر مارد العشق بداخلى بعد ان أعتقدت انه قد حبس ومات من سنوات طوال..فقد القيت بحجر فى بركة ساكنة من سنوات..



حجر تحطم عليه كثير من خجلى وكبريائى فى وقت ما، مماأجبرنى على أن أبوح بما كنت أحاول حجبه طويلًا عن العالم من حولى بما فيهم أنا نفسي.. كلما تذكرت تلك الفتاه البلهاء التى كنت عليها أود أن أقتلها للابد..

- حسنًا أعتذر منكِ مرة أخرى لأنى فتحت معكِ موضوعًا سبب لكِ كل هذا الألم.. ولكن أخبرينى يا إلينا لِمَ الإصرار على تلك المومياء، بل ما علاقة الروس بالأمر كله..

- فى وقت ما سأخبرك بكل شىء يا جاسر، والآن هل لنا أن نعود، فعلىّ أن أتابع ما يقوم به زملائي فى البحث عن تلك المقبرة الملعونة..

لم يردفا بكلمة بعدها بل سارا عائدين إلى الفيلا وسط حراسة ذلك الرجل الذى كان يراقبهما كظلهما

****

كانت الأمور فى داخل الجماعة تسير من سيء إلى أسوأ.. فإيفان كان كل همه الحصول على تلك المومياء الملعونة قبل ليلة الثالث عشر من أكتوبر القادم، ليتم مراسم تنصيب ابنه كزعيم روحى ودينى للجماعة، مما يؤهله لرئاستها بعد وفاته.. فهو قد ضحى من أجل تلك الجماعة منذ نشأتها إلى الآن، ولذلك كان عليه أن ينصب ابنه الذى بالطبع لم يستطع الاعتراف به.. بل أوهم الجميع أنه ابن الشيطان.. كان لزامًا أن تتم تلك الطقوس بأى شكل، تلك الطقوس التى سَتُحضّر روح راسبوتين العظيم.

أما مكسيم فعمل على توطيد علاقاته بالصف الثانى للجماعة بعد أن هَرِمَ قادتها وتحولت الجماعة من دينية إلى اجتماعية، كان عليه اتخاذ خطوات أكثر صرامة دون أن يصل ذلك إلى إيفان، وإلا كان القتل هو مصيره المحتوم، ولذلك كان عليه إحضار تلك المومياء، وتقديمها للجماعة فى القريب وإقناعها بعزل إيفان وولده المخبول الذى يرفض الاعتراف به ليوهم الجميع بأنه



ابن الشيطان الذى ستحل فيه روح راسبوتين.. فكيف تحل به وقد بلغ هذا العمر.. إن الطقوس تقتضي بأن تتم تلك الطقوس أثناء ميلاد طفل من سيدة عذراء ليلة الثالث عشر من أكتوبر مع طقوس خاصة ليتم استحضار روح راسبوتين فى ذلك الوليد، ولذلك كان عليه القيام بذات الخطوات بإحضار تلك المرأة الممسوسة ومعاشرتها حتى ثبت حملها وأخبر بعض الأعضاء الكبار للجماعة أنه قد توصل أخيرًا للعذراء الحبلى حتى يدعموه فى الوقت المناسب ..

كان عليه إرسال اليكسي إلى القاهرة بعد أن أبلغته إلينا بنجاحهم فى الحصول على تلك الخريطة التى ستؤدي بهم إلى المقبرة التى تحتوى على المومياء المطلوبة.. لكنه لم يكن يعلم أن الجماعة فى القاهره قد فشلوا فى العثور على المكان المطلوب وتحديده بدقة فى دائرة قطرها كيلومتر ..

كانت إلينا تصرخ بعصبية واضحة فى يورى الذى لم يعد فى استطاعته عمل شىء آخر للتوصل لتلك المقبرة والذى هتف بدوره:

- هذا كل ما نستطيع فعله يا إلينا، ولكننا بالرغم من ذلك لم نتوصل إلى تحديد مكان المقبرة.

- كيف ذلك يا يورى ..؟، إن لديكم الخريطة التى نجحنا بالكاد فى الحصول عليها.

هتف يورى فى عصبية:

- أنتِ تجلسين هنا طوال الأسبوع ولا تعلمين شيئًا عن المشاكل التى تواجهنا يوميًا فى التعامل مع هؤلاء البرابرة.

- إن لديكم أجهزة استشعار، وأجهزة للكشف عن الذهب تحت الأرض، وأجهزة للأشعة تحت الحمراء وأجهزة.......

قاطعها يورى قائلًا:



- ولكنكِ تبحثين عن مقبرة فى خريطة منذ آلاف السنوات، هل تتوقعين أن تكون الأرض كما هي ولم يطرأ عليها أى عوامل تعرية ..؟ لقد حاولنا تضييق نطاق البحث على دائرة قطرها كيلو متر فقط، وهذ ما استطعنا فعله حتى الآن.

- نعم وأنت الآن تخبرنى بأنها ربما تكون بداخل مدرسة الأطفال تلك.. تخيل بعد كل هذا الجهد يا يوري تكون المقبرة كامنة هناك..؟، كيف بالله عليك إذن سنحصل على تلك المومياء الملعونة والخروج من الجحيم الذى نعيشه فى القاهرة بمجرد وصولنا، وكل ذلك قبل الثالث عشر من أكتوبر القادم..؟

سعل اليكسي الذى كان قد وصل إلى القاهرة صباح اليوم، ثم توجه إلى الساحل سريعًا للقاء يورى وإلينا للتباحث فى طريقة للحصول على المومياء والخروج بها خلال الإسبوعين التاليين قائلًا فى هدوء:

- وما المشكلة من وجهة نظرك يا إلينا سواء كانت المقبرة فى مدرسة أو في مقابر أو حى أو أرض فضاء..

- تبًا لك أيها الغبي أنت الآخر..كيف ستبرر الحفر وقتها..؟، وكم من الوقت قد يأخذه ذلك من وجهة نظرك..؟

- دعى هذا الأمر لى ولكن عليكم التأكد أولًا من النطاق ثم دعوا الأمر لى.

نظرت إلينا فى شك إلى اليكسي قائلة فى غضب:

- اليكسي أخبرتك أن تتركنا نحن لنحصل على تلك المومياء ولا داعى لأساليبك هنا، لا أدرى لم أرسلك مكسيم للقاهرة، وكأنه لا يثق فى أعضاء فريقي.

- الأمر ليس كذلك يا إلينا.. كل ما في الأمر أننا نريد الحصول على



المومياء فى أسرع وقت تمهيدًا لترسيم ذلك الفتى فلاديمير فيرا.. أخبرينى هل قمتى بالاتصال بإيفان فى الآونة الأخيرة.

- آخر مرة كانت منذ يومين، وقد أخبرته أن هناك صعوبة فى الحصول على تلك المومياء.

- لاداعى لإخباره بكل تلك التفاصيل يا إلينا، فالزعيم يمر بحالة مرضية حرجة، وتلك الأخبار قد تزيد الوضع سوءًا، فنحن نريده فقط أن يظل حيًّا حتى انتهاء مراسم الترسيم.

- إن أمرك غريب يا اليكسي، أنت الآن من ستلقي الأوامر علينا..؟

- ليست أوامر يا إلينا ولكنه مجرد اقتراح حتى ننتهى من هذا المكان السخيف.

نظرت إليه إلينا فى دهشة وهى تقترب من يورى الذى قام بفتح جهاز الكومبيوتر الخاص به، وتشغيل برنامج تحديد الخرائط لترى تلك البقعة الدائرية المحددة بمداد أحمر.

أما اليكسي فقد كان ينفذ تعليمات مكسيم حرفيًا، فقد طلب منه ألا يدع إلينا تخبر الزعيم بكل ما لديها من أحداث والحصول على المومياء فى أقرب وقت والخروج بها من القاهرة بعد أن جهز شحنة تصدير موالح مصرية إلى ميناء أزمير التركي تمهيدًا لشحنها إلى تبليسي فى جورجيا لتصل أخيرًا إلى العاصمة موسكو.. كما أخبر الينا ويورى بتلك المعلومة..

كل شيء تم إعداده بدقة، كان اليكسى يريد طاعة مكسيم إلى مالا نهاية لأنه كان الأجدر بمنصب الزعيم المنتظر، لذلك كان يحاول الحصول على ثقته بالكامل حتى لو وصل به الأمر إلى قتل إلينا ويورى وأعضاء جماعتها إذا بدا منهم أية مقاومة.. ولكنه لم يرد الوصول إلى تلك اللحظة أبدًا مع إلينا .



إلينا...التى طالما أحبها كثيرًا، لكن طبعها يختلف كلية عن طباعه، فهى على الأقل الآن فى معسكر الزعيم إيفان، وكيف لا ووالدها وعماها كانا من كبار مساعدى الزعيم السابق، قبل أن يتم التخلص منهم على أيدى الشرطة الروسية التى لازالت تطارد أعضاء الجماعة.. لذلك كانت الأوامر الصادرة إليه من مكسيم بضرورة الحذر منها كل الحذر.. لكنه أردف فى عفوية:

- ماذا بشأن المصري الموجود بالداخل؟

أجابته إلينا فى اقتضاب:

- ماذا به..؟

- أقصد لماذا لا زلتم تحتفظون به إلى الآن..؟ إن وجوده معنا قد يعرض مهمتنا كلها للخطر.

- أنت تفكر فى ذلك، ولكنى أعلم أن ذلك المصرى ربما يكون هو الجزء الناقص في تلك الأحجية، والذى ربما سنحتاجه فى وقت ما لحل لغز تلك الأحجية.

- لم أفهم شيئًا.

- فقط انتظر وستعلم ماذا أقصد.

- إن الوقت يداهمنا يا إلينا، فلابد أن تكون المومياء فى سان بطرسبرغ فى القريب،فلم يتبقَ على ميعاد طقوسنا إلا شهر واحد فقط.

- سنرى فى الغد.. فسوف نذهب بالقرب من تلك المنطقة ونرى ما الذى يمكن أن نفعله..

فى صباح اليوم التالى كانت تلك السيارة تسير فى شوارع مدينة دمنهور المزدحمة، وقد جلس اليكسي بجوار يورى فى المقدمة بينما كانت إلينا وجاسر وإيفانوف أحد أفراد جماعة إلينا على المقعد الخلفى.. وبالرغم من أن جاسر كان على علم بوجهتهم لكنه لم يستطع إفادتهم بأى شىء.. على الرغم من



حديث بدزميران معه بأنه سيدله كالعادة على مكان تلك المقبرة، إلا أنه لم يفِ بوعده.

ظلت تلك الأفكار تدور برأس جاسر، والسيارة تخرج من مدينة دمنهور متجهة إلى قرية تسمى دميتوه.. وقد مروا هناك بالقرب من مزار دينى، حيث كان الشارع مغلقًا مما اضطرهم للالتفاف حوله.. وجاسر يمد رقبته خارج السيارة ليقرأ الكلام المكتوب على تلك اللافتة فى مدخل الشارع المغلق.

(هنا مقام الكاهن اليهودى أبو حصيرة وتم إغلاق المقام بحكم قضائي صادر برقم........)

كانت تلك أول مرة يرى المقام الموجود على يساره على الطبيعة، وأول مرة يعلم أنه قد تم إغلاق المقام للأبد بعد أن كان مرتعًا يهوديًا كل عام بحجة الاحتفال بميلاد صاحب المقام..

كانت السياره تبتعد عن المقام المغلق حينما حاولت إلينا جذب أطراف الحديث معه فقالت هامسة بلغتها العربية التى لا يفهمها سواهما:

– ما رأيك يا جاسر إذا كانت المقبرة بداخل تلك المدرسة ..

– سوف نكون فى مأزق بالطبع، فكيف سيتم الحفر وإخراج المومياء، ولكنى أتعشم أن يقتصر الأمر على المومياء فقط دون بقية محتوياتها، وإن كنت أشك فى أنكم ستتركونها، وحتى إذا تركتوها فسوف يتم سرقتها.. إن الموضوع كله صعب يا إلينا، ولا تنسى أن ميعاد بدء الدراسة فى العواصم المصرية السبت القادم، بمعنى أن تلك المدرسة لن تكون فارغة أبدًا.

– دراسة..!!!، هذا ما ينقصنا يا جاسر..إن تلك مشكلة أخرى..

قالتها وانشغلت بجهاز تحديد الخرائط ملقية عدة أوامر إلى يورى الذى كان يقود السيارة، حتى وصلا أخيرًا إلى المنطقة المطلوبة.. فهتفت فى يورى قائلة:



- توقف هنا يا يورى ..فالبردية تشير إلى أن المقبرة تقع جنوب شرق بدرجة 27 وبعد تحويل وحدة المسافة من الذراع المستخدم فى العصر الفرعونى إلى أمتار، فمن المفترض أن نكون على بُعد مسافة خمسين كيلو متر من مدينة دمنهور من ناحية الباب الشرقي المهدم من معبد الإله حورس، والذى مررنا على أطلاله فى مدينة دمنهور وتحديدًا أمام ذلك الباب الشرقي.

توقف يورى بالسيارة فهبطت إلينا ومعها اليكسي ويورى بينما انتظر جاسر فى السيارة إلى جوار إيفانوف، لتوقعه نتيجة نزول الفتاه الروسيه فى قرية مصرية بسيطة، فما إن سارت إلينا ومن معها بالقرب من سور المدرسة مع جهاز تحديد أماكن الذهب هذا بالفرض أن المقبرة ممتلئة بالذهب كعادة الفراعنة مع ملوكهم وأمرائهم، حتى أصابتهم خيبة الأمل وخاصة عندما التفتت وراءها لتجد عشرين فردًا تقريبًا يسيرون وراءها فى دهشة من تلك البيضاء ذات العيون الزرقاء، بينما اضطرب اليكسي وحاول أن يصل إلى مسدسه لكنه تذكر أنه فى السيارة، فأشارت إليه إلينا بالهدوء وهى تبتسم لهؤلاء الأشخاص البسطاء الذين بادلوها الابتسام، بينما اقتربت فتاتان فى بداية فترة المراهقة منها وهما يحدثونها بلغة إنجليزية ركيكة طالبين منها التصوير معها.. فابتسمت إلينا مقتربة منهما بينما فزع اليكسي ويوري من موقف إلينا، فاقترب اليكسي من الفتيات زاجرًا إياهم، بينما مد يورى يده وهو يسحب إلينا إلى السيارة.. وماهى إلا لحظات حتى خرجوا سريعًا من تلك القرية، بينما التفت اليكسي إلى إلينا قائلًا فى غضب:

- أى حماقة كنتِ سترتكبينها..؟، ألا تدرى أننا على وشك ارتكاب جريمة فى تلك البلدة فى غضون أيام، وأنتِ توافقين على التصوير مع بعضهم..

- لم أفكر في ذلك وقتها، كل ما فكرت فيه هى تلك الابتسامة الطيبة الودودة وكان علىّ إسعادهم..



- تلك الابتسامة كانت ستكلفنا الكثير..ألا تعلمى ذلك..؟

- لن نظل طوال اليوم نتحدث عن تلك الصورة يا اليكسى.. والآن ما تصوراتكم وخصوصًا أن الجهاز لم يشر إلى وجود أى ذهب فى تلك البقعة..؟

هتف يورى قائلًا:

- لابد لنا من الدخول لتلك المدرسة بأى صورة كانت والبحث بداخلها، ربما كانت المقبرة فى الوسط أو في الجانب الآخر أو أي مكان آخر لا تصل إليه أجهزتنا.. ولكن كيف..؟

تمتمت إلينا وهى تفكر فى الموضوع:

- لا أدرى يا يورى ولكن كما أخبرنى جاسر لابد من التصرف سريعًا قبل بداية الدراسة هنا..

ثم التفتت إلى جاسر وهى تسأله:

- ما رأيك أنت يا جاسر..؟

- رأيي فى ماذا..؟، أنتم تتحدثون بالروسية وحتى لا تتحدثون بالإنجليزية حتى أستطيع مشاركتكم الحديث ..؟

- لا تأخذ الموضوع على محمل شخصي، ولكن لديك الحق فى ذلك بالفعل.

وطلبت من الرجال التحدث بالإنجليزية ليستطيع جاسر المشاركة معهم فى الحديث، فنظر إليها اليكسي ولم يعقب بينما تحدث يوري بالإنجليزية شارحًا مرة أخرى ضرورة الحصول على المومياء فى أسرع وقت، فالتفتت إلينا إلى جاسر مكررة:

- والآن ما رأيك يا جاسر..؟

- ليس لى أى رأي، فأنا لا أفهم لما تريدون المومياء بتلك السرعة .



- سأخبرك عن كل شيء لاحقًا ولكن المشكلة الآن في مكان تواجد تلك المقبرة.. ألم تخبرنى بأنك الوحيد المسموح له باكتشاف تلك المقبرة، وفك لعنتها .

قهقه اليكسي بعد ما سمع حديث إلينا قائلًا بسخرية:

- من أجل ذلك يشاركنا ذلك المصري المخاطرة فى الحصول على تلك المومياء الملعونة.

هتفت إلينا فى هدوء متجاهلة نبرة السخرية فى حديث اليكسى:

- ستعرف كل شيء في وقته يا اليكسى، ولكنى أثق فى جاسر وأظنك يا جاسر لن تخذلنى أليس كذلك..؟

- لابد أن أفهم يا إلينا إلى أين نسير، ولماذا إصراركم على الحصول على تلك المومياء..؟

صمتت إلينا وكذلك بقية المجموعة بينما كانت السيارة فى طريقها إلى مكانهم المعتاد فى الساحل الشمالى .

****

كانت إلينا تحتسي كوبًا من القهوة الساخنة فى شرفة الفيلا المطلة على البحر المتوسط ليلًا، بينما وقف جاسر يرتعد من برودة الجو فى شهر سبتمبر.. مما جعلها تلتفت إليه ضاحكة عندما رأته بتلك الحالة، فأردفت قائلة فى سخرية:

- أنت لم ترَ الجو الروسي بعد، إنه قادر على تجميد الجحيم نفسه يا عزيزى.. أتعلم أن درجة الحرارة تصل أحيانًا إلى عشرين وثلاثين درجة تحت الصفر.

- بالله عليك توقفي عن الحديث عن البرد وإكملى ما بدأتيه فى الحديث



عـن جماعتكـم، لقـد كنتـى تحدثينـى عـن راسـبوتين ..

- حسنًا ماذا تعلم عنه.؟

- هو راهب روسي ..

- فلتنصـت إذن، فيبـدو أن معلوماتـك محدودة عـن روسـيا القيصريـة فقـد ولـد غريغـوري راسـبوتين عـام 1869م، ومنـذ صغـره كان يـرى فى منامـه أنـه قـادر عـلى شـفاء الأشـخاص، وقـد تـزوج وكان لديـه أربعـة أولاد، كان مهتـمًا بالانضـمام إلى الجماعـات السريـة ذات الممارسـات الفاحشـة والتـي تقـترب مـن صـورة عبـدة الشـيطان وممارسـات السـحر الأسـود، وبالفعـل انضـم للعديـد مـن الجماعـات مـن هـذا النـوع وأشـهرها جماعـة خاليسـتى.

انضـم غريغـورى إلى طائفـة دينيـة مصنفـة في روسـيا عـلى أنهـا مُتطرفـة تسـمى بطائفـة خاليسـتي، والتـي يراهـا العامـة عـلى أنهـا طائفـة دينيـة مُتطرفـة حيـث كانـت قائمـة عـلى شرب الخمـور والرقـص والقيـام بممارسـات فاحشـة وكانـت وجهـة نظـر هـذه الطائفـة أن المبـدأ التـي تقـوم بـه مـن شرب خمـور ورقـص وممارسـات فاحشـة هدفهـا الانغـماس الكامـل في معـاصي الجسـد حتـى يتطهـر منهـا فيـما بعـد ولا يقـوم بهـا مـرة أخـرى.

- خاليستى ..؟!!، أليست تلك هى جماعتكم..؟

- نعـم ..فقـد ظهـرت لغريغـورى رؤى مسـتمرة عـن القـوى الإلهيـة وقـدرات الشـفاء الخارقـة، إذ كان باسـتطاعته مثـلًا أن يُـبرئ حصانًـا بمجـرد لمسـه، لكنـه اكتسـب في فـترة مراهقتـه اسـم راسـبوتين (أي الفاجـر) بسـبب علاقاتـه الجنسـية الفاضحـة، وقـد وقعـت سلسـلة مـن المصائـب خـلال فـترة صبـاه، كان مـن نتيجتهـا القضـاء عـلى معظـم أفـراد أسرتـه في ظـروف غامضـة، خاصـة مـصرع أخيـه الـذي بـدا وكأن راسـبوتين ضالعًـا فيـه، بـما يوحـي أن راسـبوتين الطفـل كان بمثابـة نحـس عـلى أسرتـه فنزلـت البلايـا بعائلـة راسـبوتين وهـو لم يبلـغ بعـد



الثانية عشرة من عمره، فتوفيت والدته وأكلت النيران معظم منزله، وكان حادث اتهامه ذات مرة بسرقة حصان نقطة تحول في حياته، فقد هرب على إثرها من القرية ولاذ بأحد الأديرة حيث اتخذ صفة الرهبانية التي لازمته بعد ذلك طيلة حياته.. وبعد ذلك رحل راسبوتين عن قريته ليصبح مسافرًا جوالًا في أنحاء روسيا وخارجها، وخلال هذه الرحلات لم يغتسل أو يبدل ملابسه لفترات بلغت عدة أشهر، وكان يرتدي قيودًا حديدية زادت من المعاناة. وأثناء فترة تجواله أصبح راسبوتين تحت تأثير طائفة متطرفة غير شرعية تعرف باسم خاليستي، وتنزع إلى الجلَد والممارسات الجنسية، ولعل سمة الجمع الشاذ بين الورع والأفعال الجنسية غير الشرعية، وخاصة الفاضح منها، هي التي شكلت القاعدة التي ارتكزت عليها ممارسات راسبوتين الدينية فيما بعد، فلم تفارقه أبدًا فكرة أن الفرد يمكن أن يصبح أكثر قرباً من الله إذا ارتكب عمدًا ذنبًا شهوانيًا ثم تاب توبة نصوحة وهذا ما جعله ينشئ تلك الجماعة السرية أو بمعنى أدق يعيد إحيائها مرة أخرى. فهناك معتقد متغلغل في التاريخ الروسي يتمثل في فكرة أن المسيح يعود إلى الظهور بين فترة وأخرى متقمصًا أجساد البشر، والغريب أن هذا المعتقد عاود إلى الظهور في فترة سبقت ظهور راسبوتين ولكن، وهذا هو الأخطر، أنه اقترن هذه المرة بأقاويل عن تجسد لأحد أبناء الشيطان ليقاوم مجيء المسيح، ومن بين أشهر تلك الجماعات التي كانت تسير وفق ذلك الاعتقاد هو طائفة سرية باطنية تدعى خاليستي كما اخبرتك، وكان لها معتقد آخر يتمثل فى أن الشخص وحتى إن كان مليئًا بالمعاصي والخطايا يمكن له أن ينال التوبة ويسعد الرب حقًّا، كانت طقوس تلك الطائفة ترتكز على الرقص وشرب الخمور والقيام بممارسات جنسية داعرة وفاجرة من الجنس الجماعي، وكان الهدف منها هو التأكد من الانغماس الكامل في معاصي الجسد لكي يتطهر منها فيما بعد وينال التوبة على ما اقترفه من خلال امتناعه عن الاتيان بها مرة ثانية .



تأسست جماعة خاليستي في أواخر القرن السابع عشر، ودام نشاطها حتى أوائل القرن العشرين، وكانت قد انشقت عن الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، ومن ثم أصبح لها ميل إلى المسيحيين الروحانيين، واسم خاليستى في الواقع تحريف لكلمة «خريتسوفري» والتي تعني المؤمنون بالمسيح، وقد جاء ذلك التحريف بعد أن أفسد نقادها الاسم ليمزجوه بكلمة خاليستو التي تعني الجلد، لأن تلك الجماعة كانت تجتمع بشكل منتظم في الغابات للقيام بممارسات سادية مازوخية جنسية عن طريق الجلد بالسياط، وكانوا رجالًا ونساء وعبر ذلك الأسلوب الشاذ يصلون إلى نشوة جنسية ودينية في نفس الوقت بحسب زعمهم.

ومن المعروف أيضًا عن طائفة خاليستي التي اعتاد راسبوتين أن يمارس طقوسها، أن هذه الطقوس كانت تتم في الغالب حول حوض كبير من الماء الذى كان بمثابة عرش صناعي للشيطان وذلك على اعتبار أن الماء من الوسائط المفضلة والمستقر للحضور الشيطاني، خاصة لو علمنا أنه من المعتاد في هذه الطقوس أن يبدأ الممارسون لها في رؤية تجسدات ضبابية فوق سطح الماء خلال ذروة الطقس كان من أشهرها شكل الغراب الأسود وشكل امرأة تحمل طفلاً .

كان جاسر ينصت إلى إلينا بانتباه كامل وهى تُكمل :

- لقد أجمعت كتب التاريخ والنظرية التاريخية الشائعة عن راسبوتين على وجود إحدى الجماعات السياسية السرية التي كانت تمهد لسقوط الحكم القيصري، حيث قامت بتدريب راسبوتين لاستخدامه كأداة سياسية تكون عينًا لهم على القيصر وزوجته، وأن هذه الجماعة السرية نجحت في تدبير عقد اجتماع لراسبوتين مع حاشية البلاط في أول نوفمبر من عام 1905م، وفي عام 1910م اتهمت صوفيا إيفانوفا تايوتشيفا وهي مربية بنات



القيصر الروسي راسبوتين بانتمائه إلى طائفة خاليستي بعد أن روعت بخبر سماح القيصر الروسي لراسبوتين بدخول مخدع كبار الدوقات الأربعة وهن في ثياب نومهن، لكن ماريا ابنة راسبوتين أنكرت لاحقًا انتماء والدها إلى الطائفة زاعمة أنه كان فقط يحقق في أمرها وقد رفضها بشكل مطلق .

وذاع صيت راسبوتين خلال جولاته التي استقطب فيها إعجاب الأرستقراطيين ورجال الدين، وازدادت أيضًا قوة بصيرته. ففي إحدى المناسبات ظهرت له السيدة مريم العذراء وحثته على الذهاب إلى سان بطرسبرغ لمساعدة العائلة الملكية، وتحرك راسبوتين باتجاه العاصمة وبدأ سريعًا في تكوين أكبر مجموعة من الحواريين والمعارف على مستوى الطبقات العليا، ولم يعوقه عن ذلك عيناه المغناطيسيتان، ولحيته الطويلة القذرة، وشخصيته المشبوهة، إذ نظر «مجتمع موسكو المهذب» إلى راسبوتين باعتباره «مرشدًا روحيًّا» وبالتالى نجح في جذب المزيد من الأنصار من جميع الطوائف الاجتماعية، وقد تطوع هؤلاء « البلهاء» كما كان يطلق عليهم «لارتكاب الخطيئة من أجل التطهر من آثامهم» مع رجل بدوا عاجزين أمام جاذبيته.

وبزغ نجم الراهب راسبوتين في سان بطرسبرغ.. وبالمثل زاد عدد أعدائه، إذ رآه كثيرون خارج حدود البلاط يحيا حياة السكر والعربدة، وغالبًا ما يكون بصحبة العاهرات، ولكن الكثير من الرجال الدين الحقيقين كانوا على اقتناع تام بأن راسبوتين ما هو إلا تجسيدًا للشيطان. والأقرب للصواب عند الكثير من المتتبعين لسيرته أنه قد قطع عهدًا مع الشيطان خلال إحدى فترات انخراطه فى طقوس جماعتة السرية العديدة التى انضم إليها، عهد كان من نتيجته أن أضحى جسد راسبوتين مستقرًا مجسدًا للشيطان فى مقابل حصوله على قدرات ومواهب فذة ونفوذ وثراء طوال مدة حياته على الأرض وحينما حل الأجل المحتوم، لم يكن هناك بُد لأمير الظلام من اطلاع هيكله



البشري على حقيقة الأمر فأسقط فى يده وانتبه إلى أن هناك فرقًا ما بين أن تكون شيطانًا على الحقيقة وبين أن تكون قالبًا فانيًا لحلول روح الشيطان، أفهمت الآن علاقة راسبوتين بجماعة خاليستى السرية .

– أعتقد ذلك ولكنكِ لم تجيبى بعد على سؤالى..ألا وهو ما علاقه كل ذلك بالمومياء الفرعونية.. ولماذا الإصرار على الحصول عليها قبل نهاية الشهر..؟

– ستعرف كل شيء في وقته يا جاسر..

اقتحم يورى الشرفة قائلًا فى نشوة بلغة إنجليزية واضحة:

– إلينا ..جاسر، لقد وجدتها سنذهب للمدرسة غدًا وسندلف داخلها أيضًا..

هتفت إلينا فى فضول:

– وكيف ذلك يا يورى ..؟

– ستعلمين غدًا، ولكن على جاسر بالطبع مساعدتنا والدخول إلى المدرسة تنفيذًا للخطة التى رسمتها تمامًا..

تطلع إليهم جاسر وهو لا يفهم شيئًا فى حين نظر يورى إلى إلينا وابتسما

****



فى صباح اليوم التالى ووفقًا لخطة يورى كان جاسر يجلس فى مكتب ناظر تلك المدرسة الريفية مرتديًا حلة أنيقة، ولأن العطلة الصيفية كانت على وشك الانتهاء فلم يكن بالمدرسه سوي عدد قليل جدًّا من المدرسين الذين شاهدوا وصول ذلك الوفد الأوروبي الذى أتى لتطوير المدارس الريفية، كان جاسر يقوم بترجمة ما تقوله إلينا التى بالطبع لم تفصح عن إجادتها للعربية، وجاسر يردف قائلاً للسيد بديع ناظر المدرسة:

- و ها أنت ترى يا سيد بديع أن اليونسكو مهتم بالوضع الدراسي فى الريف المصري، ولذلك تم وضع مدرستكم تحت نظر المنظمة وكان علينا أولًا متابعة النظام المدرسي لديكم وكذلك النشاطات المدرسية لنرى هل تستحق المدرسة الدعم المقدم لها خلال العام الدراسي الحالي أم لا.

هتف بديع وهو يشير للسيد أدهم صبرى والذى لم يكن سوى جاسر:

- بالطبع بالطبع يا سيد أدهم فمدرستنا ستنال رضا وإعجاب الوفد وبإذن الله سنكون المدرسة التى تستحق الدعم منكم، ولكن ما المطلوب منا على وجه الدقة لإبراز تفوقنا على بقية المدارس فى القري المجاورة..

- هما شرطان فقط يا سيد بديع، أولًا ألا تهتموا بوجودنا فسوف تخلون المدرسة تمامًا من المدرسين والعاملين حتى نمر على الفصول ودورات المياه وأقسام المدرسة ومعاملها لنُقيّم كل ذلك، وكن على ثقة فنحن نرى أن مدرستكم هي الأفضل بين المدارس التي سبق أن مررنا عليها، ولكن يجب أن يطمئن الوفد لذلك، فالمبلغ سيكون كبيرًا.

- حسنًا.. حسنًا يا سيدى.. والشرط الآخر.

- ألا تخبر أحدًا بزيارتنا لأننا سنقوم بعمل زيارات سرية للمدارس الأخرى لرؤية الوضع القائم وإذا أخبرت أحدًا فسوف يأخذون احتياطهم وربما كان مبلغ الدعم من نصيب مدرسة أخرى..



- بالطبع لـن أخبر أحدًا وسـوف آمـر حـارس المدرسـة بـإصراف العاملـين بالمدرسـة لتقومـوا بعملكـم فى هـدوء يـا سـادة، بـما في ذلـك الحـارس أيضًـا..

قـام الناظـر مسرعًـا ليُـصرف العاملـين والمدرسـين قبـل انتهـاء يـوم العمـل بحجـة صـدور أوامـر مـن الـوزارة بإخـلاء المدرسـة للتفتيـش عـلى المبانـى قبـل بـدء العـام الدراسـى، بينـما تفرغـت إلينـا ويـورى لإعـداد الأجهـزة الخاصـة بالبحـث الدقيـق، مما جعـل ناظـر المدرسه يتطلـع إليهـم فى دهشـة وهـو يقـترب مـن جـاسر قائـلاً فى فضـول:

- وما تلك الأجهزة يا سيد أدهم ..؟

- أهـم شرط ألا تسـأل يـا سـيد بديـع، لأنـى لـن أشرح لـك فائـدة كل جهـاز معهـم.. ولكـن عامـة هـى أجهـزة لقيـاس نسـبة التلـوث بالمدرسـة، والآن هـل تتركنـا للقيـام بعملنـا..؟، سـوف نمـر بـكل أرجـاء المدرسـة وعندمـا ننتهـى مـن عملنـا سـوف نعـود لـك فى مكتبـك.

تركـه جـاسر وبقيـة المجموعـة ليخرجـوا إلى فنـاء المدرسـة، تتبعهـم نظـرات الحـارس ومديـر المدرسـة التـى تـكاد تقتلهـم مـن الفضـول، بينـما اقـترب جـاسر مـن إلينـا قائـلاً فى توتـر:

- إلينـا.. لابـد مـن إنهـاء الأمـر سريعًـا، فأنـا أتوقـع أن هـذا الرجـل لـن يصمـت.

- أعلم ذلك، وأعلم أيضًا أنك أديت دورك بمنتهى الإتقان.

- و لكـن ماهـى إلا سـاعات وينتـشر الخـبر فى القريـة كلهـا وفى القـرى المجـاورة أيضًـا.

- إننـا نعمـل بأقـصي جهدنـا ولكـن للأسـف لم تُظهـر الأجهـزة أى آثـار للذهـب أو أماكـن مفرغـة تحـت الأرض، يبـدو أننـا أخطأنـا في شيء.



تركهم جاسر يدورون بأجهزتهم مبتعدًا قليلًا عنهم، لكنه لمحه أمامه مجددًا..نعم لقد لمح ظل بدزميران الذى لا شكل له فعلم أن فى الأمر شيئًا ما.. لذلك تركهم وسار دون أن يلاحظه أحد حتى وصل إلى المكان الذى لمح الظل بجواره، وكلما اقترب هرب الظل حتى وصل إلى خلف دورات المياه فى تلك المساحة التى تقع بينها وبين السور والتى تبلغ قرابة المترين.. كانت الأرض فى ذلك المكان غير مستوية، فاندهش جاسر ولكن الظل كان يمر على الأرض واضحًا سريعًا على السور.. حاول جاسر النظر خلف السور ولكنه لم يفلح.. فاقترب من صخرة عالية وقفز عليها لكن لدهشته وجد أن خلف السور تمامًا توجد ترعة.. فهل تكون المقبرة هنا أم أسفل تلك الترعة..؟، الأمر أسوأ فى الحالتين..

خرج جاسر من مكانه باحثًا عن إلينا التى كانت هى ويورى واليكسي فى أشد حالات الحنق والغيظ بعد بحث استمر قرابة الثلاثون دقيقة ولكن دون جدوى.. فأشار لهم أن يتبعوه فى صمت، وبالفعل تبعته إلينا ويوري بينما انتظر اليكسي فى مكانه متظاهرًا بالنظر فى بضع أوراق حتى لا يلفت أنظار مدير المدرسة الذى كان يتابعهم من داخل مكتبه، فى حين هتف جاسر بإلينا وهو يشير إلى المكان الذى دله عليه الظل قائلاً:

- ابحثى هنا يا إلينا..

- هنا يا جاسر..؟!!، فى هذا المكان الضيق..

- هل لكِ أن تبحثي دون أسئلة من فضلك.

لم تُجب بل بدأت فى وضع أجهزتها على الأرض باحثة عن أى تجويف أرضى فى المنطقة المجاورة بدائرة قطرها عشرين مترًا وما هى إلا دقائق حتى فغرت فاها بدهشة، فقد أشارت الأجهزة إلى أن أسفل منهم بحوالى مترين يوجد سرداب مغلق بباب حديدى.. استمرت فى تحريك الجهاز حتى وصلت



إلى السور الذى قفزت عليه كقط بمنتهى الخفة، لكنها عقدت حاجبيها فى ذعر عندما وجدت الترعة أسفل منها..

صاحت على اليكسي وخرج يورى سريعًا ليحضر جهاز آخر لقياس الذهب بالقرب من المكان بينما اقترب اليكسي منها وهى تهتف ولا تكاد تلتقط أنفاسها..

- اليكسي هناك خبران أحدهما جيد والآخر سيء.

- أخبرينى سريعًا بالله عليكِ يا إلينا.

- لقد نجح جاسر فى العثور على المكان المطلوب وقد أوضح البحث أننا نقف على بعد مترين فأسفل منك يوجد سرداب يسير جنوبا ليقطع هذا السور.

- عظيم وهل هذا السيء أم السار فى الأمر..؟

- هذا الجانب السار في الأمر..فالسرداب يهبط بشكل حاد بزاوية أربعين درجة بطول عشرين مترًا تقريبًا مؤديًا إلى غرفة مجوفة بارتفاع متر ونصف وعرض ثلاثة أمتار..

- وهل السرداب مجوف.؟

- نعم ..

- وما أدراكِ أن تلك هى المقبرة المقصودة، فالجهاز لدى لا يشير إلى وجود أى ذهب على غير عادة ملوك الفراعنة..

- لا أدرى ما السبب في ذلك ولكنى متأكدة أن تلك هى المقبرة فلقد بحثنا كثيرًا ولا يوجد غيرها في الجوار.. والآن كيف سنتصرف..؟

قفز اليكسي سريعًا على السور.. ليجد من خلفه أراضى زراعية ولا يوجد أى مبانى فى الجوار.. وأسفل منه كانت تلك الترعة بعرض حوالى



سبعة أمتار، وبها الكثير من الماء العطن والرائحة القاتلة رغم مرور المياه..
قطع تفكيره وصول يوري سريعًا وهو يهتف قائلًا :

- اليكسي اقفز سريعًا فالرجل فى طريقه إلينا..

اضطرب الجميع ولكن جاسر ابتعد عنهم مُستقبلاً الرجل المندهش من وجودهم فى تلك المنطقة المهجورة خلف دورات المياه، وقبل أن يبدأ حديثه بادره جاسر قائلًا بعفوية:

- أخبرنى يا سيد بديع.. هل تعتمدون فى الصرف الصحي هنا على مواسير أم تعتمدون على تجميع فضلاتكم فى حجرة صرف صحي أسفل المدرسة..

وبالطبع لم تفهم إلينا ماذا يقصد جاسر ولكن الإجابة كانت قاتلة لأنه كان يعلم عادة بعض قري الريف فى الصرف الصحى:

- فى القريب العاجل بأمر الله يا سيد أدهم، فقد قدمنا طلب للمجلس المحلى بضرورة توصيل مواسير الصرف الصحي للمدرسة منذ عدة سنوات، وأفادت المديرية التعليمية أن هناك عجزًا ما فى الأموال لذلك لازلنا نعتمد على الطريقة القديمة فى التخلص منها عن طريق تجميعها فى غرفة أسفل الأرض ويتم تنظيفها عن طريق ......

قاطعه جاسر فى اشمئزاز قائلًا:

- لا تكمل بالله عليك، فأنا أعلم ماذا ستقول ولكن أخبرنى أين تلك المصيبة المسماة بغرفة الصرف التى يتم التجميع فيها..؟

- الغرفة توجد بالقرب من هنا خلف هذا السور بالقرب من الترعة..

اتسعت عينا جاسر بشدة عندما أخبره ناظر المدرسة بذلك، ترى هل تكون تلك الغرفة ما هى إلا المقبرة المنشودة..؟، وخاصة أنه لا يوجد أى أثر للذهب.. مما جعله يهتف قائلًا:



- ربما اختلط عليك الأمر يا سيد بديع، ربما يكون الصرف فى الترعة عن طريق مواسير تمر أسفل تلك المراحيض..

- كيف ذلك يا سيد أدهم..؟ لا بالطبع فهناك غرفة تجميع وأستطيع أن آخذك إليها الآن..؟

تمتم جاسر فى حنق :

- ولماذا تأخذنى..؟، هل سأقوم بالتصوير هناك..؟

أشار جاسر إلى إلينا أنه سيسحب المدير إلى خارج المكان ليستطيعوا إنهاء عملهم، وبالفعل سار معه حتى الفناء ليحدثه فى أى شىء بعيدًا عن تلك المعلومات الصادمة التى أخبره بها للتو..

أما إلينا فما هى إلا دقائق حتى أتت من خلفه مشيرة بعلامة النصر إلى جاسر الذى لم يفهم شيئًا ولكنه أدرك أن الأمر ربما قد نجح وتم اكتشاف مدخل آخر للمقبرة فى المكان ذاته، فقاموا بإغلاق الأجهزة واستأذن الجميع فى الانصراف، لكن كعادة أهل القرية رفض المدير انصرافهم إلا بعد تقديم واجب الضيافة، لكن جاسر ورفاقه أصروا على الانصراف واعدًا إياه بالحضور مرة أخرى لتناول الغذاء بعد الغد، وطلب منه عدم اقتراب أحد من المدرسة من تلك المنطقة خلال اليومين التاليين، حيث تم زراعة أجهزة حساسة فى تلك المنطقة لقياس نسبة التلوث، وسوف يتم قراءة قياس تلك الأجهزه ربما ليلاً أو صباحًا، لذلك عليه إصدار أوامره للحارس بدخولهم فى أى وقت... وقد كان ذلك..

****

وفى الطريق علم جاسر من إلينا أن هناك فعلاً إشارات تدل على وجود القليل جدًّا من الذهب بالقرب من المكان المتوقع فعلًا، وأن هناك مقبرة بالفعل توجد فى نفس المكان الموجود أسفل الترعة ولكن تبقي كيفية



الدخـول والخـروج عـن طريـق الـسرداب.. فقـد كان يعلـم أنـه هـو الوحيـد المـصرح لـه بالدخـول.

فقد أخبره بدزميران بذلك وساعده حتى فى الوصول إلى المقبرة.. ولكن هل يدخل هو ..؟ أخبر إلينا بكل ذلك عندما سألته كيف عرف مكان المقبرة، وذكرها عندما سخرت منه عندما أخبرها بذلك..

كان عليهم الرجوع مرة أخرى إلى مقر إقامتهم للتخطيط لكيفية الدخول والخروج بالمومياء..

❊❊❊❊



(11)

ربما يكون الوطن قاسيًا علينا في بعض الأحيان ولكننا لا نملك معه إلا أن نعشقه، ونبكى كالأطفال عند مغادرته، ونظل بعيدًا عنه كالطفل الذى يشتاق دومًا إلى حضن أمه مهما زادت الأيام والسنوات من عمره، فالقلب قد نبت هنا وهو ينبض أولى نبضاته، والعمر قد مر هنا بين أحزان وأفراح، وأحباء عاشوا هنا تظل أرواحنا تحلق حولهم، إنه الوطن ذلك اللغز الذى لن نعرفه أبدًا..



- لِمَ الإصرار على تلك المومياء يا إلينا هذا ما لا أفهمه.. ولا أفهم ما علاقة راسبوتين بكل ذلك..؟

هذا ما أخبر به جاسر إلينا أثناء جلوسهم فى مساء تلك الليلة للتخطيط لطريقة دخول المقبرة..كان يجلس وسط اجتماعهم الذى لم يفقه فيه حرف مما تفوهوا به لإصرارهم على الخصوصية، فقد تعهد اليكسي بإحضار رجلين للحفر والحصول على المومياء وتجهيزها للسفر عن طريق طائره خاصة كما أخبرهم.. أما يورى فكان دوره هو إحضار السيارة اللازمة للخروج بالمومياء ..

أخبرهم جاسر بضرورة عدم الخروج بأية أشياء من المقبرة إلا المومياء فقط، وقد أخبرهم على استحياء أنه لن يتمكن أحد غيره من الحصول على المومياء ومصاحبتها حتى الانتهاء من المهمة المفروضة عليه.. وأيدته إلينا فى ذلك، فقد تأكدت بعد ما فعله اليوم واكتشافه لمكان المقبرة بالرغم من عجزهم عن ذلك، فربما يكون صادقًا في قوله، مما جعل الجميع يميلون لتصديق قوله والوثوق به،

نظرت إلينا اليه قائلة:

- سأخبرك الآن بالحقيقه كلها يا جاسر.. إن راسبوتين بعد أن استقر مقامه فى الإمبراطورية الروسية عمد إلى إحياء جماعة خاليستى كما أخبرتك، والتى كانت تمارس تلك الطقوس فى السر وإن كان العديد منهم لا يؤمنون بتلك الطقوس، لكن كان عليهم إطاعته طاعة عمياء تقربًا للرب، وإلى الآن الكثير منا لا يعتقد بتلك الطقوس، ولكن لإحياء مجد الإمبراوطورية الروسية كان علينا أن نخطو هذه الخطوة.. إحياء روح راسبوتين.. نبي الشيطان كما كان يطلقون عليه داخل تلك الجماعة.. وقد كانت تلك الطقوس سببًا لقيام الشرطة الروسية بقتل كل من يمارسها حتى دون إخضاعه إلى تحقيق، فالأوامر



كانت صارمة من الكى جى بي الروسي، وهى مطاردة أعضاء الجماعة التى يرون أنها أخطر عليهم من المافيا الروسية.. والدليل على ذلك ما حدث فى بداية التسعينات في ما يُطلق عليه اليوم الأسود، على الرغم من أنه كان اليوم الذى ستحل فيه روح المعظم راسبوتين.

- و ما اليوم الأسود..؟، وما الذى حدث فيه ..؟ وكيف كانت ستحل الروح فيه..؟

أشار إليه يورى قائلًا:

- انتظر وستعلم كل شىء الآن..

أكملت إلينا قائلة :

- كان هذا هو اليوم المقدس الثالث عشر من أكتوبر عام 1992م، وتحديدًافى الاجتماع السري لقيادات الجماعة بمدينة أرداتوف فى مقاطعة موردوفيا بروسيا.. فقد حصلنا على مومياء فرعونية بالمواصفات المطلوبةبعد بحث ودراسة استمرت عدة سنوات، فقد كانت تتبع الشيطان أيضًا، ووفقًا لتعاليم الجماعة وموروثاتها فإنه بعد انتصاف الليل فى اليوم الموعود، وبوجود تلك الجثة أو المومياء الشيطانية يأتى مولود بعد إتمام جميع الطقوس من رحم أمه العذراء، والتى لم يمسسها سوى الشيطان وبعد تلاوة صلوات راسبوتين الشيطانية فإن الجنين يولد وبداخله روح راسبوتين بعد التضحية بدماء أمه قربانًا للشيطان .

- أقسم بالله إننى لا أعى حرفًا مما تتفوهين به، دعكِ من تلك المومياء، ودعكِ من أنها تتبع الشيطان، ولا أعلم كيف عرفتم ذلك..؟، ولكن كيف سيأتى هذا المولود من رحم أم عذراء..؟، ولِمَ لا يجب أن تحمل إلا من الشيطان يا إلينا..؟

- لا داعى للحديث فى تلك النقطة، ولكننا حصلنا بالفعل على تلك الأم،



وجرت المراسم يومها، وبدأنا فى الطقوس ولكن اقتحمت قوات الكي جي بي المكان وقتلت على الفور كل من كان موجودًا به حتى الأم لم تسلم من القتل وكذلك قيادات الجماعة، ولم يتبقَ إلا عدد قليل جدًّا ومنهم زعيم الجماعة الحالى إيفان كونيف والذى كان عليه الحصول على المولود وقت الاقتحام بأى صورة، لذلك لم يكن لديه خيار سوى أن يقوم بشق بطن الأم العذراء والحصول على الجنين والهروب به تمهيدًا لإعادة الطقوس مرة أخرى.

هز جاسر رأسه وهو يهتف باستنكار :

- أم وعذراء وتحَمَل ويحصل على ابنها من بطنها بشق بطنها بعد موتها..؟، إنكِ تهذين يا إلينا..

- قلت لك دعك من تلك النقطة فأنا أعلم أنكم معشر الشرقيين لا تؤمنون بكل ذلك، لذلك لن تستوعب تلك الطقوس.. المهم أنه كان عليه إكمال الطقوس، ولكن قبل ذلك كان عليه إعادة بناء الجماعة من جديد مرة أخرى بعد أن يختفي المتبقين منها لفترة من الوقت، لأنه بعد ذلك الاقتحام قامت الشرطة بحملة اعتقالات لكل من يشتبه فقط فى انتمائه للجماعة، حتى لا تقوم خاليستى مرة أخرى.. سنوات وسنوات وهو يؤسس للجماعة ويقويها ويجذب إليها كل من كان لديه ماض معها..

تمتم جاسر ساخرًا:

- والطفل..؟ هل حلت به روح راسبوتين..؟

تجاهلت إلينا نبرة السخرية وهى تجيبه قائلة:

- بالطبع لا.. فلكى تحل به لابد من وجود مومياء شيطانية أخرى بدلًا من تلك التى فقدت فى تلك الليلة، ثم ممارسة تراتيل وصلوات راسبوتين السرية فى ليلة الثالث عشر من أكتوبر، لتحل رو...



قاطعها جاسر الذى لا يكاد يصدق أنهم يؤمنون بتلك الخرافات، مما جعله يحمد الله على نعمة العقل والإيمان :

- لتحل روحه فى جسد الجنين القادم..أقصد ذلك الذى أصبح شابًا يافعاً الآن بالطبع.

- نعم يا جاسر.. هو شاب يافع الآن، ولابد من استكمال الطقوس التى بدأت من سنوات طويلة

- وهل ستفلح تلك الطقوس..؟، المفترض أنها تكتمل عند ميلاد طفل جديد من رحم أم عذراء كما تقول طقوسكم، وهذا ما لم يحدث بالطبع.. فعوضًا عن الجنين سيقوم هذا الشاب بالمراسم.

- نعم.. ولكن للأسف فذلك الشاب أصبح ممسوسًا من الشيطان بصورة مخيفة، لذلك أصبح معزولاً فى قصر زعيم الجماعة، تمهيدًا لتنصيبه زعيمًا دينيًا، ولكن كان ينقصنا تلك ال........

قاطعها جاسر وهو يهتف :

- نعم.. نعم.. لقد فهمت كل شىء الآن.. فما كان ينقصكم هى تلك المومياء الملعونة.. فقد بحثتم فى التاريخ حتى علمتم بشكل ما بموضوع البردية، وبالتالى بقصة تلك المومياء.

- لقد علمنا ذلك عن طريق أحد تجار الآثار البريطانيين والذى يدعى انتونى شافال، فقد كان ذلك التاجر يهوديًا أيضًا، وكان يعلم بقصة تلك المومياء لأن بنى قومه كانوا يبحثون عنها أيضًا بعد أن وقعت بأيديهم تلك البرديات التى تروى قصة ذلك الأمير الصغير، وأنت تعرف اليهود، إن سيدهم وإلههم هو المال، والمال فقط، لذلك كان من السهل أن يبيع ذلك السر لنا ويدلنا أيضًا عليك بعد أن توصل اليهود إليك، فتلك المومياء هى لولى ولى عهد « رمسيس الثانى»، الأمير الصغير «سى أوزير»، حيث جاء



بالبرديات أن الكهنة وقتها قاموا ب.........

قاطعها جاسر فى نفاذ صبر:

– قاموا بقتل الأمير الصغير ولى العهد لخوفهم من توليه العرش، لذلك كان من مصلحة البلاد التخلص منه، وذلك لتلبسه روحًا شيطانيًا .

تطلع إليه الجميع فى دهشة، وإلينا تهتف :

– ولكن كيف علمت تلك المعلومات يا جاسر...؟ يبدو أنك تعلم الكثير مما ترفض البوح به لنا.

كاد جاسر أن يخبرها أنه قد رأى كل تلك الأحداث فى مقبرة الكاهن «تب رع» ولكنه عدل عن ذلك، لأن ذلك كان ضربًا من الجنون، فلن يصدقه أحد أبدًا مما جعله يستطرد قائلًا:

– من ترتيب الأحداث يا إلينا.. ولكن يظل سبب إصرار اليهود على الحصول على تلك المومياء هو سر لن نعلمه أبدًا..؟

– نحن لا يعنينا سوى الحصول على تلك المومياء والسفر بها فى أسرع وقت.. بالمناسبة يا جاسر.. لقد نسيت أنه لديك الآن جواز سفر جديد باسم تركى للخروج من مصر، فلا نريد أن يتتبعنا أحد.

تطلع إليها جاسر فى استنكار:

– ولماذا سأظل معكم..؟!!

– وما الذى لديك هنا..؟، لماذا تصر على البقاء فى تلك البلاد..؟، لا زوجة ولا حبيبة ولا أصدقاء ولا حتى عمل مريح ..؟، لم لا تجرب حظك فى بلادنا..؟، أعتقد أن شخصًا بمؤهلاتك لن يكون صعبًا عليه الحصول على عمل مهم، دعنا نرتب لك كل ذلك فقد قدمت لنا الكثير من الخدمات التى نرى أنها لا تقدر بثمن.. دعك من هذا الحديث الآن وقم لتنال قسطًا



من الراحة، فما زال لدينا الكثير لنفعله.

تركها جاسر وذهب إلى غرفته وحاول أن ينال قسطًا من الراحة.. ولكن عقله لم يتوقف لحظة عن التفكير، قبل أن يذهب فى سبات عميق.

****

شعر جاسر بعد عدة ساعات بيد إلينا ترجه فى شدة لإيقاظه.. ففتح عينيه وهو يتطلع إليها وقد هاله ما رآه، فقد كان وجهها مكفهرًا وبجوارها يورى الذى كان وجهه هو الآخر يحاكى شحوب الموتى.. فقفز من سريره مذعورًا وهو ينظر إلى ساعته التى كانت تشير إلى الواحدة وعشرين دقيقة، أى أنه لم ينم سوى ساعتين فقط فسألها فى توتر:

- ماذا حدث..؟ هل هجمت الشرطة علينا..؟، هل وشي بنا مدير المدرسة..؟

- لا..الأمر ليس كذلك، وإن كان يبدو ذلك وشيكًا.. هيا ارتدى ملابسك وسوف أخبرك فى الطريق بكل شىء.

- إلى أين سنذهب..؟ وأين أليكسي..؟

أجابه يورى فى توتر قائلًا:

- فى الطريق يا جاسر، هيا الآن فلم يعد لدينا وقت..

وما هى إلا دقائق حتى كان جاسر وإلينا يجلسون فى السيارة التى يقودها يورى بسرعة كبيرة فى طريقهم إلى تلك المدرسة... وجاسر يتطلع إلى إلينا متسائلاً:

- ماذا حدث يا إلينا..؟

- إنه اليكسي الغبي الذى لابد أن يفسد كل شىء بتفكيره الساذج.

- وماذا فعل اليكسى..؟



- بعد أن استغرقنا فى النوم كان على موعد مع اثنين من المعاونين لنا، الذين توجهوا معه إلى تلك المدرسة كما أخبرنى.. ليتسللوا إليها وقد قفزوا من عند السور فى نفس المنطقة التى كان عليهم الحفر فيها، وقاموا بالحفر بالفعل حتى ظهرت درجات تهبط إلى أسفل من خلال فتحة صغيرة، فهبط اليكسي ليجد أمامه بوابة حديدية صغيرة، يبدو أنها لم تُفتح أبدًا من قبل، فكسر المزلاج الحديدى الموجود بها، ليجد أمامه سرداب يهبط لأسفل ولا يكفي إلا لمرور شخص واحد فقط وهو يزحف بحذر لأن السرداب كان مائل تمامًا كما أظهرته الأجهزة..

قاطعها جاسر متسائلًا فى فضول وإن كان متوقعًا ما حدث:

- وما الذى حدث بعد ذلك..؟

- لقد دخل أحد الرجلين الذين اصطحبهما إلى السرداب ولكنه بمجرد هبوطه عدة أمتار أصابته نوبة صرع واختناق مفاجئ، فاضطر إلى سحبه، ليفسر ما حدث له بأنه قد فوجئ بظلام يهاجمه ويكاد يبتلعه، ويقسم أنه لن يدخل إلى هناك مرة أخرى ..

- وكيف علمتم بالأمر..؟

- اتصل بي اليكسي صارخًا وروي لى ما حدث، مبررًا ما فعله بأنه كان عليه أن يتحرك سريعًا، لذلك رأى أنه قد لا يحتاج إلينا حتى لا نلفت أنظار حارس المدرسة فذهب وحده إلى تلك المهمة ..

- و الرجل الآخر..؟

- لا أعلم بمجرد أن اخبرنى قلت له ألا يتصرف بأى شكل من الأشكال وينتظرنا فقط..إن الغبي جعلنا عرضة لكشف أمرنا جميعًا فإذا لم تكمل مهمتنا للصباح قضي الأمر وانكشف أمرنا ..

- بالطبع..



صمت الجميع ولم يمض وقت كبير حتى كانت السيارة تسير بهدوء داخل تلك القرية النائمة، وعندما اقتربت من المدرسة قامت إلينا بالاتصال باليكسي والذى طلب منها أن تلقاه عند بوابة المدرسة، فهبطوا من السيارة مترجلين بعد أن قام يورى بركنها فى مكان قريب، وقد فوجئوا باليكسي ينتظرهم عند البوابة الحديدية.. فاقتربوا منه، ويورى يهتف قائلًا بالروسية :

- أين ا لحارس يا اليكسي..؟

- لقد كشف أمرنا يا إلينا.. فقد كنا نحفر وفوجئنا به يقف وراءنا.. فكان عليّ التصرف سريعًا..

- قتلته بالطبع..

- لو كنت مكانى ماذا ستفعل ..؟

هتفت به إلينا فى غضب :

- أُفٍ لك أيها الغبي..؟، كل تصرفاتك لا تدل إلا على غباء مطلق، لقد أخبرتك ألا تدخل هذا المكان بمفردك،وأخبرتك أن هناك سرًا ما بداخل تلك المقابر الملعونة، ومع ذلك فقد تصرفت من رأسك الغبي، وانظر إلى نتيجة أفعالك.. قتيل.. وفى قريته.. وأمامنا أقل من خمس ساعات لاكتشاف جريمتنا و.....

قاطعها اليكسى فى توتر:

- هناك أمرآخر..

هتفت به إلينا فى نفاذ صبر:

- هيا أخبرنا. فيبدو أنك ستكون السبب فى عودتنا إلى روسيا خاويين الوفاض.

- إن لدينا قتيل آخر..



تراجعت إلينا وهى لا تصدق ما فعله اليكسى، فى حين هتف يورى:

- ما الذى فعلته أيها التعس..؟، ومن هو القتيل هذه المرة..؟

- لقد أجبرت سيرجى الذى جاء معنا على الدخول إلى داخل السرداب.. فهبط إلى أسفل وقطع المسافة كلها إلى داخل المقبرة، وأخبرنا عبر جهاز الاتصال أنه بالفعل داخل مقبرة فرعونية، ولكن ذا سقف منخفض جداً، إلا أنه بعد دقيقة من حديثه سمعنا صرخة تصدر منه ليصمت بعدها تمامًا..

هتفت به إلينا فى غضب:

- عظيم جدًا.. أتعرف يا اليكسي، أنك أنت وحدك من يجب عليه الهبوط والدخول إلى تلك المقبرة، والآن أخبرنى كيف ستتصرف بعد كلما فعلته، خاصة أنه لم يعد أمامنا الكثير من الوقت..؟

أشار اليكسى إلى جاسر وهو يقول فى برود:

- سيهبط ذلك المصري إلى داخل المقبرة، بعد أن نربطه بحبل ليربط به المومياء بعد وضعها فى الحافظة الجلدية المخصصة لذلك، ونسحب المومياء بحذر، ثم نخرج سريعاً من هذه القرية الملعونة وستتحاسب فى وقت آخر.. فأنا أعتذر لأنى قد تصرفت بعناد،فقد كنت أعتقد أن الأمر يسير، وأننا بمجرد فتحنا للمقبرة سنحصل على ما نريد، ونعود إلى بلادنا..

- بكل هذه السهولة..؟، وأين ذلك الحارس..؟

- فى غرفته.. لقد هويت على رأسه بآلة الحفر اليدوى، فقتل على الفور ولم يتعذب، لا تقلقى لقد مات من فوره.

نظرت إليه إلينا فى اشمئزاز.. كانت تشعر أنه بتدخله قد أفسد كل شىء، وأن عليهم عمل محاولة أخيرة، فإذا فشلت فسيضطرون للرحيل فورًا، لتنتهى أسطورة ابن الشيطان هذا، وليبدأوا من جديد بالبحث عن مومياء أخرى مما قد يستغرق منهم زمنًا لكى يفعلوا، والفضل فى ذلك يرجع لهذا



الغبي كلب مكسيم المدلل.. أما اليكسي نفسه فقد كان يفكر فى أمر آخر، فقد شعر أنه تسرع فى الكشف عن هدفه، فقد ظن أن الأمر سهلًا.. فسيفتح المقبرة ويحصل على المومياء لينقلها بعد ذلك إلى خارج القرية ليتم شحنها سرًّا عن طريق البحر إلى ميناء أزمير التركى تمهيدًا لشحنها إلى جورجيا ثم إلى موسكو فى نهاية المطاف، على الرغم من أن إلينا ويورى ومجموعتهما يظنون أنه سيتم شحنها جوًّا.. كان المهم لديه هو الحصول على المومياء والهروب بها وإرسالها إلى مكسيم بعيدًا عن بقية أفراد المجموعة التى تدين بالولاء لإيفان.. كان قد قرر أن يصل إلى المومياء حتى ولووصل به الأمر إلى قتل الجميع مقابل الحصول على تلك المومياء..

كانت إلينا فى تلك الأثناء تحاول أن تشرح لجاسر ما حدث، ولكنها لم تخبره بالطبع بقتل الحارس، ولكنها أخبرته أنه مقيد فى مكان ما حتى ينتهوا من عملهم، وما هى إلا دقائق حتى كان الجميع خلف منطقة دورات المياه، وإلينا تشرح لجاسر كيفية الوصول إلى المقبرة قبل أن يهبط إلى هناك.. فقد كانت الفتحة التى تؤدى إلى المقبرة يظهر منها درج هابط إلى أسفل عدة درجات ومن تحته كان يبدو سرداب دائري إسطوانى الشكل ضيق ويكفي لمرور شخص زاحفًا إلى أسفل..

كانت الرائحة مكتومة تكاد تقتل الأنفاس، ومن فوق الفتحة كان يورى واليكسي وإلينا وإيفانوف الذى جاء مع اليكسى يلتفون حول جاسر الذى كان قلبه مقبوضًا إلى حد ما، لكنه على الرغم من ذلك بدا متفائلًا، لأنه على أعتاب تنفيذ ما طلبه منه بدزميران والشيخ إلهامى والتخلص من تلك المومياء الملعونة..

كان خائفًا فقط من ذلك السرداب فهو يختنق من الأماكن الضيقة، لكن عليه أن يُكمل مهمته حتى آخرها..كان يحمل على كتفه حقيبة بسيطة



بها مصباحين كهربائين وكيس جلدى ليضع به المومياء وعتلة حديدية لرفع غطاء التابوت وحبل غليظ وسماعة هاتف للتحدث مع المجموعة فى الخارج..

تأكد من أن الهاتف الذى أعطته إياه إلينا يعمل وقام بتجربة الصوت قبل أن يبدأ فى الهبوط تدريجيًا إلى السرداب بعد أن قاموا بربطه من وسطه بحبل متين من تلك الحبال التى تستخدم فى تلك المهام تجنبًا لحدوث أى طارئ.

كانت الرائحة الخانقة تحيط به من كل جانب، وخاصة عندما وجد أن السرداب يهبط به فى زاوية حادة، ولذلك كان عليه أن يزحف على يديه وقدميه حتى يصل إلى نهاية السرداب كما أخبره اليكسي.. ولكنه تعجب من ذلك السرداب الصخرى الذى تم شقه منذ آلاف السنوات ولازال كما هو لم يطرأ عليه أى تغيير.. كان يشعر بالاختناق أكثر كلما توغل فى ذلك السرداب، كان يزحف ويزحف وكأن السرداب لا نهاية له، ومن خلفه لا يزال ضوء مصابيحهم تنير له الطريق..

توقع أن يرى بدزميران أوحتى أى إشارة تدل على وجوده ولكن ذلك لم يحدث.. أغلق عينيه أكثر فقد كان يشعر باختناق شديد فى صدره لخوفه من الأماكن الضيقة.. حاول التخلص من ذلك الشعور فشغل نفسه فى مخاطبة إلينا عبر الهاتف:

- إلينا.. أكاد أختنق من الجو هنا، الأمر هنا أسوأ مما تتصورون، فالسرداب ذاته يضيق من حولى ولم أصل إلى نصفه بعد.

حاولت إلينا طمأنته قائلة:

- أنت الآن بعيد عن مجال رؤيتنا، ويبدو أنك على أعتاب المقبرة.. لاتجذع يا صديقي، فقط تنفس ببطء، وإذا شعرت باختناق فى أى وقت



فتوقف وأخبرني لنجذبك على الفور.

أغلق الهاتف واستمر فى الزحف، لم يدرِ لِمَ يرى الطريق إلى المقبرة وكأنه لا نهاية له، وفى الوقت الذى كان يشعر به بذلك سمع وكأن هناك من ينادي باسمه، فتوقف قليلًا ليتبين ذلك الصوت، إلا أنه حدّث نفسه بأنها قد تكون مجرد أوهام، فعاد للزحف مرة أخرى.. وعلى ضوء المصباح رأى أخيرًا تلك الفتحة الواسعة التى ينتهى بها السرداب..

ظن أنه سيجد ذلك الرجل الذى فقده الروس بالداخل، ولكنه شعر بقشعريرة تسرى فى جسده فجأة، فأخرج العتلة الحديدية قبل أن يُلقي بحقيبته إلى داخل الهوة أو المقبرة، ثم تبعها بقفزة إلى المقبرة التى ينتهى فيها السرداب..

هبط إلى أرضية المقبرة وحاول أن يقف ليجد أن جدار المقبرة يرتفع عن الأرض بحوالى مترونصف فقط.. مما أصابه باختناق أشد.. فأدار مصباحه فى أرجاء المقبرة.. كان هناك رجل ملقى بالقرب من التابوت والذى يبدو أنه قد حاول رفع الغطاء الحجرى المغطى به التابوت، فاقترب منه جاسر محاولًا إنقاذه إن كان به أى أثر للحياة.. ولكن لذعر جاسر كان الجسد صورة طبق الأصل من الجثث التى حلت عليها لعنة البرديات من قبل فى ميدوم، فقط كان عبارة عن هيكل عظمى يشبه مومياوات الفراعنة.. فقد التصق الجلد بالعظام تمامًا وكأن هناك من شفط أعضاءه الداخلية، وملامح وجهه تنبئ عن ذعر هائل..

أخبر إلينا بما رآه عبر الهاتف وحاول أن يرفع جثته إليهم، ولكنهم رفضوا لصعوبة نقل جثته، وطلبوا منه إكمال مهمته فقط.. اقشعر جسده من منظر الجثة إذ ذكرته بمجدى ذلك الشخص الذى كان السبب فى تعذيبه وبتر إصبعه فأدار نظره بعيدًا عنها..



كانت المقبرة بعرض ثلاثة أمتار تقريبًا وارتفاع متر ونصف، وكانت الجدران مليئة بالكتابات الفرعونية والتى لم يستطع فك رموزها بعكس السابق.. وبالرغم من أنه لم يشعر بقدوم بدزميران إلا أن قلبه كان يدق سريعًا دون سبب..كان هناك بعض الصناديق الخشبية والتى يبدو أن الرجل الميت قد فتحها فنظر فيها جاسر ليجد عدة مشغولات ذهبية وأوانى فخارية رصت بعناية على جانبي الجدار.. كان جاسر يقف منحنيًا بسبب ارتفاع المقبرة الذى لم يتجاوز المتر ونصف، مما جعله يشعر بظهره يكاد يقصم من هذا الوضع، ولكنه اقترب من التابوت وحاول أن يزيح ذلك الغطاء الحجرى الذى كان ثقيل جدًّا، وقد كان الرجل الميت إلى جواره قد أزاحه حتى منتصفه مما سهل المهمة قليلًا على جاسر، والذى نجح أخيرًافى إزالته بالكامل فوقع على أرضية المقبرة مثيرًا صوتًا هائلًا وخاصة مع ضيق المكان وقد آثار كمية كبيرة من التراب التى كادت تخنقه..

تريث حتى هدأت ذرات الغبار المتطايرة بعد أن وضع منديلاً على أنفه حتى لا يستنشق ذلك الغبار الخانق وهو يسعل بشدة، ثم نظر إلى داخل التابوت لتظهر أخيرًا مومياء الأمير «سي أوزير» ولى العهد.. كانت المومياء متوسطة الطول يبدو على ملامحه الذعر هو الآخر، مما جعله يشعر بالدهشة، وقد وضعت يداه على صدره كتقليد عند الفراعنة.. أخرج جاسر من حقيبته ذلك الكيس الجلدى والمفترض أن يضع المومياء بداخله وقام بفرده على الأرض تمهيدًا لنقل المومياء إليه..

نظر جاسر مرة أخرى للمومياء وهو يفكر كيف سيرفعها، فقد خشي عند رفعها أن ينكسر أو ينخلع جزء من منها، فوضع يديه أسفل مومياء الأمير وقلبه يكاد يتوقف، ولكنه وجد أن المومياء كقطعة من الخشب لا يزيد وزنها عن عشرين كيلو جرام تقريبًا، ولكنه عندما قامبرفعها لمح شيئًا ما أزرق اللون فى إصبع يد الامير، فأدار المصباح ناحيته ليجد خاتم صغير أزرق اللون.



مـد يـده إليـه وكأن هنـاك مـن يهمـس إليـه ليأخـذ ذلـك الخاتـم..كان كالمسحور..على الرغم من تحذير بدزميران بعدم خروج أي شيء من المقبرة إلا أنه كان يشعر أنه قد رأى هذا الخاتم من قبل.. نعم.. لقد تذكر الآن، فقد رأى الأمير «سي أوزير» هذا الراقد بداخل التابوت يرتديه بالفعل عندما أخذه «خاى» فى تلك المغامرة.. فهو إذن لم يكن يهذى وما حدث له كان حقيقة بالفعل.. فمد يده إلى الخاتم ليخلعه من جسد المومياء ليشعر بقشعريرة غريبة تسري فى جسده الذى توهج هو الآخر لوهلة عندما وضعه بداخل إصبعه..كان بالفعل مسحورًا.. فقد شعر بصور وأحداث فرعونية وغيرها تدور بداخل رأسه .

أفاق على صوت الهاتف ليجد اتصالًا من إلينا تسأله عما يحدث عنده فى الأسفل، فأجابها أنه بحاجةلبعض الوقت لزحزحة غطاء التابوت وأغلق الهاتف وهم بإكمال مهمته، لكن ضوء المصباح وقع فجأة على الجدار المقابل له.. فشعر أن هناك شيئًا ما يتحرك.. وبرعب قاتل ودون أن يدرى السبب أغلق المصباح وكأن هناك من همس فى أذنه بذلك، ونظر مرة أخرى إلى الخاتم والذى شعر أنه يحميه، وبعد برهة بدأ يتعود على الظلام، وما إن فعل حتى ارتعد وتراجع بجسده إلى الوراء فى سكون ليشاهد فى صمت ما يحدث أمامه بوضوح وكأنه مشهد من فيلم سينمائى.

كان هناك أربعة من الفراعنة يلفون الأمير الشاب بتلك الأربطة الفرعونية، ولكن الجسد كان يتحرك من أسفل الأربطة فقد كان يسمع صوت أنين.. فكر فى أن يقترب منهم لكنه تراجع وهو ينظر إلى عملهم في صمت..كانوا أربعة قصار القامة يرتدون ملابس سوداء على غير عادة الكهنة الفراعنة، ويرتدون قناع مرعب الشكل على شكل شيطان.. على كل قناع منهم قرنين يرمزان للشيطان «ست».. كان الجسد ما زال يتحرك تحت أيديهم.. وهم يرفعونه فى هدوء وهو لا يزال يحاول المقاومة ويصرخ فلا



يخرج منه إلا صوت ذلك الأنين وهم يرفعون ذلك الغطاء الحجرى ليغلقا عليه التابوت إلى الأبد، ثم يقفون فى هدوء لتلاوة صلواتهم، ثم يبدأون فى ترتيب المشغولات الذهبية ومحتويات المقبرة..

دارت برأسه العديد من التساؤلات بعد ما رآه، هل يكون الأمير قد وصل إلى هنا وتم قتله بتلك الطريقة البشعة وتحنيطه حيًّا وإغلاق التابوت عليه إلى الأبد..؟ لكنه شعر أن أحد هؤلاء الرجال ذوى القناع الشيطانى يقترب منه، فأشعل المصباح فجأة، لكنه فوجئ أن الرجل ما زال يقترب منه، فخلع الخاتم فجأة ليختفى الرجل.. فعلم أن فى هذا الخاتم سر ما لذلك وضعه فى جيبه..

كان عليه الانتهاء من مهمته الملعونة فرفع المومياء سريعًا ووضعها بداخل الكيس الجلدى، وأغلق عليه جيدًا ثم قام بربطه بالحبل ورفعه بحرص حتى وصل إلى فتحة السرداب العلوية التى هبط منها ولكنه جفل فجأة وهو يسمع ذلك الأنين الملعون مرة أخرى فوقعت منه المومياء على الأرض من شدة رعبه.. لكنه اكتشف أن الصوت كان يأتى من خلفه وليس من تلك المومياء مما جعله يتلفت حوله لكنه لم يجد شيئًا.. فرفع المومياء مرة أخرى إلى الفتحة واتصل بإلينا لتسحب المومياء.. وما هى إلا دقيقة حتى بدأ السحب بمنتهى الحرص..

كان عليه القفز وراء المومياء لكنه تذكر أن الكهنة كانوا يأتون من باب فى الجوار.. أيكون هناك باب آخر فى المقبرة لم يكتشفه أحد.. كان قد رفع جسده إلى فتحة السرداب فى طريقه للعودة والخروج من تلك المقبرة، إلا أن فضوله قد تغلب عليه.. فعاد مرة أخرى إلى المقبرة متحسسًا الجدار وهو ينير المصباح حتى وجد هناك فتحة بسيطة فى الجدار باتساع متر مرتفعة عن الأرض.. مما يشير إلى وجود سرداب آخر..



استند على يديه وقفز إلى السرداب الآخر وهو لا يعلم إلى أين يقوده ذلك الطريق.. ظل يزحف فى السرداب حتى وصل إلى مقبرة أخرى فقفز إلى الداخل.. حيث كان هناك أربعة توابيت رصت بجوار بعضها، يبدو أنها لهؤلاء الكهنة الذين قاموا بتحنيط «سى أوزير»، ولكنه تساءل مندهشًا فإذا كان هؤلاء هم من قتلوا «سى أوزير» فما كان دوركل من الكاهن «واخموس» و»تب رع» فى مقتل ولى العهد..؟، أم تكون تلك المقبرة ليس لها علاقة بقريب أو بعيد ب «سي أوزير»..؟

كانت الفكرة قاتلة بالنسبة له، لكنه تذكر ذلك الخاتم الموجود بجيبه الداخلى فمد يده ليتحسه ويطمئن، دار على توابيت الكهنة الأربعة لعله يكتشف شيئًا ما، لكنه لمح فتحة أخرى فى الجدار المقابل تنتهى بسرداب آخر.. اقترب منه لكنه تذكر أنه سيدخل فى متاهة، وربما يضيع فى هذا التيه إلى الأبد.. فالتفت إلى فتحة السرداب الذى أتى منه ليعود إلى مقبرة «سى أوزير» ويخرج من فتحة السرداب بها إلى حيث إلينا وباقى المجموعة، لكن لرعبه لم يجد تلك الفتحة.. ألقي ضوء المصباح على الجدران الأربعة فلم يجد إلا تلك الفتحة التى يخرج منها إلى السرداب الآخر، وكأن هناك من يدفعه إلى قطع ذلك الطريق، فقفز داخلها ولكنها كانت تدور ناحية اليمين فعرف أنه سوف يضل طريقه إن استمر فيها فرجع مرة أخرى إلى المقبرة التى تحوى توابيت الكهنة الأربعة، ليبحث مرة أخرى عن تلك الفتحة التى جاء خلالها من مقبرة «سى أوزير».. ظل يبحث حتى عثر عليها أخيرًا بالرغم من ثقته أنه بحث كثيرًا عنها في هذا الجدار الملعون..

قفز إلى الفتحة وزحف فى السرداب حتى وصل مرة أخرى إلى مقبرة الأمير، ولكن لرعبه وجد أن غطاء التابوت مغلق على التابوت كما كان..



فتطلع إليه فى صمت ولولا وجود حقيبته بداخل المقبرة تلك، لظن أنه دخل متاهة لن يخرج منها أبدًا..

أخذ الحقيبة وقفز إلى فتحة السرداب ليخرج منها بعيدًا عن هذا المكان الملعون، لكنه قبل أن يبدأ فى الزحف داخل السرداب حتى سمع ذلك الأنين مرة أخرى فوجه الضوء ناحية الصوت فوجد هيكلًا عظميًا يجلس منتحبًا بجوار جثة الرجل الذى سبقه، وقد أجلسه إلى جواره وهو ينظر إليه مشيرًا بيديه لنجدته.. أغلق جاسر عينيه وفتحهما مرة أخرى ليتأكد أن ما يراه حقيقة، لكنه وجده يتحرك ناحيته زاحفًا على يديه تاركًا نصفه الأسفل فى مكانه..

اضطرب جاسر وحاول أن يزحف داخل السرداب لكن من رعبه لم يستطع أن يفعل وذلك الشىء يقترب منه فى سرعة حتى وصل إليه وجاسر ما زال يحاول أن يزحف فى طريقه للخروج إلا أنه شعر وقتها أن الهيكل يمسك بقدمه، فما كان منه إلا أن التفت وألقي عليه الحقيبة فاضطرب الهيكل وترك قدمه، فزحف جاسر بسرعة وهو يشعر وكأن شياطين الجحيم والكهنة والهيكل وجثة الرجل فى أعقابه.. وما هى إلا لحظات خُيل له أنها مرت عليه كالسنين حتى خرج إلى الغرفة التى يبدأ منها السرداب..

كان ضوء الفجر قد بدأ فى الظهور مع انقشاع ظلمة الليل.. لكنه لم يجد عند خروجه سوى إلينا التى نظرت إليه فى ذعر، ويورى الذى بدأ الردم سريعًا لتغطية الفتحة بينما اختفى اليكسي وإيفانوف، فاقتربت منه إلينا صائحة فى غضب:

- أين كنت أنت الآخر؟ لماذا أخذت كل هذا الوقت بالداخل..؟، ولما لم تجب على الهاتف..؟



- بـالله عليـك لا تسـألينى يـا إلينـا.. فلـو أخبرتـك عـما واجهتـه فى الأسـفل فلـن تصدقينـى.

التفتـت إلينـا لمسـاعدة يـورى للانتهـاء سريعًـا مـن تغطيـة المكان المفتـوح، بينما جلـس جـاسر عـلى صخـرة بالقـرب منهـم ليلتقـط أنفاسـه غـير مصـدق لمـا رآه فى الأسـفل.. كانـت تباشـير الصبـاح قـد بـدأت فى الظهـور لذلـك كان عليهـم التحـرك سريعًـا.. فقـام بمسـاعدتهم ومـا هـى إلا دقائـق حتـى كانـوا يسـتقلون تلـك السـيارة التي خرجـت عائـدة وسـط دهشـة بعـض القرويـين المتوجهـين إلى أراضيهـم الزراعيـة في هـذا الصبـاح..

- أين المومياء يا إلينا.

هتف جاسر في توتر، فأجابته إلينا:

- كان عـلى اليكـسي التحـرك بهـا فـورًا لأن الطائـرة التـي سـتنقلها سـوف تتحـرك إلى تركيـا في تمـام الثامنـة صباحًـا مـن مطـار بـرج العـرب بالإسـكندرية.

- والآن ما هي الخطوة القادمة ..؟

-نحـن فى انتظـار وصولهـا إلى إسـطنبول ثـم سـنتحرك فى التاسـعة مسـاء اليـوم إلى تركيـا لمرافقتهـا إلى أوزباكسـتان ومنهـا إلى موسـكو ثـم سـان بطرسـبرج.

تنهد يورى وهو يهتف في سعادة:

- لقـد نجحنـا أخـيرًا، ومـا علينـا إلا أن ننتهـى مـن تلـك الطقـوس لتبـدأ الجماعـة مـن جديـد.. سـوف نسـتعيد المـاضي يـا إلينـا بـكل فخـر.. عليـكِ إخبـار الزعيـم فـورًا..

- لقـد أخبرتـه يـا يـورى بمجـرد تحـرك اليكـسي، وطلبـت منـه إرسـال رجالـه إلى مطـار إسـطنبول لاسـتقبال اليكـسي عنـد وصولـه ومعـه المومـيـاء..لا تقلـق فـكل الأمـور عـلى مـا يـرام..



قالتها وهى تلتفت إلى جاسر الذى ظل واجمًا لتستدرك قائلة:

- وأنت يا جاسر لماذا أنت صامت هكذا منذ تحركنا من تلك القرية..؟

تمتم جاسر في هدوء وهو يسترجع ما واجهه في الساعات الماضية:

- لا شيء يا إلينا.. نحمد الله أن المهمة قد انتهت على خير بدون أن نترك أى أثر خلفنا..

انتفضت إلينا وهى تهتف في ذعر:

- جاسر.. أين حقيبتك..؟

ذهل جاسر من سؤالها..فقد تذكر أنه قد ألقي بها فى وجه ذلك الهيكل، فهمس إليها فى رعب:

- لقد نسيتها بجوار التابوت .

- ماذا ..؟ اللعنة عليك يا جاسر..؟ وما الذى يوجد بها..؟

- المصباح الكهربي والآخر الاحتياطى والعتلة الحديديه وماسك للأتربة و...و....

لم يُكمل كلامه وهو يضع يديه على جيوبه باحثاً عن شىء ما، وقد شحب وجهه فجأة قائلاً في سخط:

- اللعنة.. لقد نسيت الهاتف الخاص الذى أعطيتيه لى ...

- تبًا لك ولغبائك يا جاسر.. فأنت بذلك عرضت نفسك للكشف فى أى وقت سيتم اكتشاف المقبرة فيه وسيربطون بينك وبين تلك الجريمة.

- أية جريمة..؟

لم تخبره بالطبع بجريمة قتل اليكسي لحارس المدرسة، ولم تدرِ ما الذى تخبره به، فأخبرته أن اليكسى قد قيد الحارس ومن المؤكد أنه عند إفاقته



سيخبر الكل عن تلك البعثة التى عبثت فى المدرسة.. ثم استدركت فى غضب:

- أخبرنى هل قمت بالاتصال بأحد ما غيرى..؟

- لا.. لا يوجد أى رقم بالهاتف سوى رقمك فقط، فكل أرقامى في هاتفى القديم..

تنفست إلينا الصعداء وهى تهتف في ارتياح:

- حسنًا إذن لا توجد خطورة .

تذكر جاسر أمر آخر، مما جعله ينتفض فجأة فجفلت إلينا بدورها، فقد تذكر الخاتم مما جعله يبحث عنه فى جيوبه كالمسعور حتى وجده فى جيبه الداخلى فتنهد بارتياح وهو يتراجع في مقعده، وقد ارتسمت على وجهه تلك الابتسامة الغامضة..

****

كانت الساعه تشير إلى السادسة مساء عندما فتحت إلينا باب غرفة جاسر بقوة وهى تهتف صارخة:

- جاسر هيا انهض فقد وقعت مصيبة ..؟

انتفض جاسر من حديثها ولكنه حاول أن يتمالك نفسه وعشرات الأفكار السوداء تقفز إلى رأسه وهو يهتف في توتر:

- ماذا حدث هل علمت الشرطة ؟

- لا.. الامر ليس كذلك أبدًا..بل الأمر أسوأ مما تتصور.

-يومًا ما ستنجحين فيما فشلت فيه أشباح الفراعنة، وستقتلينى رعبًا وفزعًا، اهدأى قليلاً وأخبرينى بما حدث..



ظلت إلينا تدور داخل الغرفة كقطة برية، وهى تهتف وكأنها تحدث نفسها بصوت مسموع:

- علينا التحرك فورًا.. ولكن ما زال أمامنا ثلاث ساعات حتى تقلع طائرتنا المتجهة إلى إسطنبول.. كم كنت غبية حينما لم أكمل مهمتى بنفسى ووثقت في اليكسى..

- إلينا ماذا حدث..؟، إن توترك هذا يصيبنى بالرعب.أهناك مصيبه ما حدثت..؟

- مصائب وليست مصيبة واحدة..فلدى خبرين كلاهما أسوأ من الاخر.

- أخبرينى إياهما بهدوء، ولكن اجلسي أولاً بدلاً من دورانك فى الحجرة هكذا.

- حسنًا.. في البداية تلقيت اتصال هاتفى من السفارة الروسية بالقاهره من أحد المعاونين لنا بداخلها منذ حوالى أربع ساعات..تخيل ما الذى حدث..؟

- تكلمى يا إلينا، ولا تثيرى أعصابى.

- لقد أخبرنا أن الشرطة المصرية قد عثرت على جثة سائح روسي فى إحدى قرى محافظة دمنهور وقد انتقل مندوب من السفارة الروسية إلى حيث توجد الجثة فى المستشفي العام، وبمراجعة أوراقه اتضح أنه إيفانوف..

هتف جاسر في ذهول:

- ماذا..؟، إيفانوف رجلكم الذى ذهب مع اليكسي..؟

- مع ذلك الوغد اليكسي.. نعم فيبدو أن إيفانوف قد اكتشف شيئًا ما لذلك تخلص منه اليكسي بعد حصوله على المومياء.. لذلك تم تسليم



الجثة للسفارة، وقام أحد أعضاء جماعتنا ممن يعملون بها بالاتصال بي لعلمه أن إيفانوف يعمل معى.. وأخبرنى أنه علينا ترك القاهره فى أقرب فرصة وسوف يتولون هم نقل الجثمان إلى روسيا.. وخاصة بعد أن بدأت التحقيقات فى المدرسة بعد عثورهم على جثة الحارس الذى قتله اليكسى أيضًا، ويبدو أن مدير المدرسة قد أخبر الشرطة بكل شىء كما أخبره بأوصافنا وخاصة أنت وهذا ما علمه من الشرطة المصرية ..

هتف جاسر في حنق :

- تبًا لذلك الغبي اليكسى، ولكن لماذا..؟، لقد حصلتم على مرادكم، هل كان إيفانوف سيسرق المومياء لحساب أحد آخر..؟

- للأسف يا جاسر ليس إيفانوف..

- لا تخبرينى أن اليكسي قد قام بخيانتكم..؟

- هذا هو الخبر الثانى يا جاسر.. فمن المفترض أن يهبط اليكسى بالطائرة التي كانت متوجهة إلى تركيا والتى أخبرنا أنه قد حجز بها فى مطار إسطنبول في تمام الحادية عشر صباحًا، ولكن عندما توجه أعضاء الجماعة لاستقباله واستلام المومياء منه فوجئوا بأن اليكسي لم يصل إلى تركيا ولا يوجد اسمه على قوائم المسافرين في تلك الرحلة، بل وبالسؤال عنه فى مطار برج العرب تبين أنه لا يوجد مسافر أو شحنة بذلك الاسم على تلك الرحلة .

- و ما معنى ذلك..؟

- معناه أن اليكسي يعمل لحساب شخص آخر بداخل الجماعة، وهذا ما كنت أشك فيه منذ جاء إلى هنا فجأة.. إن الجماعة تنقسم إلى قسمين بسبب ذلك الصراع يا جاسر، ومن يحصل على المومياء ويمارس الطقوس ويُحضر



روح المعظم راسبوتين سوف ينال زعامة الجماعة، لذلك فداخل الجماعة منقسيمن إلى فريقين، أحدهما ينتمى إلى زعيمها الحالى إيفان، والآخر يقف إلى جوار مكسيم ذراع إيفان اليمنى الذى يحلم منذ فترة بقيادة الجماعة، لذلك فهو يحرض بعض القيادات على إيفان بحجة شيخوخته، واليكسي بالطبع يعمل لحسابه ولذلك فأنا متوقعة أن تصل المومياء إلى يد مكسيم فى القريب العاجل، وبذلك نكون نحن السبب فى انتقال الزعامة إلى مكسيم، ذلك المغتر ذو الأصول الهنغارية..

هتف جاسر في سخط:

- لعنة الله على مكسيم وإيفان واليكس و»سي أوزير»وراسبوتين.. لِمَ أجد نفسى في كل مرة جزء من لعبة لا شأن لى بها ولا أستطيع حتى الفكاك منها..

- أعتذر لك يا جاسر.. فأنت ليس لديك أى شأن بصراعاتنا الداخلية.. والآن عليك أن تجهز فى أسرع وقت، ولا تترك أى أثر يدل علي أنك كنت هنا تحسبًا لأى شيء..

توقف جاسر ليتطلع إليها مندهشًا، مما جعلها تهتف به:

- جاسر.. لِمَ تقف هكذا..؟، إن كل دقيقة تمر على وجودنا هنا تعرضنا للخطر وبالأخص أنت.. هيا أسرع فعلينا الهروب فورًا.

- هل أنتِ مدركة لما تطلبينه منى..؟، أنتِ تطلبين منى أن أفر هارباً إلى مكان لم أرتاده قط لأبدأ حياتى من هناك متناسيًا كل ما لدىّ هنا من ذكريات وعمر وأصدقاء وعمل هنا، لماذا..؟، ولمن..؟، لقد دمرتم حياتى حرفيًا لسعيكم وراء تلك المومياء الملعونة، والآن علّى أن أحسم أمرى وأستعد للهروب والفرار..؟



شعرت نحوه بالأسي ولكنها أخفت ذلك وهى تخبره أن عليهم التحرك خلال عشرين دقيقة وتركته معتذرة ليحزم حقائبه.

جلس على حافة السرير واضعًا رأسه بين يديه وهو يفكر بالأمر، ربما يكون الوطن قاسيًا علينا في بعض الأحيان ولكننا لا نملك معه إلا أن نعشقه، ونبكى كالأطفال عند مغادرته، ونظل بعيدًا عنه كالطفل الذى يشتاق دومًا إلى حضن أمه مهما زادت الأيام والسنوات من عمره، فالقلب قد نبت هنا وهو ينبض أولى نبضاته، والعمر قد مر هنا بين أحزان وأفراح، وأحباء عاشوا هنا تظل أرواحنا تحلق حولهم، إنه الوطن ذلك اللغز الذى لن نعرفه أبدًا.

ترى هل يسافر إلى المجهول معها أو يبقى فى بلده ويذهب إلى الشرطة ليقص عليهم كل ما حدث منذ بداية الأمر.. لكنه حتى ولو فعل ربما لن يجد من يصدقه، ولكن راشد كان شاهدًا على الأمر من بدايته، فكر في أن الأمر لن يكون بتلك الصعوبة، ولكن كان هناك ما يدفعه ليُكمل الطريق حتى نهايته من أجل أن تنتهى تلك اللعنة ومن أجل سلامة أخيه الذى لا زال تحت أنظارهم ..

قام بهدوء ليرتدى ملابسه وهو يفكر فى الأمر مرة أخرى، ولكنه تذكر ذلك الخاتم فأخرجه من ملابسه وهو ينظر إليه مليًّا، ويقوم بتلميعه، كان فضيًا ذا حجر لا يعلم اسمه ولكنه شعر وكأنه يصدر عنه نبضات بسيطة.. أما من الداخل فقد نقشت حروف هيروغليفيه.. وضع الخاتم فى إصبعه وبدأ فى تجهيز حقيبته ليضع فيها أشياءه التي أتى بها من منزله..كم اشتاق لمنزله وغرفته ومكتبه ..

وبعد ساعة تمامًا كان الجميع فى انتظار الطائرة المتجهة إلى إسطنبول.. نظر جاسر لصورته فى جواز السفر وهو يحمد الله أن الضابط لم يكتشف تزويره،



على الرغم من أن إلينا أخبرته أن الجواز سليم وتأشيرة دخوله تركيا سليمة أيضًا وكذلك تأشيرة جورجيا، ولكنه لم يعد يثق في شيء..

كان الجميع يجلس فى الصالة الداخلية فى الانتظار، بينما كان يورى وإلينا يتناقشون بصوت أقرب إلى العراك، وبالرغم من ذلك لم يلتفت إليهم أحد فى ذلك الوقت، وحتى لو فعلوا فلن يفهموا تلك اللغة الروسية التي يتحدثون بها..

نظر جاسر إلى الخاتم مرة أخرى متخيلاً كم مر عليه من آلاف السنوات وهو مستقر فى يد ولى العهد..كان يشعر أثناء ارتدائه أن بداخله قوة ما، لا يدرى تفسيرها وخاصة عندما يلمع الحجر الموجود فى الخاتم..

فتح حقيبته مرة أخرى ليتناول منها هاتفه القديم..كان يشعر من داخله ببعض الحنين وهو يجلس وحيدًا فى انتظار المجهول..حاول فتحه لكن الشاشة لم تستجب..فاقترب من إلينا ليستعير منها هاتفها،فطلبت منه ألا يبلغ أى شخص بسفره،فأخبرها أنه لن يفعل لكنه سيودع بعض أصدقائه دون إخبارهم عن وجهته، تطلعت إليه إلينا في هدوء وهى تعطى له الهاتف.. فأخرج شريحته ووضعها داخل هاتفها وابتعد قليلاً وجلس بعيدًا عن إلينا ويورى الذين انشغلا في ذلك النقاش المحتد.. توالت التنبيهات فى الهاتف بمجرد تشغيله، كان يمنى نفسه ولو باتصال واحد منها.. تبًا لذلك القلب ما إن يقع أسيرًا للحب حتى يحول الإنسان إلى شخص آخر، قد يصمد أمام العالم ولكنه يضعف أمام من يحب.. أقسم بينه وبين نفسه إنه قد يعدل عن السفر لوأنها فقط..

وأخيرًا وقع نظره على رسالة منها.. فتحها وقلبه يكاد يتوقف عن الخفقان ليقرأها سريعًا:



(جاسر لقد اتصلت بك مرتين ولم تُجب واتصلت بك ثلاث مرات وهاتفك مغلق، لا تعاتبنى بعد ذلك لأنى لم أسال عنك وعامة فلن أسأل عنك مرة أخرى طالما تتعامل بتلك الطريقة)

اللعنة وألف لعنة على تلك المغترة بنفسها.. أبعد ما فعلته به تخبره ببعض الكلمات البسيطة أنها قد أدت ما عليها واتصلت به لتسأل عنه،وكأنه لم يعلم ما حدث.. أتلومه الآن على عدم رده وعن عدم اتصاله بها..؟

كان الصداع قد بدأ يدب فى رأسه بعد قراءة تلك الرسالة والذى تمنى لو أنه لم يقرأها أو يراها، تمنى لو أنه لم يفتح هاتفه..

حاول أن يرد عليها برسالة ما لكن الكلمات لم تسعفه.. ولكنه أمسك بالهاتف ليكتب لها :

(في كل مرة جعلتك تظنين بأنك لا تعني لي شيئًا.. كنت تعنيني وتعنى لى كل شيء، وفى المرة التي ظننتى بها أنك تعنين لى كل شيء.. لم تعودى تعنين لى أي شىء)

و قبل أن يرسلها فوجئ باتصال من طبيبته النفسية التي صرخت فيه بمجرد رده وهو يحاول تهدئتها قائلاً:

- بالله عليك اهدئي قليلاً.. أعلم أنى قد سببت لك الضيق والألم طوال الفترة الماضية، فعذرًا يا صديقتى..

- حسنًا أين أنت الآن..؟، أنت لا تعلم مدى قلقي عليك وانشغالى، لقد اتصلت بك عشرات المرات ودائمًا أجد هاتفك مغلق.. لقد أصابنى الرعب من أن تفكر بالانتحار أو ما شابه ذلك.. وفوجئت الآن برسالة



أن هاتفك قد تم تشغيله ..أين أنت أيها المجنون ..؟، أليس لديك أخت تخاف عليك..؟

- أنا بخير يا صديقتى الغالية.. أتعلمين يا مروة أنكِ من أجمل الأشياء التى حدثت بحياتى..؟ كم كنت أتمنى أن تظل صداقتنا إلى الأبد وأظل بجوارك كإخوة وأصدقاء، لكنها تلك الظروف التى تحتم علينا الفراق يا عزيزتى..

- جاسر.. أين أنت..؟، أخبرنى أنك بخير.. لا تجعلنى أموت من قلقي عليك.

- لا تقلقي فسأكون فى زيارة خاطفة فقط لخارج البلاد، ولم يسعفنى الوقت لزيارتك والاطمئنان عليك

- جاسر بالله عليك طمئنى...

- أقسم لك إننى بخير ولا يوجد أى شىء.. طمأنينى أنتِ عن أخبارك وبناتك وعملك.

- كنت أود إخبارك بشأن نسرين، لكن فى وقت آخر، فحالتك النفسية لا تسمح..

هتف جاسر في لهفة :

- لا.. لا.. أخبرينى الآن، فالأمر سيان بالنسبة لى، على الأقل لأثبت لنفسي أنها لم تعد تعنى لى أى شىء..

- لقد قابلتها الأسبوع الماضي فى النادى وكانت فى منتهى السعادة وتجاذبنا،أطراف الحديث، وأخبرتنى أن خطيبها السابق عاد إليها وأنها فى انتظار استلامه لشقته الجديدة حتى يتم الزفاف..يبدو أنه كان عندك حق



يـا صديقـي، فأنـت بالنسـبة لهـا لم تكـن أكثـر مـن مجـرد وسـيلة للضغـط عليـه للرجـوع إليهـا..

كاد قلبـه أن يعتـصر ألمًا لكنـه تمالـك نفسـه بعدمـا تأكـد أنـه لم يكـن سـوى أداة رخيصـة فى يـد أرخـص، وهـو يسـتدرك قائـلًا:

- عظيـم جدًّا يـا مـروة.. لقـد حصلـت على مـن تسـتحق، أمـا أنـا فلـم يعـد يهمنـى أمرهـا..

- شـخصية مثلهـا لـن تشـعر بالسـعادة أبـدًا يـا جـاسر، سـتظل تبحـث عنهـا دائـمًا ولكنهـا لـن تجدهـا، فهـى قـد أضاعتهـا مـن يدهـا إلى الأبـد، سـافر يـا جـاسر ورفـه عـن نفسـك وانـسي كل مـا لاقيتـه مـن ألم وعـذاب.. لا تنكـر أمـام نفسـك أنـك تتـألم.. تـألم وأصرخ وأبكـى وأخـرج تلـك الطاقـة السـلبية القاتلـة بداخلـك.. أنـا لا أعلـم إلى أيـن تذهـب، لكنـى على ثقـة إن قُـدر لنـا اللقـاء أنـى سـأرى أمامـى جـاسرًا مختلفًـا.. لقـد مـررت بنكبـات واحباطـات كثـيرة يـا جـاسر، ولكننـا كنـا سـويًّا وتذكـر أن كل مـا مـضى سـيمر يـا صديقـي العزيـز.

كانـت الدمـوع متجمـدة فى عينـى جـاسر تريـد الانفجـار لكنـه آثـر ألا يراهـا أحـد وهـى تنهمـر علي وجنتيـه فـأردف قائـلاً:

- لا توجـد كلـمات قـد توفيـك حقـك يـا مـروة، لكـن تذكرينـى دائـمًا وأعدك إن قُـدر لنـا اللقـاء مـرة أخـرى فسـأكون قـد تخلصـت مـن كل إحباطاتـى..

كانـت إلينـا تشـير إليـه مـن بعيـد، فقـد مـر الوقـت سريعًـا وكان النـداء على طائـرة إسـطنبول يـدوى فى الأرجـاء..فـأسرع قائـلاً:

- أسـتودعك الله يـا مـروة، وثقـي أننـى سـأتذكر نصائحـك دائـمًا وإذا جئـت فى مخيلتـك حدثينـى وسـوف يصـل إلّى صوتـك..



وأغلـق الهاتـف قبـل أن تـرد حتـى لا تسـمع صـوت بكائـه وهـو يفـارق كل مـن أحبهـم فى مـصر.. أغلـق الهاتـف واسـتعاد الشريحـة منـه بعـد أن ألغـى إرسـال تلـك الرسـالة السـخيفة التـى جعلـت قلبـه يـدق لمـن لا يسـتحق..

ومـن نافـذة الطائـرة ألقي نظـرة أخيرة عـلى الإسـكندرية التـى تـلألأت مـن السـماء.. داعيًـا الله ألا تكـون تلـك هـي آخـر مـرة يـري أرض بلـده فى حياتـه.

****



(12)

أصدق مشاعر تلك التى تولد فى قلب الأزمات كما أن أنقى المعادن تلك التى تُصهر فى قلب النار، فوقتها يكون القلب صادقًا عفويًا لا يكذب ولا يتجمل،وتألف الروح من يُكملها، فتتحد الأرواح التى قُدر لها اللقاء فى عالم كل شىء فيه مقدر.



بعد ذلك بيومين كان اليكسي فى مكان ما بالقرب من ميناء دمياط تمهيدًا لشحن الصندوق الخشبي الذى يحتوى على رفات المومياء إلى ميناء أزمير بتركيا على متن سفينة بضائع وسط شحنة من الموالح المصرية بعد أن قام بعمل كافة الإجراءات حتى قبل وصوله إلى القاهرة، وذلك خلال أربعة أيام ليكون ميعاد وصولها إلى أزمير فى بداية شهر أكتوبر، ثم يقوم بإخفائها لدى أحد معاونيه فى قرية (شيرنجه) بأزمير لحين سفرها بعد عدة أيام مباشرة إلى موسكو فى تابوت موتى، لتصل فى خلال أسبوع تمامًا كما أخبر مكسيم..

كان فى منتهى السعادة، فما هى إلا أيام قليلة ويتولى مكسيم زعامة الجماعة، ليغدق عليه من الأموال ما لم يكن يحلم به فى يوم من الأيام، وخصوصًا بعد خروجه من السجن.. فقدكان من المستحيل أن يسمح لأى عوائق أن تمنعه عن تحقيق ذلك الحلم.. حتى إنه قد اضطر في سبيل ذلك إلى التخلص من أقرب الناس إليه، كان اليكسى شاردًا في ذلك وهو ينفث دخان سيجارته ويتطلع من تلك النافذة التي تطل على الميناء من بعيد هامسًا إلى نفسه :

- تبًا لك يا إيفانوف..أنت من كنت تعبث بداخل السيارة لتجد أوراق الشحنة وميعاد وصولها إلى أزمير، لذلك كان علىّ أن أتعامل معك بعد أن كشفت كل شيء، وأتخلص منك.

أفاق من شروده عندما دق جرس هاتفه ليجد مكسيم يتصل به ليخبره بتغيير مكان التسليم فى موسكو حيث سيتم ذلك في قصر أحد الزعماء الداعمين له، بعد أن نجح أخيرًا في الاتفاق مع العشرات من الأعضاء والزعماء المحليين للجماعة لحضور حفل تنصيب الزعيم الدينى الجديد واحتفالاً بالطقوس السرية لجماعة خاليستى، تمهيدًا لحلول روح راسبوتين المعظم فى جسد الطفل الوليد.. وخاصة بعد إخبارهم أنه قد بذل ورجاله



مجهودًا خارقًا للحصول على تلك المومياء المقدسة، مما جعله يحظى باحترام كافة أعضاء الجماعة لاعتباره مخلصهم فى الوقت الحالى بعد أن بدأ الجميع فى الشكوى من أسلوب إيفان.. كما أخبره مكسيم أن الزعيم إيفان يكاد يموت غيظًا بعد أن علم من إلينا بسرقة المومياء،مما سيؤدى إلى أن يفقد هيبته وسط أعضاء وزعماء الجماعة، ووعده فى نهاية المكالمة بمكافأة لن يتوقعها أبدًا، وذلك بمجرد تنصيبه زعيم للجماعة...

أغلق اليكسي الهاتف ممنيًا نفسه بتلك الملايين التى سوف تُغدق عليه.. وهو يتذكر إلينا وهى تلقي إليه بالأوامر فى تلك القرية البائسة أثناء استخراج المومياء..

كانت ضحكته تتسع حتى أصبحت قهقهة مجنونة، وهو يتخيلها الآن مع يورى وذلك المصري البربري..

****

كان جاسر يحتسي كوبًا من القهوة الدافئة وهو يجلس في مقهى بيوغلو فى شارع استقلال بالعاصمة التركية، وذلك بعد أن ظل طوال الثلاث ساعات الماضية يبتاع العديد من الملابس الثقيلة له كما طلبت منه إلينا..

كان من داخله يشعر بالإحراج بعد أن أعطته مبلغًا من المال لشراء ملابس له.. وقد أخبرته أن له رصيد من المال لنجاحه فى الحصول على المومياء، وأنه سيحصل على نصيبه بمجرد وصولهم إلى روسيا.. كان الوقت لا يزال مبكرًا على العودة إلى ذلك الفندق التى قامت بالحجز فيه لثلاثتهم، ففكر فى أن يتمشى قليلاً حاملاً حقائب الملابس التى اشتراها للتو قبل أن يشير إلى تاكسي للذهاب إلى الفندق..

كان السائق سورى الجنسية فتجاذب معه جاسر أطراف الحديث داعيًا إياه قبل السفر إلى زيارة أهم أثر إسلامى فى تركيا وهو جامع السلطان أحمد



والـذى يعـد أحـد أشـهر وأهـم المسـاجد في مدينـة إسـطنبول التركيـة.. فعـرج السـائق عـلى ميـدان السـلطان أحمـد بـدلاً مـن الاتجـاه إلى الفنـدق .

توقفـت السـيارة أمـام جامعـين وأشارالسـائق إلى جامـع السـلطان أحمـد والـذى يقابلـه جامـع آيـا صوفيـا.. واسـتمر فى الشـرح لـه كمرشـد سـياحى بينـما فغـر جاسـر فـاه مـن روعـة التصميـم فقدكان اللـون الأزرق يطغـى عـلى جدرانـه فاقـترب مـن البـاب الرئيـس ليجـد نقـش عـلى أرجائـه بلغـة عربيـة فصحـى، بنـى فى عهـد السـلطان أحمـد الأول بـين عامـى 1018 - 1026هـ / 1609 - 1616م بواسـطة المعـمارى العثـمانى صدفكار محمـد أغـا، وبجـواره كان صنـدوق نـذور فأخـرج جاسـر عـدة دولارات ووضعهـا فى الصنـدوق، ودلفـا إلى داخـل الصحـن..كان جاسـر منبهـرًا بالمعـمار أمـا السـائق فاسـتمر فى الحديـث قائـلاً:

- يشـتهر المسـجد بعمارتـه المميـزة حيـث يعـد مـن أهـم وأضخـم المسـاجد في العـالم الإسـلامي، بـه سـت منـارات ويكفـي لـعشرة آلاف مُصـلى، ويقـدر عمـره بـأكثر مـن أربعمائـة عـام، ولـه سـور مرتفـع يحيـط بـه مـن ثـلاث جهـات، وفي السـور خمسـة أبـواب، ثلاثـة منهـا تـؤدي إلى صحـن المسـجد واثنـان إلى قاعـة الصـلاة.

كانـا قـد وصـلا إلى صحـن الجامـع الداخـلى والـذى يتكـون مـن فنـاء كبـير، يتوسـطه ميضـأة سداسـية محمولـة عـلى سـتة أعمـدة، ويظهـر فيـه التأثـر بالفـن الفـارسي.

أمـا المسـجد مـن الداخـل فـكان عـلى شـكل مسـتطيل وتتوسـطه قبـة كبـيره يحفهـا أربعـة أنصـاف قبـة، كـما أن كل ركـن مـن أركـان المسـجد مغطـى بقبـب صغـيرة ،بهـا عـدد كبـير مـن النوافـذ المنفـذة للضـوء.

أشار السائق وهو يُكمل:

-أتعلـم يـا سـيدى أن تلـك المـآذن السـتة التـى يشـتهر بهـا جامـع السـلطان أحمـد قـد لاقـت صعوبـات في تشـييدها..



- لماذا يا صديقي العلاّمة..؟

- كان المسجد الحرام يحتوي على ست مآذن ولاقى السلطان أحمد نقدًا كبيرًا على فكرة المآذن الست، لكنه تغلب على هذه المشكلة بتمويل بناء المئذنة السابعة في المسجد الحرام ليكون مسجده المسجد الوحيد في تركيا الذي يحوي ست مآذن، ويقال إن السلطان أحمد كان قبل توجهه للحج قد أمر رئيس وزرائه ببناء مأذنة ذهبية للمسجد وكلمة ذهب تعني « ألتين» باللغة التركية.. ومع استحالة تنفيذ هذا المطلب اقتصاديًا، تظاهر رئيس الوزراء بأنه قد سمعها «ألتي» وتعني «ستة» باللغة التركية..

- كيف تعرف كل تلك المعلومات..؟

- أنا هنا منذ عشرين عامًا وقد قرأت كثيرًا عن تاريخ هذا البلد العظيم، كم كنت أتمنى أن تحذو دولنا العربية الطريقة التركية فى بناء الاقتصاد..يكفي أنها..

قاطعه آذان العصر، فأخبره جاسر أن عليه الذهاب إلى الصلاة ويمكن له أن ينصرف بعد محاسبته لكن السائق السورى رفض رفضًا باتًا.. وظل بجواره يخبره عن روعة التصميمات الداخلية حتى أقيمت الصلاة لينتهيا منها ثم يتوجها إلى الفندق الذى دلف إياه جاسر بعد أن ودع السائق.

****

و فى مساء اليوم التالى كان الجميع فى انتظار الطائرة الروسية التى سوف تقلهم إلى موسكو مباشرة بعدما رأت إلينا أنه لا جدوى من ذهابهم إلى تبليسي فى جورجيا.. بسبب الخديعة التى قام بها اليكسي.. فبعد أن هاتفت إيفان مباشرة علمت أن مكسيم قد حدد ميعاد التنصيب فى الثالث عشر من أكتوبر، وأنه يشعر بالخطورة على حياته لذلك كان عليه الهروب هو وابنه إلى مكان سرى مع الحرس الخاص به تمهيدًا لملاقاة مكسيم يوم التنصيب،



ومحاولـة التأثـير عـلى باقـي قـادة الجماعـة الذيـن مازالـوا يدينـون لـه بالـولاء..

كان لابـد أن تحذو حـذو أبيهـا وأعمامهـا بالـولاء التـام.. وأن تبـذل كل قطـرة مـن دمهـا فى سـبيل مجـد خاليسـتى، فعـلى الرغـم مـن أنهـا فى أوقـات كثـيرة كانـت ترفـض فكـر الجماعـة، لكنهـا آثـرت أن تقـوم بـما هـو مقـدر لهـا أن تقـوم بـه.كانـت عـلى يقـين أنهـا سـتبذل كل مـا فى وسـعها لنصرة إيفـان كونيـف..

تطلعـت إلينـا إلى يـورى الـذى انشـغل بقـراءة جريـدة مـا، بينـما ابتسـمت حينـما رأت جاسـر يرتـدى ملابـس ثقيلـة اسـتعدادًا للسـفر بعدمـا حذرتـه مـن أن كل بـلاد العـالم تختلـف طقسًـا عـن موسـكو، والتـى قـد تصـل درجـة الحـرارة فى الشـتاء إلى عشريـن تحـت الصفـر ممـا جعلـه يرتعـد..

وضعـت جوازهـا فى جيبهـا الداخـلى وأغلقـت هاتفهـا عندمـا سـمعت نـداء الطائـرة المتجهـة أخـيرًا إلى موسـكو..وبعـد عـدة سـاعات كان الجميـع فى العاصمـة الروسـية موسـكو.. أشـار يـورى إلى سـيارة أجـرة بينـما وقـف جاسـر مذهـولاً..

أخـيرًا حلـم حياتـه يتحقـق أمامـه فكـم كان يتمنـى السـفر إلى روسـيا وزيـارة الكرملـين والميـدان الأحمـر.. أفـاق مـن شروده عـلى يـد إلينـا تربـت عـلى كتفـه بهـدوء وهـى تحثـه عـلى الدخـول إلى التاكسي قائلـة:

– هيا لنستقل السيارة وإلا تجمدت فى الخارج..

فتحـت لـه بـاب السـيارة بعـد أن وضـع يـورى الحقائـب فى الخلـف ودخـل السـيارة وهـو يتمتـم كطفـل يريـد أن يلهـو:

– لكنى كنت أود زيارة الميدان الأحمر و....

قاطعته إلينا فى رفق:

– ليـس الآن.. عليـك فقـط الراحـة لمده يومـين حتـى تعتـاد عـلى الطقـس هنـا، وأعـدك فى السـبت القـادم سـأصحبك فى جولـة تاريخيـة فى مسـكفا كـما تـود..



- مسكفا..؟

تطلعت إليه إلينا وهى تبتسم:

- موسكو كما تطلقون عليها.. عليك أن تعتاد الروسية يا عزيزى، والآن أخبرنى هل تشعر بالبرد..؟

- بعد ارتدائي هذا المعطف والقلنسوة والكوفية والقفاز.. أعتقد أنى سأموت من البرد.. كم تبلغ درجة الحرارة الآن..؟، هل مسكفا بتلك البرودة دائما..؟

- أية برودة التى تتحدث عنها إن درجة الحرارة الآن تبلغ الثلاث درجات..

- ماذا..؟!!، ثلاث درجات..؟!!

- تتمتع موسكو بمناخ رطب يا جاسر مع فصول صيف دافئة ورطبة، وفصول شتاء طويلة باردة،درجة الحرارة فى الطقس الحار هنا كما هى فى القاهره في شهر يونيو، يوليو، وأغسطس تبلغ 23 درجه ولكن في فترات موجات الحر التي تحدث بين مايو وسبتمبر، فالحرارة خلال النهار قد تصبح أعلى من 30 درجة مئوية تخيل يا صديقي ..؟، أما في فصل الشتاء، الحرارة قد تصل إلى 10 درجات تحت الصفر تقريبًا.

- حسنًا.. لا تتحدثى عن البرودة، فحديثك عنها سيجعلنى أتجمد بالتأكيد.. ولكن ستظل فى عينى مسكفا من أجمل بلدان العالم بالرغم من ذلك..

قالها وتطلع إلى الشوارع ومنظر غروب الشمس فى الأفق، بينما لاح الكرملين فى البعد فالتصق فى الزجاج مبتسمًا.. بينما راقبته إلينا فى هدوء وهى تستند برأسها على زجاج النافذة وهى تنتظر ما تخبئه لها الأيام فى القريب.. بل والقريب جدًّا

****



فى صباح السبت الخامس من أكتوبر كان جاسر ملتحفًا بملابس ثقيلة جدًّا بعدما أخذته إلينا فى جولة للتنزه فى العاصمة الروسية.. فقد عرجا على الكرملين ووقف مشدوهًا من عظمته وهو يستمع إلى الينا التى كانت تتحدث بفخر عن بلدها:

هنا يا جاسر وعلى ضفاف نهر مسكفا يقع قصر الكرملين منتصب القامة، شاهدًا على حضارة القياصرة الروس، متربعًا على قائمة الأماكن الأثرية فى روسيا، الذى بات على مرمى حجر من الدخول فى موسوعة عجائب الدنيا... وقد اكتسب هذا المكان شهرته فلا يكاد زائريزور روسيا دون أن يزوره أو يذكر اسم مسكفا دون ذكره، حتى أصبح الموقع الرئيس للعروض العسكرية أيام الحقبة الشيوعية، إضافة إلى وجود عدد من الآثار القديمة به كقصر الكرملين الرئاسى ومقابر كبار الشخصيات الروسية أمثال قائد الثورة الشيوعية وأول رئيس للاتحاد السوفيتى «لينين» الذى لا يزال محنطًا حتى الآن، ورائد الفضاء الأول غاغارين والعالم كورتشاتوف والكاتب ماكسيم غوركى وغيرهم.

حتى إن الذى يزوره يؤمن تمامًا بأن روسيا كانت فيما مضى الأقوى فى العالم، وستعود كما كانت فى القريب العاجل.

كما يوجد به قصر الكرملين الكبير وقصر القياصرة، وقصور أخرى تحولت إلى متاحف يقصدها الزوار والسياح، وبه مقتنيات أثرية عمرها يبلغ مئات السنين وهى لا تقدربثمن كعروش وتيجان القياصرة المصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة، وكذلك صور نادرة ومجسمات وحلي وقطع فنية نادرة وأوان منزلية تعكس الثقافة الشيوعية والسوفيتية السابقة، والأكثر من ذلك كله الملبوسات والبدل العسكرية والأسلحة والترسانة



السوفيتية السابقة والتى يعود تاريخ بعضها إلى القرن الثانيعشر، حتى إن الزائر لايكفيه الأسبوع لزيارة هذا المكان ذى المساحة غير الكبيرة كما يوجد به قبر الجندى المجهول الذى تشتعل فى وسطه شعلة من النار ترمز إلى مجد الدولة الروسية الدائم.

اقتربا من الساحات الخلفية وألح عليها فى الدخول لكنها طلبت منه أن يجعل ذلك في يوم آخر فهناك مزار آخر سوف تذهب به إليه سيرًا على الأقدام، فسار إلى جوارها كطفل يري لأول مرة مدينة ملاهى، فكان يريد أن يذهب إلى عدة اتجاهات فى وقت واحد، وهى بالكاد تناديه كل مرة بدلًا من أن يضل طريقه حتى وصلا أخيرًا إلى الميدان الأحمر والذى يقع بالقرب من الكرملين، ووقفت وهى تشير إليه وهو لا يزال مبهورًا بكل التصميمات التى لم يكن يحلم فى يوم من الأيام أن يراها.. بينما جلس جاسر على أول مقعد خشبي محملقًا فى وجهها وهو يقول:

- لقد تحقق الحلم أخيرًا يا إلينا..

اقتربت منه وهى تنظر إليه فى دهشة قائلة:

- تقصد حلمك في زيارة روسيا..

- لا.. لا.. هناك حلم آخر أو بمعنى أدق رؤية عابرة رأيتها وقت أن قمتى بزيارتى فى المنزل، فقد رأيتنا ونحن نجلس سويًّا على هذا المقعد فى انتظار أحدهم وأنا أكاد أتجمد من البرد.

- أنت تسخر منى كعادتك..

- أقسم لك إنها الحقيقة.. ويبدو أننا كنا فى انتظار يورى.

- بالفعل فقد أعطيته ميعاد فى الميدان الأحمر بعد ثلاثين دقيقة أمام ساحة كنيسة سانت باسيل



- إذن فأنا لم أخطئ.. تبا لتلك الرؤى، إنها قادرة على تحويل حياتى جحيمًا، ولا أدرى أتلك ميزة أم عيب.. والآن أكملى شرحك وانسى كل ما أخبرتك به ..

نهضت من جواره وهى تتطلع إليهفى صمت ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة، ربما لأنها لأول مرة تشعر بالسعادة الحقيقية فى حياتها لكنها أخفتها لتستمر فى حديثها الجدى قائلة:-

- حسنًا لعلك قد سمعت يومًا يا جاسر عن الساحة الحمراء أو الميدان الأحمر وقد تداولت أخبارها كثيرًا كواحدة من أشهر ساحات العالم.. ولا عجب في ذلك فهذه الساحة هي الأكثر تميزًا في روسيا ومسكفا تحديدًا، وقد شهدت العديد من الأحداث التاريخية والسياسية على مر العصور مما يؤهلها لتكون الأسطورة الروسية التي يقصدها كل سائح ومسافر إلى هذه البقعة من العالم ليشهد قلب روسيا النابض عبر أعين هذه الساحة التي تكاد تنطق لتفصح عما مرت به منذ تأسيسها وإلى اليوم في وسط مدينة موسكو، وعلى الجهة الشرقية للكرملين وفي شمالها يقع المتحف التاريخي وكاتدرائية أيقونة عذراء قازان.. وفي جنوبها كاتدرائية بوكروفسكي.. والتى سننتظر يورى بالقرب من فنائها الواسع، أما بجوار جدار الكرملين فسترى ضريح الزعيم الشيوعي فلاديمير إيليتش أوليانوف «لينين» مؤسس الاتحاد السوفيتي السابق.. وعندما تقف فيها ستجد شوارع موسكو الرئيسة وكأنها تنظر إليك من جميع الاتجاهات، فالميدان الأحمر هو الميدان المركزي لموسكو وكل روسيا.

- أعلم أنه قديم منذ الأزل يا إلينا..

- نعم فتاريخ الساحة يعود إلى القرن الخامس عشر عندما كان الموسكوفيون يتوافدون إلى باحة لشراء مأكلهم وحاجياتهم تعرف باسم



«تـورغ»، ولكـن فى أواخـر القـرن الـسادس عـشر صـارت في المكان سـاحة أطلـق عليهـا اسـم «سـاحة الثالـوث» كانـت عمليًـا المدخـل لقلعـة الكرملـين، وفى عـام 1650م أطلق عليهـا بالروسـية اسـم «كراسـنيا بلوشـاد» الـذي يعنـي «السـاحة الحمـراء» أو «السـاحة الجميلـة».

– أعتقـد أن هـذا الميـدان كان مسرحًـا منـذ سـنوات لبعـض الحـركات الثوريـة..؟

– شـهدت هـذه السـاحة الكثـير مـن الأحـداث التاريخيـة الهامـة لروسـيا، فمثـلاً الثـورة الروسـية وهـى مصطلـح يعـبر عـن سلسـلة مـن الاضطرابـات الشـعبية حدثـت في روسـيا عـام 1917م، والتـي كان لهـا الـدور الأبـرز في تغيـير مجـرى التاريـخ، وقـد قامـت بهـا أساسًـا الجماهـير الروسـية الجائعـة.. منهيـة بذلـك الحكـم القيـصري، لتقيـم مكانـه حكومـة مؤقتـة، أفضـت إلى إنشـاء الاتحـاد السـوفيتى..

– كنـت أظـن أن سـبب تسـمية الميـدان الأحمـر بذلـك يرجـع لكثـرة الدمـاء التـى أريقـت فيـه..

– أيـة دمـاء يـا صديقـي..؟، إن أصـل تسـمية السـاحة الحمـراء بهـذا الاسـم لا تعـود إلى اشـتقاقها مـن لـون الطـوب الأحمـر، ولا مـن الربـط بـين اللـون الأحمـر والشـيوعية، أو حتـى مـن الدمـاء المراقـة كـما تقـول بـل يُعتقـد أن التسـمية تعـود إلى كـون الكلمـة الروسـية (كراسـنيا) تعنـي أحمـر أو جميـلاً

أخذتـه مـن يـده وهـى تتوجـه بـه إلى الفنـاء الفسـيح لكاتدرائيـة يعجـز اللسـان عـن وصفهـا وهـى تُكمـل:

– أنـت الآن فى سـاحة «سـانت باسـيل» وهـي الكنيسـة التاريخيـة التـي تقـف في صمـود وكبريـاء بقلـب السـاحة الحمـراء لتعلـن عـن جمـال لا يقـاوم مـن



الألـوان والأشـكال والتصميـم المعـماري الفريـد بـما في ذلـك القبـاب، والأقـواس والأبـراج، التـي يحمـل كل منهـا نمـط مميـز، ولعـل هـذا مـا جعـل زائريهـا يفتنـون بهـا منـذ بنائهـا عـام 1561م عـلى يـد المهنـدس المعـماري بوسـتنك ياكفلـوف وحتـى الآن، وبداخـل هـذه السـاحة يـا جـاسر «ضريـح لينـين» وهـو المـكان الـذي يرقـد فيـه الزعيـم السـابق فلاديمـير لينـين حيـث تـم تحنيـط جثمانـه وهـو مسـجى في صنـدوق زجاجـي، يمنـع لمسـه ومغطـى بشرشـف مـن أسـفل بطنـه حتـى قدميـه، جلـد وجهـه مشـدود ويعتقـد البعـض أن أجـزاء مـن جسـده تـم طلاؤهـا بالشـمع أو أنهـا غـير أصليـة وتـم اسـتبدالها بأجـزاء صناعيـة لتبـدو في حالـة جيـدة حتـى الآن.

- فلنلقي نظرة عليه..

- ليـس الآن فميعادنـا مـع يـورى يـكاد يقـترب، سـنحضر هنـا مـرات ومـرات لا تقلـق، ولكـن ليـس كل مـا تريـده سـنقوم بـه فى اليـوم الأول لمرورنـا.. أتـرى فى هـذا الجانـب الشرقـي بأكملـه مـن السـاحة الحمـراء..هنـاك يـا جـاسر عـلى البعـد سـتكون أمـام أشـهر مراكـز التسـوق العالمـي وبالطبـع كأى أنثـي أريـد أن ننهـى رحلتنـا بالتسـوق والتنـزه فى تلـك المحـلات..

- النسـاء هـن النسـاء.. اللعنـة يبـدو أن بـرودة الطقـس قـد وصلـت إلى عظامـى..

جلس عـلى المقعـد القريـب منـه وهـو ينفـخ أنفاسـه فى قفـازه، فاقتربـت إلينـا منـه وجلسـت إلى جـواره واضعـة يدهـا حـول يـده فاكتشـفت أنـه يرتعـد، مما جعلهـا تهتـف:

- إنك ترتعد يا جاسر..

- لا.. لا.. سأصبح دافئًا الآن.



اقترب جاسر من شعرها مستنشقًا ذلك العبير الذى يستنشقه كلما اقتربت منه قائلاً فى نشوة:

- تخيلى أننى لم أستنشق فى حياتى عطر ياسمين بجمال عطرك يا إلينا..

- إنه شانيل جراند يا عزيزى..

- شانيل ماذا..؟

- شانيل جراند يا صديقي..

- حسنًا.. فلتقولى ياسمين وكفى.

- ياسمين وكفا..!! إنه مزيج من الورود والياسمين والتي يتم الحصول عليها من حقول شانيل الخاصة في فرنسا وهو نادر جدًّا وباهظ الثمن ايضا ومن العسير الحصول عليه إلا من العاصمة الفرنسية لارتفاع ثمنه وأنت تخبرنى أن أسميه ياسمين فقط..

كان لا يزال مقتربًا من وجهها منتشيًا بذلك العطر الذى أشعره أنه فى وادٍ آخر، ولكن لعنة الله على تلك البرودة التى جعلته يرتعد بشدة وهو يتمتم بحنق:

- لم أكن أتخيل أنى سأقضي جزء من عمرى داخل ثلاجة يا إلينا..

- ولِمَ لا تقضي الباقى من عمرك هنا يا جاسر..؟، لِمَ الإصرار على العودة..؟

- إن كل مفاهيمى تبدلت يا عزيزتى فلو حضرتى لى منذ شهرين فقط وأخبرتينى أنى سأجلس فى ساحة الكنيسة تلك وبجوارى فتاة روسية والغد مبهم لنا وأننى سأشعر بالتجمد، ربما كنت شككت فى قواك العقلية يا إلينا..



- جيزن...

- وما معنى تلك الكلمة الأخير..؟، فأنا لا أفهم.

- جيزن.. بمعنى الحياة .

- لا زلت لا أفهم .

- فقط وددت أن أخبرك باسمي الحقيقي والذى لا يعلمه سوى أهلى فقط...

- جيزن.؟!!، اسمك جيزن..؟

- نعم يا جاسر.

- ولِمَ تخبرينى الآن..؟

- لا أدرى ولكن فعلاً وددت أن أخبرك.. وأخبرك شيئًا آخر مهم.

- وما هو ..؟

- لا أدرى ما سوف يحدث فى الأيام القادمة إذا مر يوم التنصيب بسلام ونجحنا بالإيقاع بعصابة مكسيم للأبد سوف يكون لى تصرف آخر فى كثير من الأمور.. سوف أترك الجماعة إلى الأبد وأرحل إلى مكان بعيد لن يجدنى به أحد بشخصية أخرى تمامًا، ربما كانت أقرب إلى شخصيتى الحقيقية.. أما إذا.......

قاطعها جاسر بقلق :

- بالله عليك لا تكملى يا إلينا، سوف تمر الأيام القادمة بخير...

- دعنى أنهى حديثى من فضلك يا جاسر.. إذا حدث وافترقنا لأى سبب سننتظرنى هنا فى ذات المكان وفى هذا المقعد المواجه تمامًا لماكينة الكوكا تلك مساء الخامس عشر من أكتوبر فى تمام الثامنة مساء، فإذا لم



تجدنى عليك الانصراف فورًا.. وعليك الاختفاء حتى اليوم التالى حيث ستتوجه إلى محطة قطار نوفوسيبيرسك، وتتجه نحو خزائن الأمانات، ابحث هناك عن الخزنة 1354 ورقمها السري 12886 ستجد فيها حقيبة خذها، وبداخل الجيب الخارجى ستجد تذكرة للقطار رقم 25 الذى سوف تستقله من رصيف 14 فى تمام الخامسة مساء، متجهًا إلى مدينة كورغان، والتى تقع وراء جبال الأورال.. هل تحفظ تلك الأسماء يا جاسر..

– لا بالطبع كيف أحفظ كل ذلك ..؟، ولكن أخبرينى أولًا عما بداخل تلك الحقيبة..

– انتظر حتى أنتهى من حديثى ثم سأخبرك.. من مدينة كورغان ستتجه نحو الشرق إلى مدينة أورينبورغ والتى على بعد أكثر من 1500 كيلومتر عن مسكفا في اتجاه الشرق بمنطقة جنوب الأورال القريبة من الحدود مع كازاخستان. ... وهى تقع على الحدود بين قارتي آسيا وأوروبا في جنوب جبال الأورال على نهر أورال عند التقائه بنهر ساكمارا.. هناك نُزُل بسيط تستطيع أن تقضي به بعض الوقت وتبيت ليلتك قبل أن تتوجه فى الصباح إلى قرية ساكمارا القريبة بحوالى خمسين كيلومتر..

أما بخصوص الحقيبة ففيها كل ما أملك من مدخرات وبعض الأوراق الهامة وبالنسبة للمال عليك أن تقسمه فتأخذ النصف، أما النصف الآخر فعليك أن تسلمه مع الأوراق ل..........

قاطعها جاسر متوترًا:

– أية أموال تلك التى تتحدثين عنها، أنا لم آتِ إلى هنا لكى آخذ أموالك يا إلينا..أقصد يا جيزن.. يا صديقتى.

– جاسر.. تلك آخر وصية لى، فلو قابلتك هنا ستتغير أشياء كثيرة كما



أخبرتـك، أما إذا لم أظهـر فعليك تنفيـذ مـا قلتـه لـك حرفيًـا.. تلـك الأمـوال تستطيع معهـا أن تعيش هنـا بجـواز سـفرك التركـى أو تسـتطيع أن ترحـل إلى جورجيـا لتقيـم مـع شـقيقك، هنـاك الكثير مـن الأشـياء الجيـدة التـى تسـتطيع أن تبـدأ حياتـك منهـا.. فـلا تناقشـنى يـا جـاسر، أنـا لا أثـق فى أى شـخص سـواك لإعطائـه تلـك الأمانـة.

– حسـنًا لـن أتحـدث الآن إلا بعـد الميعـاد المنتظـر.. ولكنكِلـم تخبرينـى مـاذا سـأفعل فى تلـك القريـة؟

– ستسـأل عـن طبيـب القريـة، وتخـبره أنـك أتيتـه مـن طـرف جيـزن، وأنـى بخـير وسـألاقيه فى أقـرب فرصـة، وتعطـى لـه نصـف الأمـوال وكل الأوراق التـى بالحقيبـة..

– أنتِ غريبة اليوم يا جيزن..

– أنـت السـبب يـا جـاسر.. فقـد جعلتنـى دون أن تـدرى أشـعر بأشـياء كنـت أشـعر أنهـا ماتـت بداخـلى منـذ فـترة..

ثم زفرت بضيق وهى تتطلع أمامها قائلة:

– لِمَ تتحدانـا أقدرانـا فنلقـى مـن يشـعر بنـا فى الوقـت الغـير مناسـب.. بينـما نظـل طـوال أعمارنـا نبحـث عـن قطعـة البـازل المفقـودة داخـل أرواحنـا فنتـوه عنهـا دائـمًا..

– ما بك يا عزيزتى..؟

– لا شـىء يـا جـاسر فقـط أشـعر أننـى لم أعـد أحتمـل ذلـك الشـجن فى قلبـي.. وأنـت لِمَ توتـرت أنـت الآخـر وأنـت تعبـث فى هـذا الخاتـم..؟

كان جـاسر فى تلـك الأثنـاء يشـعر بـأن الخاتـم يضيـق عليـه فجـأة وينبـض



بتلك النبضات البسيطة التى تؤرقه أحيانًا منذ أن قام بلبسه لذلك كان قد خلع القفازات وهو يحركه..فاستكملت فى هدوء:

- لم أرك ترتدى هذا الخاتم من قبل، هل من الممكن أن أراه..؟

خلع جاسر الخاتم وأعطاه لها فأنبهرت بذلك الفص المتعدد الألوان والذى اتخذ بريقًا عجيبًا فتحول إلى ما يقرب من اللون الأسود في يدها.. مما جعلها تهتف بدهشة :

- إن لون الحجر الكريم فى الخاتم يتغير يا جاسر ..لماذا..؟

- لا أعلم يا جيزن ولكنها هدية قديمة وفوجئت مثلك أن لونه يتغير كلما تغيرت درجة الحرارة تقريبًا

- لا أعتقد ذلك.. أنه يتغير على حسب الحالة المزاجية أو التوتر أو ربما كان نذير ينبئ بالخطر.. من أين حصلت على هذا الخاتم يا جاسر..؟

- من أحد رجال الصوفية الموجودين فى قرية بعيدة يا صديقتى وكنت أود القول إنه يمكنك الاحتفاظ به لولا أنى قد أخاف عليك من حمله..

- هيا اعطنى إصبعك..

مد جاسر يده للفتاة التى ما لبثت أن قامت بوضع الخاتم فى إصبعه مبتسمة، وما كادت تفعل حتى راودته رؤية أخرى.. فنظر إلى كفيه فى فزع.. مما جعل الفتاة تقترب منه متسائلة :

- ماذا بك..؟

- لا شيء ولكنها تلك الرؤى المستمرة التى أراها كل فترة كما أخبرتك..

- و ماذا رأيت هذه المرة..؟



- رأيت نفسي مقتولاً..

انتفضت إلينا فى فزع وهى تهتف:

- ماذا..؟ مقتولاً.؟

- نعم كنت أشعر بألم شديد فى قلبي ووضعت يدى عليه فوجدتهما ملطختان بالدماء..

- جاسر لا تؤرق نفسك بتلك الرؤى وثق أننى لن أسمح لأى شىء بأن يؤذيك .

- أنا واثق تمامًا.. لكن..

- لا يوجد لكن..دعنى أكمل ما بدأته فقط، ستسأل عن طبيب القرية كما أخبرتك.

- ومن هو ذلك الرجل ..؟

- ستعلم كل شىء فى وقته، هل قمت بحفظ الأسماء؟

- لا بالطبع إن كل أسمائكم صعبة حتى فى النطق، سوف نجلس سويًّا وأكتبها..

- المهم ألا تخبر أحدًا أيًّا كان بما أفضيت لك به حتى يورى.. أنا لا أثق حتى فى نفسي بداخل تلك الجماعة.. هل أستطيع أن أعتمد عليك..؟

- بالطبع ياجيزن..

وقفت بجواره دقيقة وهى تنظر إليه ثم ابتعدت كطفلة تريد أن تلهو وهى تحتضن كوفيتها حول رقبتها ثم اقتربت منه ضاحكة مرة أخرى لتطبع قبلة على وجهه أصابت قلب كل منهما بتلك الخفقة التى تنبئ بوجود ضيف جديد على حياتهما يسمى الحب.. فأصدق مشاعرهى تلك



التى تولد فى قلب الأزمات كما أن أنقى المعادن تلك التى تُصهر فى قلب النار، فوقتها يكون القلب صادقًا عفويًا لا يكذب ولا يتجمل،وتألف الروح من يُكملها، فتتحد الأرواح التى قُدر لها اللقاء فى عالم كل شىء فيه مقدر.

حاول جاسر أن يتحدث ولكن كلامه خرج متلعثمًا متوترًا، وقبل أن يتمالك نفسه رآها تشير إلى يورى من بعيد فهمست فى أذنه:

- إنسَ جيزن ولا تخاطبنى به أبدًا، ولا تخبر يورى عن أى شىء دار بيننا يا جاسر، وفى المنزل سأجعلك تحفظ تلك الأماكن دون كتابتها..

وما هى إلا لحظات حتى اقترب يورى من إلينا محدثًا إياها بالروسية، فقطبت حاجبيها مستائة فاقترب منها جاسر مندهشًا وهو يقول:

- لقد سمعت اسم اليكسي.. أتوجد أى أخبار عنه..؟

- نعم لقد بلغ يورى من بعض رجالنا أن أحدًا رأى اليكسي فى مستشفى بالأمس بالقرب من محطة مترو أنفاق مسكفا..

- مستشفي..؟، هل أصابه شىء ما..؟

- لا يعلم.. ولكن كل ما رآه أنه كان يخرج مهرولاً من المستشفي، وحاول أن يتبعه لكن كان هناك سيارة فى انتظاره استقلها مسرعًا

- لست مندهشاً وإن كنت أتوقع نهاية أفظع..

- ذلك لم يكن الأفظع.. بل الأفظع أن إيفان وابنه وحرسه الخاص قد تركوا القصر ليختفوا فى مكان آخر فى سان بطرسبرغ بسبب الفتوى التى صدرت بحبس إيفان من قادة الجماعة الخونة.. لقد خانوه كل الأعضاء الكبار،ولاندرى بما أغراهم مكسيم ليفعلوا.



- لا يوجد إغراء أكثر من جثة المومياء التى حصل عليها وإيهامهم بأن الحلم سيتحقق خلال أيام ويصبح حقيقة..

- صدقت القول.. والآن هيا بنا فيبدو أن مكسيم سيعطى أوامره بالتخلص منا أيضًا.

غادر ثلاثتهم ساحة الكنيسة مسرعين الخطى إلى مكانهم السري حتى يتم الاتفاق مع من تبقي من الأعضاء الذين لا يزالون مواليين لإيفان.

****



(13)

أن يكون لدى الإنسان قضية يؤمن بها ويدافع عنها ويضحى من أجلها بالغالى والرخيص هو ما يعطى لحياته معنى وقيمة، وكلما كانت القضية سامية ونبيلة وعادلة كلما ارتقى فكره وحسه، أما إذا تحول من صاحب قضية لصاحب مشروع يريد استغلاله لتحقيق مجد شخصى فقط، فإن الإنسان ينحدر ليستخدم أحط وأقذر الأساليب، فرق كبير بين أن تكون صاحب فكر وقضية وبين أن تكون صاحب مشروع.



كان مكسيم يجلس مكفهر الوجه بجوار اليكسي وهما ينظران إلى ذلك التابوت الخشبي الذى يحتوى على المومياء الملكية، بينما اقترب أحد رجال مكسيم من التابوت يحاول أن يفتحه، وقتها صرخ مكسيم واليكسي على الرجل بالتراجع بينما وقف مكسيم وهو يصرخ فى اليكسي:

- كيف ستتصرف فى تلك المصيبة يا اليكسي.. لا أصدق أن تلك المومياء بداخل التابوت عليها لعنة تصيب كل ما يقترب ويتجرأ على فتح التابوت الخشبي الذى قمت أنت بوضعها فيه قبل أن تشحنها من مصر.

- لا أدرى يا سيدى، أنا عن نفسي لم أكن أصدق ذلك إلا بعد الحادثة التى وقعت لنا فى مصر وانقلاب السيارة التى كانت تحمل التابوت أمامى فى دمياط فى مصر، قبل نقله وبمجرد وصوله تركيا اندلعت النيران دون سبب فى المنزل السري الذى أقمت به مما أسفر عن انفجار خط الغاز فى المنطقة، لولا أنى هربت به فى آخر وقت، وبعد وصولنا لروسيا وضعته هنا فى تلك الصالة وحاولت أن أقترب منه لكنى لم أجسر على فتح التابوت فدعوت أحد رجالى وأمرته أن يقوم بفتح التابوت وإخراج المومياء، ولكن بمجرد فتحه للتابوت أصابه وميض فجأة، مما أصابه بعمى مؤقت فى عينيه.. فسارعت به إلى المستشفي، وبالأمس أخبرونى أن هناك بكتيريا وصلت إلى عينيه أدت إلى فقد عينه اليسرى إلى الأبد.

- وأنا بالكاد أتماسك حتى لا أنفجر كمدًا.. أيكون بينى وبين تحقيق ما أربو إليه منذ سنين هذا الصندوق وتلك المومياء اللعينة التى بداخله، ولا أستطيع إخراجه تمهيدًا للمراسم يوم السبت القادم..؟، افعل شيئًا وتصرف يا اليكسي فى تلك اللعنة، وإلا أقسم لك ستكون أنت أول من سأنفجر كالقنبلة فى وجهه.

- حسنًا.. حسنًا.. هناك شخص واحد فقط هو من لديه القدرة على التعامل مع تلك اللعنة..



- من تقصد..؟

- ذلك المصري الذى دخل إلى المقبرة وأحضر المومياء، بعد أن عجز رجالنا عن الدخول إليها..

- حسنًا.. فلتأت به بأى شكل.. ولكن أين هو الآن..؟

- هو الآن بالقرب منا بعد أن وصل مع إلينا ويورى تمهيدًا للتنصيب..

- ولِمَ أتت به إلينا..؟، هل تظن أن بإمكانها الحصول على المومياء مرة أخرى ومساعدتها فى التنصيب..؟، اللعنة أريدك أن تتخلص من تلك الفتاة فورًا، فهى تشكل خطرًا علينا بعد رفضها التعاون معنا وولائها لذلك العجوز الخرف.

- هل علمت مكانه الجديد يا سيدى.؟

- لا.. ولكن رجالى فى كل مكان سوف يأتون لى برقبته عن قريب، أشكر الرب أننى قد استطعت ضم معظم أعضاء الجماعة إلى صفي، باستثناء بعض المخرفين أمثال إيفان..

- أتمنى أن أراه صريعًا هو وابنه الممسوس..

- لا تقلق سترى ذلك فى القريب..

- وقتها أنا من سيحطم رقبة ذلك الشيطان ابنه .

- دعك من هذا الهراء وأخبرنى كيف ستتصرف..؟

- لا تقلق.. سأقوم بالمفترض أن أقوم به.

- لم يتبقَ على الميعاد سوى يومين فقط يا اليكسى..

- أخبرنى أنت يا سيدى بالنسبة للفتاة الحبلى هل..

- أعلم ما تريد أن تسأل عنه، لا تقلق كل شىء سيمر على ما يرام ولكنى لم أحدد مكان الاجتماع بعد، سأنتظرك فى المكان المقصود مع كبار الأعضاء



وسأخبرك قبل الاجتماع بساعة عن المكان، وسأثبت للجميع أنى فعلاً من يستحق الزعامة بعد أدائى الطقوس لاستحضار روح راسبوتين المعظم فى جسد الطفل الوليد.. وسيتم نقل المراسم والطقوس إلى كافة الأعضاء بالبث المباشر.

- سيدى أننى لا أرى أية فائدة من موضوع البث المباشر هذا، هذا فنحن لا نريد أى دليل قد يؤدى إلى كشف الجماعة، ولا تنس ما حدث فى المسرح فى اجتماعكم السري منذ أكثر من عشرين عامًا..

- وهل تظن أنى نسيته ..؟، صدقنى لن تتكرر المأساة مرة أخرى.

- ولكن هل تضمن ولاء كل من سيحضر يا سيدى..؟

- بالطبع يا اليكسي، قم أنت بعملك فقط ولا تجادل فيما ليس لك به شأن.. لقد أخبرتك ألا تقلق فكل الأمور تحت سيطرتى بالكامل، ولم يتبقَ إلا تلك المومياء الملعونة.

- وأنا سأتولى مسئوليتها فلا تقلق يا سيدى..

ترك مكسيم اليكسى الذى جلس واضعًا رأسه بين كفيه وهو لا يعلم كيف سيتخلص من هذا المأزق.. أبعد كل ما قام به يكون الفشل من نصيبه لمجرد عدم قدرته على فتح التابوت..؟ هو يعلم أنه لا يوجد شيء يسمى لعنة الفراعنة، أو لعنة تصيب من يُقلق نوم الفراعنة كما أخبره ذلك الغبي المختص بالمصريات.. فالتابوت أمامه ومستقبله بداخل هذا التابوت اللعين، وهو على علم أن مكسيم ذاته لن يتورع عن قتله إذا فشل هذه المرة ومر التاريخ المذكور دون تنصيب الروح.. وهو ليس على استعداد للانتظار عام آخر قد تقوى فيه شوكة إيفان ومساعديه ويبدأ الصراع مرة أخرى..

قام من مكانه واقترب من التابوت مُطرقًا وهو يفكر فى تلك الخطوة التى إما أن تجعله يكسب كل شيء أو يخسر كل شيء..

****



فى مساء الخميس كانت إلينا ويورى يجلسون مع ثلاثة رجال يبدو عليهم علو مكانتهم فى الجماعة، حيث كانت إلينا تحاول إقناعهم بكل ما حدث، وما قام به اليكسي ومكسيم من سرقة ما سعى إليه إيفان ورجاله حتى وافقوا أخيرًا على طلباتها وهى إعطاء الفرصة مرة أخرى لإيفان وكل من تبقي معه للمناظرة مع مكسيم فهى ترى أن مكسيم سيحول الجماعة إلى إرهابية وإجرامية بعكس إيفان الذى يحافظ على ذات الصبغة الدينية البحتة للجماعة..

بعد إنتهاء ذلك الاجتماع خرجت إلينا لتستقل سيارتها، بينما انشغل يورى بمكالمة هاتفية من أحد مساعديه ،وما إن انتهى حتى اقترب منها هامساً بحزن، وهو يقود السيارة إلى مكانهم السري:

- لا أظن أنه يوجد أى فائدة منهم يا إلينا، فنحن كمن يحفر على الماء، إن ذلك المأفون مكسيم يبدو أنه أغراهم بما هو أكثر من المكانة العالية..

- إن هؤلاء الأعضاء لا ينقصهم المال، ولكن مكسيم مثل الحية، فهو يقدم لهم المومياء وإعادة روح جماعة خاليستى، بالإضافة إلى الضغط عليهم بأساليبه الغير مشروعة، وبالتالى لن يرفضوا بالطبع عدة ملايين تضاف إلى رصيد كل منهم فى مقابل تأييده .

- و ما الحل إذن ..؟

- أعتقد أنه لا يوجد أى حل يا يورى، فنحن نحاول على قدر استطاعتنا، ولكن للأسف دون جدوى..

- إن حفل التنصيب سيكون بعد غد فى تمام الثانية عشر مساء ونحن لم نعلم بالمكان بعد..

- أعتقد أنهم على الأقل سوف يخبرونى بمكان الاجتماع إن وصلت



إليهم الدعوة فى الغد، فأى معلومة قد تفيدنا كثيرًا يا يورى مهما كانت بسيطة..

- و أنا أيضًا قد أطلقت كل رجالى للحصول على أى معلومة ولو بسيطة قد ترشدنا على مكان الاجتماع، ولكن بالفرض علمنا مكان الاجتماع، فما الذى سوف نفعله يا إلينا..؟، فلن يسعنا فعل أى شىء وقتها سوى مشاهدة انتصار حزب مكسيم وتحول الجماعة حرفيًا إلى جماعة إجرامية لا تقل عن جماعات المافيا الروسية ..

- لا أدرى ولكننى لن أقف مكتوفة الأيدى وترك مكسيم يفوز بكل شىء ...

- لدىّ فكرة أخرى، لِمَ لا تجعلى جاسر يرشدنا إلى المومياء، ألا يستطيع ذلك.؟

- حاولت سؤاله عن ذلك لكنه بالطبع لا يستطيع، وتلك الرؤى الغريبة التى تراوده تكاد تقضي على ما تبقي له من عقل بعد خروجه من المقبرة..

- هذا الرجل يحتوى على كتلة من الأسرار، لذلك أنا لا أرتاح إليه البتة..

- هو أيضاً أخبرنى أنه لا يرتاح إليك..

- أعتقد أن السبب فى ذلك هو أنه ليس لدينا أى مجال مشترك حتى للحديث، فأنا لا أتحدث الإنجليزية جيدًا..

- دعك منه الآن ولنترك ما للغد للغد..

- ماذا بخصوص إيفان إذن..؟

- لقد هاتفته صباح اليوم وسأذهب غدًا لمقابلته فى مكانه السرى لتسهيل محاولة خروجه بعيدًا عن البلاد هو وابنه.

- هل قرر السفر وترك الجماعة..؟



- لو كنت مكانه يا يورى وفجأة وبدون مقدمات وجدت أن الكل يتآمر ضدك بعد أن أفنيت عمرك للجماعة، فسيكون كل يوم تقضيه فى روسيا محسوبًا عليك، كما أن هناك الكثير ممن يودون اقتناصك لمجرد خدمة الزعيم الملهم الجديد والتقرب إليه..

- أنتِ مخلصة جدًّا لإيفان يا إلينا..

- لقد كانت تلك وصية والدى رحمه الله يا يورى، فلا تنس أن والدى وعمى قد قضيا نحبهما دفاعًا عن تلك الجماعة، وها أنا أرى الآن كل ما قاما ببنائه يُهدم فى لمح البصر

صمت يورى وهى لم تبادله الكلام طوال الطريق إلى مقرهم السرى بالقرب من محطة أنفاق مسكفا، وهما يتطلعان إلى الطريق أمامهما والذى بدا وكأنه بلا نهاية..

****

بعد عدة ساعات كانت إلينا لاتزال تدور فى غرفتها وهى تفكر كيف يمكنها أن تنقذ ما يمكن إنقاذه.. لم تتوقف عن الاتصال بكل من كان يمت للجماعة بصلة فى محاولة لاستقطابهم ولكن دون جدوى ..لا أحد يعلم أى شىء عن مكان مكسيم أو المومياء.

جلست على مقعدها الوثير بجوار المدفأة وهى تنظربلامبالاة إلى شاشة التلفاز، وفجأة رن الهاتف مرة أخرى فأمسكته بدون اكتراث وهى تتطلع على هوية المتصل، لتجده اليكسى، مما جعلها تقفز من كرسيها وهى ترد على الهاتف لتصب غضبها عليه وهى تصرخ فيه عبر الهاتف، مما جذب كل من يورى وجاسر الذين هرولا نحوها.. كان اليكسي صامتًا، حتى انتهت من غضبها فحاول أن يقوم بتهدئتها ولكنه لم يفلح، فآثر أن يدخل فى الموضوع مباشرة، فأخبرها بكل ما حدث وما يفكر به ولكنها لم تصدق



حرفًا مما قاله فأجابها معتذرًا:

- لديك كل الحق فى عدم تصديقي وأنتِ على حق أننى إنسان انتهازى مغرور لا أريد أى شىء فى هذه الدنيا إلا المال، ولكنى أصبحت لا أضمن مكسيم بعد الفشل الذريع الذى منى به، وكل ذلك من أجل تلك المومياء الملعونة.. نعم يا إلينا فالمومياء ملعونة جعلتنى أفقد فلاديمير وكوربكاكوف وديمترى والخاندرو ما بين قتيل أومحروق أوأعمى...

-وأنت الآن أتيت إلىّ زاحفًا مثل الكلب لإنقاذك من تلك اللعنة.

- لم يعد يهمنى شىء يا إلينا، كل ما أريده هو الخروج من هذا الموضوع الملعون بأقل خسائر وأكبر مكسب.

- و لِمَ وأنت لديك سيدك مكسيم الذى أصبحت مثل الكلب الذى يلهث ورائه..

- أوافقك أننى كنت كذلك، لكن مكسيم لوح لى بالقتل إن لم أجد حل للتغلب على لعنة تلك المومياء الملعونة، وحتى إن تغلبت على تلك اللعنة فأنا لا أضمنه، لذلك فأنا أطلب المساعدة منكِ..

- تريد مساعدة المصري فهو الوحيد القادر على التغلب على لعنة المومياء ،أليس كذلك ..؟، وتريد أن أصدقك لتسخر منى للمرة الثانية، وأقوم بمساعدتك من أجل تنصيب مكسيم، أليس كذلك..؟

- لا يهمنى ذلك المصرى من قريب أو بعيد، ولا حتى تلك المومياء أو مكسيم أو حتى الجماعة ذاتها فلتنزل لعنة الرب عليها وعلى طقوسكم وكل معتقداتكم الغبية..

- وما الذى تريده إذن..؟

- المال يا إلينا..



- المال..؟!!

- نعم المال، إننى أعرض عليكِ شراء تلك المومياء بالثمن الذى تحدديه..

لم تتكلم إلينا بل نظرت إلى يورى الذى كان يستمع إلى المكالمة عن طريق السماعة الخارجية، وهما لا زالا غير مصدقين سبب تحول اليكسي مرة واحدة، ولكن يورى أشار لها أن تُجاريه لمعرفة هدفه الأصلى.

- إلينا ألا زلتِ معى...؟

- نعم يا اليكسي.. أخبرنى ما السعر الذى تريده..؟

- عشر ملايين دولار يا إلينا.

أطلقت إلينا ضحكة عالية وهى تهتف فى سخرية:

- وهل تظن أنى أملك هذا المبلغ أو حتى تظن أنه بإمكانى الذهاب إلى إيفان ليعطينى إياه لأعطيها لك بكل برود متمنية لك التوفيق..

- إلينا.. انظرى إلى مستقبل الجماعة الذى أصبح بين يديكِ.. فأنتِ فى سبيلك للحصول على تلك المومياء الملعونة واستكمال طقوسكم ومراسمكم الغبية لتنصيب الزعيم الذى ستختاروه سواء كان مكسيم أو إيفان ليتولى الزعامة الدينية مرة أخرى ويعيد مجد خاليستى وروح راسبوتين، أتبخلين بعشر ملايين دولار مقابل تلك المومياء..؟

- لا أستطيع جمع كل هذا المبلغ يا اليكسي فكن واقعياً..؟

- ما المبلغ القادرة على جمعه إذن..؟

- أستطيع أن اجمع لك ثلاثة ملايين فقط هى من مالى الخاص..؟

- ماذا ..؟!!، ثلاثة ملايين فقط..؟، كلا بالطبع، أعتقد أنك لو أخبرتى إيفان بعرضى فسيدفع ضعف هذا المبلغ .

- كما تشاء، ولكن فى غضون دقائق سوف أكون قد أخبرت مكسيم



بكل تلك المحادثة وأنت تعرف أنه قادر على قتلك بدم بارد، ولتذهب المومياء إلى الجحيم، فقد نجى إيفان من مكائدكم وسيصبح زعيم للجماعة دون أدنى مشكلة حتى بدون تلك المراسم التى ستتم يوم السبت، هذا إن تمت طبعًا فى ظل تلك اللعنة..

صمت اليكسي قليلًا محاولًا جمع شتات نفسه ثم أجابها بغضب:

- اللعنة عليك يا إلينا.. متى وأين ..؟

- غدًا فى تمام السابعة مساء فى حديقة اليكساندرا بجوار.....

قاطعها اليكسى فى حنق قائلاً:

- أين تلك الحديقة تحديدًا فأنا لا أتذكرها..؟

- تقع بين مقر الكرملين ومدرسة تعليم الفروسية يا اليكسى، ستجدنى بجوار النافورة التى تقع عند المدخل الجنوبي من شارع يوبتشكين .

- حسنًا فى السابعة مساء يا إلينا..

- انتظر.. كيف سأحصل على المومياء..؟

- سوف أكون داخل سيارة زرقاء اللون، وستكون المومياء معى بداخل تابوت خشبي .

- و ما الذى يضمن لى أنك ستوفى بعهدك..؟

- لا تعطينى الأموال إلا بعد أن تحصلى على المومياء مع أحد رجالك.. أليس ذلك ضمانًا بالنسبة لكِ..؟

- حسنًا.. ولكن أقسم لك يا اليكسي إن رأيت أى خداع منك فسأقتلك بيدى هاتين.

- أخبرتك أنه لا يهمنى سوى المال، والمال فقط.

أغلقت إلينا الهاتف وفى رأسها دارت عشرات التساؤلات، وكان عليها



إخبار جاسر بكل التفاصيل ومحاولة التفكير فى طريقة ما تضمن لهم عدم خيانة اليكسي، وجاسر يهتف:

- والمال.. كيف ستدبرينه..؟

- لا توجد مشاكل فى المال وسوف أحضره قبيل ذهابنا للموعد ولكن ....

أكمل يورى قائلاً:

- ولكن كيف سنضمن ذلك يا إلينا.. دعينى أخبر رجالنا وقد...

قاطعته إلينا بدورها:

- وبالفرض كان أحدهم خائنًا يتعامل مع مكسيم فى الخفاء ثم يقوم بإبلاغه ونخسر كل شىء.

- لن أخبرهم بأى شيء سوى تأميننا فقط..

- لا يا يورى.. فالأمر يجب أن يظل فى طى الكتمان.

- أنتِ عنيدة كالبغل .

تدخل جاسر فى الحديث ليهدئ الأمر بينهما وهو يقول:

- أنا أوافق يورى فى رأيه يا إلينا، نحن لا نضمن ولاء اليكسي وقد....

هتفت إلينا فى عناد:

- سنخطط جيدًا ولن يأخذ المال وهو همه الأول إلا بعد أن ننصرف بالمومياء..

زفر يورى فى توتر قائلًا:

- وكيف ذلك..؟

أشارت إليه إلينا قائلة:



- يـورى أنـت عليـك تأمـين المدخـل الشـمالى قبـل وصولنـا بنصـف سـاعة علـى الأقـل، وسـأتولى أنـا أمـر المدخـل الجنوبـى، أمـا جـاسر فسـوف يذهـب إلى السيارة الزرقـاء ليتأكـد مـن وجـود الموميـاء بداخلهـا، وبنـاء عـلى إشـارة منـه بعـد أن ينـصرف بالسـيارة معـك يـا يـورى سـوف أعطيـه المـال..

هتف يورى فى اعتراض:

- أنا لا أوافق على ذلك، فذلك سيعرض حياتك للخطر..

- ليـس هنـاك أمامنـا إلا المخاطـرة، وسـأخبر إيفـان بكل شـىءالليلة وسـيتولى هـو ورجالـه تأمـين الميدان.

تساءل يورى فى دهشة:

- ولماذا ستخبرين إيفان الآن أوليس...؟

قاطعته إلينا قائلة:

- يـورى.. لسـنا الآن فى مجـال للتسـاؤل، هـل سـتقوم بالتنفيـذ معـى أم أتـصرف وحـدى..؟

هتف جاسر بدوره:

- ليـس وحـدك بالطبـع، سـأكون معـك يـا إلينـا ولـو كانـت تلـك آخـر خطـوة نخطوهـا سـويًا.

زفر يورى في وهو يهتف فى حنق:

- وأنـا أيضًـا معـكِ حتـى ننتهـى مـن تلـك القصـة وهـذه الطقـوس ..أدعـو الله أن تمـر الأيـام القادمـة فى هـدوء..

****



فى تمام السادسة من مساء الجمعة كان جاسر يجلس بالحديقة وقلبه يكاد يتوقف من شدة البرد رغم ملابسه الثقيلة، وبجواره إلينا والتى كانت تدفن رأسها بين يديها فى توتر بينما كانت حقيبة المال بين قدميها.. فرفعت رأسها إلى جاسر الذى كان يرتعد وهو مراقبًا أنفاسه وهى تخرج على هيئة دخان كثيف.. متذكرًا شهر أكتوبر فى القاهرة فى مثل هذه الأوقات :

- أنا آسفة يا جاسر..

- لما تتأسفي يا صديقتى..؟

- لأنى من وضعتك فى هذا المأزق.. لتتورط فى مشاكل ليس لك دخل بها،صدقنى لقد سألت نفسى كثيرًا عما وصلت إليه الآن،لقد أدركت بعد فترة أن يكون لدى الإنسان قضية يؤمن بها ويدافع عنها ويضحى من أجلها بالغالى والرخيص هو ما يعطى لحياته معنى وقيمة، وكلما كانت القضية سامية ونبيلة وعادلة كلما ارتقى فكره وحسه، أما إذا تحول من صاحب قضية لصاحب مشروع يريد استغلاله لتحقيق مجد شخصى فقط، فإن الإنسان ينحدر ليستخدم أحط وأقذر الأساليب، فرق كبير يا جاسر بين أن تكون صاحب فكر وقضية وبين أن تكون صاحب مشروع، فأنا نفسى أتساءل الآن لِمَ لا أدع الجماعة ولتذهب إلى الجحيم؟! فما الذى سيعود عليّ من كل ذلك..؟ حياتنا معرضة للخطر وقد أنفقت ثلاثة ملايين دولار من أموالى الخاصة والزعيمان كل واحد منهم يعيش حياته داخل قصره الفاخر.

- بالمناسبة، ما الذى تم فى مقابلتك صباحًا مع الزعيم إيفان؟

- لا شىء لقد أخبرته بكل ما دار فى الكواليس،وكان فى منتهى السعادة ووعدنى حال حصولى على المومياء أنه سيعطينى المبلغ أضعاف مضاعفة، وسوف يعلن اليوم على أنه حصل على المومياء بمجرد مهاتفتى إياه ،تمهيدًا



للتنصيب غدًا فى مقر سيبلغنى إياه هاتفيًا هو الآخر.. وعندما أخبرته أنى لا أثق فى اليكسي بالكامل طمأنني بأن رجاله لن يتركونا لحظة واحدة ولو اضطره الأمر إلى نشرهم فى الحديقة كلها .

- إذن عليك الاطمئنان..؟

- هل يحدثك قلبك أن الأمر سيكون على ما يرام..؟

- أبدًا.. فلدى من القلق أضعاف مضاعفة ..

- وما أخبار تلك الرؤى التى تراودك..؟

- لم يأتنى منها أى شىء حتى الآن وأحمد الله على ذلك.. عليك الانصراف الآن فربما كان يراقبنا.

- بل أنا على يقين أنه يراقبنا حتى يطمئن أنى وحدى خوفًا من أن أستولى على المومياء وأهرب بهادون أن يحصل على المبلغ.

- وما العمل إذا رأى أحد رجال ايفان..؟، وقتها سيهرب بالتأكيد .

- لا تقلق لن يظهر أحد فى الصورة، الأمور تسير بشكل جيد اطمئن أنت، فقط أخبرنى هل حفظت الطريق الذى لقنتك إياه...؟

- نعم.. سأخرج بالسيارة من الباب الجنوبي ثم أسير إلى آخر الشارع وأترك أول يمين ثم أدخل فى الشارع الجانبي الذى على ناصيته مقهى زيدروف، وبالقرب من الميدان سأجد يورى يقود سيارة إسعاف.

- بالضبط.. وهو يعلم الباقي وستكون معه على اتصال عن طريق تلك السماعة بعد أن يتصل بك على هاتفك فى تمام السابعةإلا بضع دقائق.

- ولكن من سيحميكِ أنتِ..؟

- لا تقلق.. أخبرتك أننى قمت بأخذ احتياطاتى جيدًا، واطمئن فأنا لست وحدى .



لكن ذلك لم يكن ليطمئن جاسر أبدًا، وخاصة مع انقباض قلبه المستمر، فحاول أن يشرح لها أنه فعلًا يخشى عليها من تلك العملية ولكن دون جدوى..

تركته بعد ثلاثين دقيقة وبدأ هو فى التحرك ناحية المكان المقصود..كان يشعر بوخز بسيط فى ذلك الخاتم مما ينبئ بحدوث شيء ما..كم يتمنى لو أنه فهم ما الذى تعنيه تلك الوخزات أو تغير لون فص الخاتم أو سبب تلك النبضات المستمرة..

وأثناء سيره مرتعدًا من الجو القارس فوجئ بكرة تأتى تحت أقدامه وطفلة لا تزيد عن ثلاث سنوات تجرى وراءها، فأوقف الكرة وتناولها وابتسم للفتاة التى بادلته الضحك.. كاد أن يرفعها ليقبلها ولكنه تذكر أنه فى الغرب لو فعل ذلك لاتهموه بالتحرش فورًا، فجلس على الأرض مداعبًا إياها قائلًا:

- كاك فاس زافوت..؟

كان يسألها عن اسمها بالروسية، بعد أن التقط بعض الجمل من إلينا،فردت الفتاة فى براءة:

- جيزن..

أثار الاسم دهشة جاسر.. فوقف حائرًا من تلك المصادفة الغريبة، لتأتى أمها مسرعة وتأخذها من يدها وهى تنظر إليه باستغراب.. ربما لأن ملامحه الشرقية لازالت توحى لهم بكثير من التطرف والإرهاب..

كانت الساعة تشير إلى السابعة إلا سبع دقائق..فتوجه إلى المكان المقصود تمامًا وأخرج هاتفه فوجد أن يورى قد هاتفه أربع مرات.. فقام بالاتصال به:

- جاسر أين أنت لقد هاتفتك...



قاطعه جاسر قائلًا فى توتر:

- معذرة يا يورى فتلك الملابس الثقيلة لا تجعلنى أسمع جيدًا.. أخبرنى هل وصلت أنت إلى مكانك؟

- نعم فأنا فى سيارة إسعاف بيضاء اللون تقف أمام محل جوباتشي تمامًا وأنت..؟

- أنا فى الانتظار.

- لا تقلق وتصرف بشكل طبيعى..كلنا بجوارك ولا تغلق الخط بل قم بتشغيل السماعة اللاسلكية التى أعطتها لك إلينا..

- ندعو الله أن يمر الموقف بهدوء..

- أتمنى ذلك يا جاسر وأعتقد...

كان جاسر فى تلك الأثناء يشاهد سيارة زرقاء تقترب ثم تقف تمامًا من أمام المدخل الجنوبي حيث يقف لا يفصل بينهما إلا أن يقطع الشارع.. فهتف مقاطعًا ليورى:

- يورى لقد وضعت السماعة ..لا تغلق أنت الخط فالسيارة أمامى مباشرة.

وضع الهاتف فى جيبه ووضع السماعة فى أذنه ليخرج من المدخل وتوقف ليعبر الشارع حين لمح اليكسي يخرج من السيارة مشيرًا إليه، ثم يقوم بالالتفاف حولها ليفتح بابها ليشاهد جاسر تابوت خشبي ثم يبتعد اليكسي عن السيارة مشيرًا إلى جاسربالتقدم وفتح الصندوق للتأكد.. فى حين كانت إلينا تقف بداخل الحديقة وهى تشاهد الموقف ككل وفي يدها هاتفها وهى تحدث أحد رجال إيفان الذين كانوا على مقربة من جاسر، والذى كان يشرح لها الموقف بدقة..



شاهدت جاسر وهو يشير إلى اليكسي ويستعد لركوب السيارة للتحرك بها..لكنها فوجئت بتلك السيارة التى تقترب مسرعة من ناحية المدخل لتضعه بين السيارتين ثم يخرج رجلان ليختطفا جاسر ويضعاه بداخل السيارة التى تسير إلى آخر الشارع لتنحرف بسرعة جنونية قبل أن تختفى عن أنظارها تمامًا.. صرخت إلينا وهى تبحث عن اليكسي الذى كان اختفي بدوره.. فخرجت من مكانها سريعًا وهى تتصل بيورى الذى كان هاتفه مشغولاً بالطبع لمحادثته جاسر، حتى دق الجرس وهى تعدو فى طريقها للسيارة المتوقفة على الجانب المقابل.. فأجابت لتسمع صراخ يورى وسط جلبة من الأشخاص فصرخت وهى تهتف باسمه ولكن دون جدوى.. اقتربت من السيارة ووصلت إليها قبل أن يصل إليها أحد آخر من رجال إيفان، ونظرت داخلها لتجد التابوت فحاولت أن تزيح غطائه لترى المومياء لكن ضربة قويه على رأسها أفقدتها الوعى، وقبل أن تغيب عن الوعى رأت اليكسي وهو يتطلع إليها فى تشفٍ وهو يختطف من كتفها حقيبة النقود..

****

كانت الغرفة مظلمة ولم يشعر جاسر بأى شىء من حوله، كل ما يتذكره منذ عدة ساعات هو دخول اليكسي بصوته الأجش مع رجاله وهو يحمل جسدين ليلقون بهم فى الغرفة، ثم يأتى رجاله من بعده ليقوموا بتوثيق الجسدين فى مقاعد خشبية..

لم يتبين الجسدين فقد غطوا رأسه بقناع أسود بالكاد يرى منه بصيص من الضوء.. لكنه شعر أن أحدهما هى جيزن، فحاول أن يصرخ باسمها لكن ضربة شديدة هوت على رأسه مرة أخرى فأفقدته الوعى.. أفاق بعدها على صوت أنثوي يصرخ باسمه ليفيق، وما هى إلا لحظات حتى بدأ يستعيد وعيه ليسمع صوتها إلى جواره فقد كانت هى الأخرى مقيدة.. فحاول أن



يتحدث معها لكن وجد أن يورى يحدثها بغضب، ويبدو بالطبع أنه كان يلومها على ما تسببت فيه ... وما إن هدأ الحديث بينهما حتى هتف بها:

- أنا بخير طمأنينى يا إلينا، كيف حالكم أنتم..؟، وكيف وصلتم إلى هنا..؟

- نحن بخير يا جاسر، لقد خدعنا هذا الملعون وقام بعمل كمين لنا وها هو ....

قاطعها يورى فى حنق قائلًا:

- وها هو نجح فى كل شىء، حصل على النقود وحصل علينا والآن نحن فى انتظار القتل، فهو مصيرنا المحتوم مع ذلك الأحمق.

- اهدأ يا يورى فلو أراد قتلنا ما كان أتى بنا إلى هنا..

- ولماذا إذن أيتها الفيلسوفة..؟، هيا أخبرينا..

- لديك كل الحق فى أن تغضب يا يورى ولكن ثق أننا مراقبان ولن يصمت إيفان على تلك المهزلة.

ضحك يورى بسخرية قائلًا:

- إيفان..؟!!، هل لديك شك أنه لم يهرب الآن إلى خارج روسيا.. ألديك شك أن رجاله كانوا يستطيعون إنقاذكم لولا أنهم آثروا الهروب..؟

صرخ جاسر فيهما قائلًا فى توتر:

- بالله عليكم اصمتا، ليس الآن وقت مشاحنات، علينا التفكير بهدوء لنتوصل إلى كيفية الخروج من هذا المأزق.

هتف به يورى :

- وهل تتصور أننا سنخرج من هنا أحياء.. كل ذلك بسبب تعنت إلينا وعنادها المستمر.



لم تنبث الفتاة بكلمة بل حاولت الاقترب من جاسر بزحزحة كرسيها، لكن دون جدوى مما جعل الكرسي ينقلب دون أن تتمكن من الاعتدال.. وجاسر يهتف بهما:

- أخبرانى هل أنتم معصوبي العينين ..

أجابه يورى:

- لا أنا لست كذلك، نحن فى غرفة بها عدة أدوات بسيطة لقطع الأشجار وتلك الرائحة التى تزكم أنفي تدل على أننا فى غابات روسيا.

صرخت إلينا فى ذعر:

- غابات..؟!!، كيف علمت ذلك..؟

- لسبب بسيط هو أننى لم أفقد الوعى أثناء اختطافى، بل تظاهرت بذلك حتى تم إعطاؤنا تلك الحقنة الملعونة ليتم نقلنا الى بيتروزافودسك.. هذا ما سمعته أثناء نقلى فى تلك السيارة .

- بيتروزافودسك..اللعنة..

هتف جاسر وهو لا يفهم سبب التوتر الذى انتابهما بمجرد ذكر اسم المكان:

- أتمنى أن أفهم سر توتركما المفاجئ هذا، فما سر غضبك عند سماعك اسم هذا المكان يا إلينا.

أجابته إلينا فى عصبية:

- لسبب بسيط.. وهو أن مدينة بيتروزافودسك تقع في منطقة الشمال الغربي من روسيا على ضفاف بحيرة أونيغو، وأغلب المدينة عبارة عن غابات داخل المدينة، والمصيبه أنها تبعد عن مسكفا بحوالى 924 كم، فنحن الآن فى عاصمة جمهورية أخرى..جمهورية كاريليا الروسية.



هتف جاسر فى حنق:

- اللعنة.

فى حين استدرك يورى قائلًا:

- إذن ستتم مراسم حفل التنصيب غدًا فى قصرهم المنيع فى تلك الغابات الملعونة، وبالطبع كان اختيارهم لمدينة بيتروزافودسك بسبب كونها أكبر مصانع لترسانة السلاح الروسية، وبالتالى فمكسيم كان يريد القرب من مناطق نفوذه أكثر وأكثر.

خفضت إلينا صوتها وهى تردف:

- إننا محاصرون، ولكن اسمعا إن نجح أحد منا فى الهروب فعليه أن يتجه إلى مكان مختلف عن الآخر، فلو هربت يا جاسر عليك التوجه إلى كيفاتش...

قاطعها جاسر متسائلًا:

- وما هذا..؟

أجابه يورى قائلًا:

- إنه أكبر شلال فى العالم.

أكملت إلينا :

- من كيفاتش تستطيع الدخول والاحتماء وسط أى فوج سياحى يأتى هنا لمشاهدة البحيرات الروسية، ومن ثم الذهاب الى الفندق ومن هناك تسافر إلى مسكفا، أما أنت يا يورى فتستطيع الذهاب إلى دير سولوفكى فلا يجب أن نتواجد معًا.

هتف بها جاسر متسائلًا:

- وماذا عنك يا الينا..؟



- لا تقلقا علىّ سوف أتصرف ولن أرحل قبل أن أنهى ما بينى وبين اليكسي..

تمتم يورى فى عصبية:

- أنتما تتحدثان وكأنكما هربتما من ذلك المعتقل.. أنتما لم تريا ذلك الحصن المملوك للجماعة من قبل..

هزت إلينا رأسها وهى تردف:

- وأين رأيته أنت يا يورى،فأنا من المقربين إلى إيفان ولم أعلم عنه شيئًا.

- القصر كان ملكًا قديمًا للجماعة قبل أن يتملكه مكسيم ليكون بالقرب من إحدى مناطق نفوذه.. دعكما من هذا الحديث ولنفكر ماالذى ....

قطع حديثه صوت أقدام تقترب من الغرفة، فصمت الجميع،وما هى إلا ثوانٍ حتى دخل اليكسي وبجواره ثلاثة رجال أشداء.. أشعل ضوء الغرفة ثم أمرهم بإزاحة العصابة التى على أعين جاسر وإلينا..وبمجرد أن رأته إلينا حتى بصقت ناحيته صارخة :

- اللعنة عليك أيها الوغد الخائن، لقد أوقعت بنا بسبب عنادى وغبائي، لكننى أقسم لك أنى سأقتلك يومًا ما..

أشار إليها اليكسى وهويعدل من وضع المقعد المقيدة إليه ويبتسم فى سخرية:

- لا ضغائن بيننا يا إلينا، فلو وضعتى نفسك مكانى لفعلتى ما فعلت وربما تصرفتي بالأسوأ.

اعتدل جاسر قائلاً فى هدوء:

- اليكسي.. فلتخبرنا مباشرة عما تريده منا تحديدًا.

ابتسم اليكسي واقترب منه مشيرًا إلى إلينا قائلاً بالروسية:



- أرأيتى يا فتاتى العزيزة، إن هذا الرجل ليس عاديًا.. لم أصدقك فى البداية، ولكنى تأكدت بعد موت أغلب رجالى بسبب تلك المومياء الملعونة.

التف حول جاسر مواجهًا إياه قائلًا بلغة إنجليزية:

- أنت المقصود يا سيد جاسر.. كل ذلك كان من أجل الإيقاع بك فقط.

- ولِمَ كل هذه الألاعيب والخداع..؟

- لأننا لا نملك الوقت يا عزيزى.

هتفت به إلينا فى غضب:

- وما الذى جعلك متأكدًا أننى سوف أرسل لك جاسر فى بداية الأمر..؟

تراجع إليكسى وهو يتطلع إلى إلينا فى برود:

- لعبة ذكاء فقط.. فأنتِ تثقين فى ذلك المصري وفى قدراته، وبالطبع هو الشخص الوحيد الذى استطاع الاقتراب من المومياء والتعامل معها، لذلك كنت أثق أنكِ ستحضريه للمكان المحدد ليرى إن كنت جئت بالمومياء المطلوبة أم لا، ثم توقعت بالطبع أن يقود السيارة إلى مكان ما وا...

هتفت به إلينا فى شك:

- اليكسي أنت لست أبدًا بهذا الذكاء، أخبرنى كيف علمت بكل تحركاتنا..

ضحك اليكسي وهو يقترب منها قائلاً:

- من أحد رجال ذلك العجوز الخرف الذى قابلتيه صباحًا أيتها الحسناء.. بمجرد تخطيطك مع ذلك الأحمق لم تمض نصف ساعة حتى كان يخبرنى عن كل ما تخططين له.

- اللعنة.. من ذلك الكلب..؟، أنت لن تخبرنى بالطبع.



- ولِمَ لا..؟، إنه جياروفيتش..ذلك البلغارى الصلب.

هز يورى رأسه قائلاً:

- ولِمَ تخبرنا بذلك يا اليكسي..

ضحك مرة أخرى وهو يشير إلى يورى متطلعًا إلى إلينا:

- عجيب جدًا يا إلينا، فرفاقك اليوم يمتازون بسرعة بديهة عالية.. المهم.. دعينا نتكلم فى الموضوع الأهم.

ثم اقترب من جاسر الذى كان لا يزال مقيدًا قائلًا

- أنت الآن مَن بيديك خلاصهم يا عزيزى، الموضوع باختصار أنك من ستقوم بنقل المومياء إلى مقر الاجتماع لنبدأ المراسم وسوف تظل بجوارها حتى ننتهى من حفل التنصيب، وبعد ذلك ستقوم سيارة خاصة بنقلكم خارج الحدود أنتم الثلاثة، فما قولك..؟

هتفت إلينا بجاسر وهى تحاول التخلص من قيودها:

- لا تصغى إليه يا جاسر، إن مصيرنا معروف من قبل، وتلك العصابة ستقتلنا مع أول فجر جديد بعد التنصيب، فلابد من التضحية بدماء.

هتف جاسر:

- ولكن....

أشار إليه اليكسى فى برود:

- لا تتحدث الآن يا صديقي، فلو أردنا قتلكم لقتلناكم، سأتركم للغد.. فحفل التنصيب سيكون فى تمام التاسعة مساء... فكر فى الأمر جيدًا يا جاسر، إننا لا نريد منك شيئًا خارقًا، كل ما نعلمه أنك على صلة ما بذلك السحر الأسود.. ولأصدقك القول، فأنا لم أصدق فى بداية الأمر حتى تيقنت أنك الوحيد القادر على إزالة تلك اللعنة التى تجعلنا غير قادرين على فتح



ذلك التابوت حتى..فأنت من لديك السر ولديك القدرة على إنهاء تلك اللعنة.. كل ما ستريده ستحصل عليه بمجرد انتهاء التنصيب.. لا تفكر فى أنك تستطيع الرفض، لأنك ستتعاون معنا فى جميع الأحوال، ولكن تعاونك دون أن تضطرنا لإقناعك أفضل من الوضع لو فعلنا.. سنمر عليكم فى الغد لنقلكم إلى قصر مكسيم لاستكمال المراسم..لا تتكلم الآن، ستتقابل فى الغد .

تركه اليكسي مغادرًا مع رجاله، بينما ظل الثلاثة فى انتظار الغد الملعون..

****



(14)

تبًا لذلك الفراق الذى يقتل فى القلب الحياة لتبقي الروح وحيدة تدور فى تلك المتاهة التى لا تنتهى

تذكر حبيبًا ترك فراغًا لن يملأه غيره فى قلب أصبح مهجورًا كمدينة أشباح تحرسها نبضات مأسورة

لا تنبض الا للذكرى.



السبت 13 أكتوبر اليوم الموعود

كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا عندما كان الثلاثة يستقلون سيارة دفع رباعى بحرس خاص تسير بسرعة كبيرة بالقرب من الغابات متجهة إلى قصر مكسيم بالقرب من منطقة البحيرات الروسية، وما هى إلا دقائق حتى مروا بالقرب من منطقة شلالات كيفاتش.. وعلى الرغم من مصيرهم المأساوى إلا أن جاسر كان يستمتع بكل ما يراه أمامه من نافذة السيارة، وكزته إلينا فى كتفه قائلة بحزن:

- هنا يا جاسر.. إن قُدر لك الخروج فعليك أن تكون فى هذا المكان.

- كيفاتش أليس كذلك...؟

- نعم.. وعليك أن تتذكر جيدًا ما أوصيتك به، عليك تذكر الأسماء والمحطات والأماكن جيدًا

- لا تخافي لقد ظللت عدة ليال حتى حفظتها عن ظهر قلب، ولكن ما بك..؟، لماذا تبتئسين بهذا الشكل.. سوف نخرج منها سويًا..

ابتسمت ولكنها لم ترد عليه بينما التفتت ناحية يورى محاولة التحدث معه فوجدته يعبث فى ساعته متوترًا هو الآخر، وبينما انبرت مع يورى فى أحاديث جانبية، كان جاسر يبدو أنه فى عالم آخر فقد شعر ببدزميران داخل رأسه مما جعله يتأوه بضعف واضعًا يده على رأسه متمتمًا بينه وبين نفسه بصوت غير مسموع:



- سيدى أين أنت..؟، كنت أعلم أنك ستصل، ولكنك تأخرت علىّ والأمور صارت من سيئ إلى أسوأ، ويبدو أننا فى طريقنا إلى حتفنا.

سمع صوتًا يتردد داخل رأسه:

- ومن قال لك أنى تركتك منذ دخولك إلى تلك المقبرة الملعونة واحتضانك لجسد الأمير «سي أوزير».. أتظن أنى لو لم أكن بجوارك أكنت تستطيع الخروج بذلك الخاتم الذى أصبح يزين إصبعك..

- إن هذا الخاتم.....

- صه لم آتى أيها الإنسي للتحدث عن الخاتم.. أنا هنا لأخبرك أن عليك التخلص من تلك المومياء إلى الأبد..

- نعم يا سيدى.. ولكن لا أحد يستطيع الاقتراب منها ولن...

- أخبرتك من قبل أنه لن يمسها أحد غيرك.. أنت مقدر لِمَ خلقت له منذ آلاف السنوات.. وتلك مهمة قد وكلناها إليك، عليك فقط إكمالها والقيام بما هو مقدر لك.. وأنت بأمان فلا تقلق طالما لم يتلون خاتمك بلون الدم الأسود..

- هو هكذا إذن.. هل له دور فى حمايتى من المومياء..؟

- أخبرتك من قبل فلاداعى لتتساءل كثيرًا.. ستتقابل بعد انتهائك مما قدرناه لك.. الخلاص بيدك.. تذكر.. أنت فى موقف قوة.. هم من سيحتاجون إليك.. لا تضعف أنت الأقوى..

ترددت الكلمات الأخيرة فى أذن جاسر عندما توقفت السيارة ليتقدم الحراس ويخرجوهم بالقوة من السيارة:

- أنت فى موقف قوة.. هم من سيحتاجون إليك.. لا تضعف أنت الأقوى.. أنت فى موقف قوة.. هم من سيحتاجون إليك.. لا تضعف أنت الأقوى...



بعد مرور ساعة بالضبط كان الجميع يجلسون فى داخل غرفة فسيحة وأمامهم مكسيم الذى تطلع إلى جاسر الجالس على أريكة أمامه، أما التابوت فقد وضع على منضدة خشبية وبجواره وقف رجلان مدججان بالسلاح، بينما كانت إلينا ويورى فى آخر الغرفة مقيدين وهما ينظران إلى التابوت.. فى حين كان اليكسي جالسًا بجوار مكسيم وهو يفرك يديه فى عصبية.. وجاسر يتحدث بهدوء إلى مكسيم:

- هذه شروطى يا سيد مكسيم وإلا أقسم لك أنى لن أتحرك من مكانى شبرًا واحدًا، ولو ظلت تلك المومياء الملعونة ألف عام ولتذهب طقوسكم وحربكم وجماعتكم إلى الجحيم..

أشعل مكسيم سيجارته فى عصبية واضحة وهو ينظر إلى اليكسي نظرات ذات مغزى موجهًا حديثه لجاسر:

- أنت لا تفهم يا سيد جاسر، أنت هنا ليس لإملاء شروطك علينا، فالوقت يداهمنا، وكن على ثقة أنك ستتعاون فى كل الأحوال شئت أم أبيت، فلا داعى لكل تلك الأفعال..

- لقد أخبرتك بكل شروطى ولن أتحدث مرة أخرى فى هذا الشأن..

كان الوقت فعلاً قد بدأ يداهمهم، وخصوصًا أن الصالة الكبرى الموجودة بالقصر كانت قد بدأت تستقبل الأعضاء تمهيدًا لبدء المراسم فى التاسعة مساء، مما يعنى أنه لم يتبقَ سوى ثلاث ساعات ونصف فقط ويجب إحضار المومياء إلى المنضدة المقدسة بجوار الفتاة الحبلى التى كانت تصرخ فى هذا الوقت..كان مكسيم ينقل بصره ما بين جاسر والمومياء واليكسي.. ومرات نحو إلينا التى لم تتوقف عن السب ويورى الذى كان ينتظر شيئًا ما لكنه لم يحدث...

هز مكسيم رأسه فى يأس ثم اقترب من اليكسي مشيرًا إليه بعينيه



ليتصرف.. وبالفعل اقترب من جاسر ثم هوى بقبضة يده على وجه جاسر المقيد والذى انفجرت الدماء من أنفه حتى لوثت قميصه.. فتغيرت ملامح جاسر إلى الملامح الشيطانية وأصدر ضحكة عالية، مما آثار ضيق مكسيم واليكسي الذى هوى بقبضته مرة أخرى على وجه جاسر، لكن الضحكات زادت بشكل شبه هستيرى.. مما جعل اليكسي يتوقف فجأة وهو ينظر إلى إلينا التى كانت تصرخ عليه بالتوقف عن إيذاء جاسر، فاقترب منها جاذبًا إياها من شعرها ناحية جاسر الذى كان وجهه مغطى بالدماء، ولا يزال على ضحكاته وملامحه الغريبة.. ثم أخرج مسدسه ليضعه على جبهتها صارخًا فى جاسر:

- أقسم لك إن لم تتقدم الآن وتفتح هذا التابوت الملعون سأقتلها أمامك الآن ..

وقف جاسر على قدميه وقد تلون وجهه للون الأسود تقريبًا وتحول الى ملامح شيطانية مرعبة وتبدلت الضحكة إلى ما يشبه الحشرجة، ثم فوجئ الجميع بصوت غريب يخرج منه قائلاً وبلغة روسية وسط رعب كل الحضور بما فيهم يورى وإلينا:

- أنا فى موقف قوة.. أنتم من ستحتاجون إليّ.. لن أضعف.. أنا الأقوى.. أنا الأقوى..

أبعد اليكسي المسدس عن جبهة إلينا التى كانت تنظر إلى جاسر فى ذهول بينما تحولت ملامحه إلى اللون الطبيعى، وهو لا يدرى ما تلك الكلمات التى خرجت من فمه،بينما اقترب مكسيم منه قائلاً بروسية هو الآخر وهو ينظر مباشرة فى عينيه:

- لم أعلم أنك تتحدث الروسية.. وإن كنت لا تتحدثها فهذا أمر غريب ولكنى أصدق كل ما تفوهت به.. أنت الأقوى الآن.. سنقوم بتنفيذ كل طلباتك..



قاطعه اليكسي قائلاً:

- سيدى.. لا زال لدىّ من الوسائل التى ستجعله .....

قاطعه مكسيم بغضب هائل هو الآخر :

- صه أيها الغبي.. ولا تخرج ذلك المخلوق الكائن فى أعماقه.. فلتنفذ له ما أراد فحسب.. جهز سيارة تنقل إلينا ويورى إلى خارج القصر ومن هناك دعهم يرحلون ..

- يرحلون..؟!!، ولماذا قبضنا عليهم منذ البداية يا سيدى..؟

صرخ مكسيم بغضب فى اليكسي:

- قلت لك لا تقاطعنى أيها الغبي، أنا لست على استعداد للخسارة أبدًا، والانتظار لسنوات وسنوات أخرى قد لا يتحقق معها حلمى أبدًا، فإما أن تصمت وتنفذ أوامرى أو تغرب عن وجهى ولا أراك أبدًا.

نكس اليكسي رأسه فى خضوع بينما اقترب مكسيم من إلينا وهو ينظر إليها واضعًا يده على وجنتيها فى حنان:

- أتعلمين يا إلينا لو لم نكن فى هذا الموقف السيء لكنت وددت أن تكونى بجوارى دائمًا، فأنا لا زلت أكن كل احترام وتبجيل لوالدك الراحل.. لا تكرهينى بالله عليك ربما هى أقدارنا التى تجعلنا نأخذ خطوات فى حياتنا ونندم عليها بعد فترة.. أرجو أن تقبلى اعتذارى يا بنيتى ولكنها تلك التقاليد التى تلزمنى أن أقوم بما كنت سأقوم به.. ستخرجين الآن مع يورى فى سيارة خاصة إلى المكان الذى تريدينه ثم تقومى بالاتصال بهذا الرجل بعد ساعة كما أخبرنا لتبلغيه أنكِ بخير، ووقتها سيقوم بمساعدتنا..

كانت قد تم حل قيدها فاقتربت من جاسر لتهمس له وهو تنظر إلى عينيه مباشرة :



- جاسر أتتذكر أسماء كل الأماكن التى أخبرتك بها...؟، الأمور ستمر على ما يرام لا تقلق أو تخاف سأكون بجوارك دائمًا.

ابتسم جاسر لها قائلاً :

- أنا لا أخاف فأنا الأقوى.. هم من يحتاجون إلىّ ..

- إن عينيك غريبة الشكل يا جاسر، لكنى سأدعو الله بنجاتنا..

جذبها اليكسي من يدها فهوت بيدها على وجهه، حاول أن يهوى بيده على وجهها كما فعلت لكن مكسيم أمره أن يخرجهما فورًا.. وبالفعل خرجوا من الغرفة بعد أن تطلعت إلى جاسر مباشرة..

ظل جاسر فى الغرفة بعد أن حضر إليه طبيب خاص ليضمد جراحه ويقوم بتدبيس حاجب جاسر بعد أن أصابه اليكسي بسبع غرز كاملة فيه..

وبعد أربعين دقيقة تقريبًا تلقى جاسر الاتصال الذى كان ينتظره فقد أخبرته إلينا أنها بأمان الآن هى ويورى كما أخبرته أنها لن تتخلى عنه أبدًا..

أشار لمكسيم أن يعلن عن بدء الطقوس، فقد اقتربت الساعة من الثامنة وعليه أن يتصرف.. واستدعى حارسين بجوار الباب ليرفعا التابوت ونقله إلى مقر الاجتماع فى الأسفل.. وبالفعل سار الجميع ومن خلفهم جاسر الذى كان يضع يده مكان تقطيب جرحه متألمًا وهو يتذكر كيف سيتم حرق تلك المومياء وسط كل تلك الحراسة المشددة تنفيذًا لأوامر بدزميران.

****

سار الجمع حتى وصل إلى البهو الخارجى لينحرفا إلى مدخل جانبي سارا فيه حوالى عشرين مترًا ثم عرجوا مرة أخرى إلى اليسار ووقفوا أمام بابين كبيرين، وما إن رآهم الحراس حتى قاموا بفتح الباب وبمجرد دخولهم وجد جاسر أن البهو عبارة عن مكان فسيح جدًا يشبه إلى حد كبير صالات الكنائس الكبرى وبه عدد كبير من الأعضاء الذين قاموا احتراماً لمرور المومياء..



سـار الجميـع حتـى وصلـوا إلى صرح الكنيسـة الـذى يرتفـع لعـدة درجـات فـلـم يصعـد الحـرس بـل ناولـوا التابـوت إلى ثلاثـة مـن رجـال الديـن الذيـن أمسـكوا التابـوت ليضعـوه على منضـدة خشبية بعيـدة تمهيـداً لفتـح التابـوت.. لم يسـمحا لجاسر بالصعـود الآن، فجلس بالصـف الأول، وكان بجـوار مكسيم الـذى ارتـدى عبـاءة سـوداء اللـون ومـن خلفـه كان اليكسي وبعـض حـرس مكسـيم الأشـداء..

كان الأمـر كلـه يدعـو إلى الجنـون وخاصـة عندمـا بـدأت أضـواء البهـو فى الخفـوت تدريجيًـا، بينـما اقـترب الثلاثـة رجـال مـن المجمـرة التـى كان يتصاعـد منهـا رائحـة بخـور قويـة، اسـتنتج جـاسر أنهـا نـوع مـن المخـدر القـوى ومـن خلـف المجمـرة كان هنـاك سـتارة سـميكة زرقـاء اللـون.. ثـم أشـاروا إلى جاسر بالتقـدم فـلـم يفهـم مـا يريدونـه فاقـترب مكسـيم مـن أذنـه قائـلاً بإنجليزيـة :

- دورك يـا سـيد جـاسر.. لقـد حققـت جميـع مطالبـك وعليـك الآن تنفيـذ وعـدك.

نظـر جـاسر إلى مكسـيم الـذى شـعر أنـه يتمايـل ويسـير بصعوبـه لكنـه كاد أن يهـوى مـرة أخـرى فسـنده مكسـيم وقتهـا تأكـد جـاسر أن تلـك المبخـرة الملعونـة تحتـوى بالفعـل عـلى مخـدر مـا كطقـس ملعـون ممـا كان يقـوم بـه ذلـك الملعـون راسـبوتين..

تحامـل عـلى نفسـه وقـام بالصعـود إلى المسرح وهـو يتطلـع إلى رجـال الديـن، الذيـن أشـاروا إليـه بالتقـدم إلى التابـوت.. فتقـدم بهـدوء إلى التابـوت واقـترب مـن الغطـاء الخشـبي ليرفعـه بـكل هـدوء ليجـد تلـك المومياء المسـكونة تقبـع فى التابـوت.. شـعر وقتهـا أنهـا تنظـر إليـه أو تتحـرك حتـى تهـرب مـن تحـت قبضتـه لكنـه ابتسـم رغـمًا عنـه.. ورغـمًا عنـه أيضـاً تحولـت الابتسـامة إلى قهقهـة وسـط دهشـة رجـال الديـن الذيـن لم يجسروا عـلى التقـدم كـما أخبرهـم مكسـيم.. كان



جاسر يشعر أن المومياء تصغر وتجرى بداخل التابوت وهو يجرى ورائها حتى تَمَلّك منها أخيرًا.. فرفع المومياء بهدوء كمن يحمل طفلًا صغيرًا واقترب من المكان المطلوب منه أن يضعها فيه وبالفعل وضعها على المنضده بجوار المبخرة تمامًا وقتها استند إلى الجدار ولم يشعر به أحد.

كان كل همهم هو البدء فى تلاوة الصلوات وعند بدايتها وقف الجميع ليبدأوا فى ترديد صلوات معينة بأصوات جهورية وهم يشيرون إلى المومياء وكلما ازدادت الصلوات كلما انزاح جزءًا من تلك الستارة حتى تم فتحها أخيرًا.. وبمجرد فتحها رأى جاسر فتاه تحت تأثير المخدر ترقد بهدوء على مائدة العمليات ومن فوقها عدة مصابيح قوية وبجوارها أدوات الجراحة.. وبمجرد إزالة الستارة بالكامل ظهرت هناك صورة كبيرة لراسبوتين نبيهم المزعوم ووقتها تم إظلام كل المسرح..

ابتعد جاسر عن مكان العملية خوفًا من رؤية الدماء بينما صعد مكسيم إلى المسرح وقد تسلطت عليه الأضواء وهو يقف على مكان بالقرب من منضدة العمليات قائلًا وسط الجموع :

- أصدقائى الأعزاء.. فى مثل هذا اليوم الثالث عشر من أكتوبر عام 1992 وقف زعيمنا الخالد ميخائيل انطونوف ليشهد مراسم ميلاد الابن المنتظر.. ولحظة حلول الروح العظيمة لنبينا نبي الشيطان .

وسوف أبدأ بكلماته الخالدة التى أود إعادتها على أسماعكم قبل أن يسقط الجميع صرعى بعد هجوم الشرطة الروسية..لقد قال الزعيم الخالد تلك الكلمات ... اليوم يا أبنائى سنشهد على أهم حدث لأبناء جماعتنا.. وهو ميلاد الابن المنتظر ..ابننا منذ آلاف السنوات.. مخلص العالم.. إن جماعتنا الدينية يا أبنائي منذ نشأتها على أيدى الأب راسبوتين المعظم وهى لازالت تلاقي أشد حالات الإنكار والاتهامات والظلم، لدرجة أن من يُشتبه فقط



بانتمائه إلى ما هو خاليستى الطائفة، يتم قتله فورًا تبعًا لأوامر المخابرات الروسية.. أيوجد ظلم أكثر من ذلك..؟، إنهم لا يعلمون أننا سنحكم العالم.. سنحكم كما أراد المعظم راسبوتين.. سنجعلهم يذرفون الدماء بدلًا من الدموع مقابل سنوات القهر والظلم والقتل التى عاشوا فيها فسادًا على مدار العقود الماضية.. لقد حانت أخيرًا لحظة ميلاد الحقيقة يا أبنائي.. لحظة ميلاد نبي الشيطان الذى سيأتى إلى هذا العالم ويحكمه لقرون عديدة بعد أن يبلغ عامه الحادى والعشرين فى مثل هذا اليوم.. هذا النبى سيظهر من رحم تلك الأم المقدسة العذراء ليكون أخيرًا ميلاد ابن الشيطان الأعظم فى هذا اليوم المقدس فى الثالث عشر من أكتوبر نفس تاريخ ميلاد معلمنا ومرشدنا راسبوتين ليملك قوة الشيطان الخارقة من أبيه وقداسة أمه العذراء، وأذكركم فى مثل هذا اليوم بعد واحد وعشرين عامًا سيتم معمودية مرشدنا الروحى القادم والذى سيتم على يديه إعادة مجد معلمنا الأوحد راسبوتين، وبمجرد إتمام المراسم وميلاد الطفل ستحل الروح المقدسة فى هذا الطفل المقدس .

استمر مكسيم فى الشرح وتلاوة بعض الصلوات ومن خلفه كان الجميع فى نشوة بالغة بما فيهم جاسر نفسه الذى انشغل الجميع عنه، وبينما وهو جالس كان هناك من يهمس باسمه بجواره تمامًا.. حاول النظر لكن الظلام لم يمكنه من رؤية أى شيء فاقترب من المكان ليجده حاجز خشبي مفرغ ومن خلفه كان يجلس الشخص الذى يريد الاعتراف مما جعله متأكدًا أن المكان كان لكنيسة ما.

- جاسر.. اقترب ألا تعرفنى ..؟

لم يصدق جاسر نفسه عندما وجد إلينا فى هذا المكان الضيق وبجوارها يوري.. فنظر جاسر من حوله ليتأكد أنه لا يراه أحد ما ثم التف حول الحاجز الخشبي قائلاً فى دهشة:



- اللعنة.. لماذا أتيتم..؟، ألم تخرجا بعيدًا عن هذا القصر الملعون..؟

- يورى كان على دراية بتفاصيل القصر وبمجرد أن خرجنا منه وأصبحنا بعيدًا عن أنظار رجال مكسيم عدنا إلى أحد السراديب السرية التى أفضت بنا إلى بهو الكنيسة ذلك.. لقد أخبرتك أنى لن أتركك والآن هيا فلتهرب من هذا المكان مع يورى .

- لن أتركك إلا بعد أن نهرب سويًّا ..لا داعى ل.......

قاطعته إلينا فى ضجر:

- صه.. إن هناك من الأمور ما لم تحسم بعد، وسوف يبدأ العرض خلال دقائق، انصت إلىّ سوف تخرج مع يورى عن طريق أحد السراديب القريبة.. هيا يا جاسر..

- أخبرتك أننى لن أتحرك إلا ....

كان يورى فى هذا الوقت يتحدث عن طريق الهاتف المحمول لإبلاغ الجانب الآخر بضرورة التحرك فورًا.. وما إن انتهى من حديثه تحرك بخفة نحو إلينا وجاسر قائلًافى حنق:

- أما زلتما تتحدثان هيا أخرجا الآن من فضلكما..

هتفت إلينا متسائلة:

- لمن كنت تتحدث يا يورى ..؟

- إلينا ليس ذلك من شأنك بالله عليكِ اخرجى الآن سوف تسيرين من هذا الجانب لتعرجى يميناً ثم..

قاطعته إلينا وهى تخرج من بين طيات ثيابها مسدسًا وجهته ناحية يورى قائلة فى تحدٍ:

- مع من كنت تتحدث الآن أيها الخائن..؟



اندهش جاسر من تحول الأمر وفزع إلينا وابتسم يورى باستهزاء وهو ينظر إلى جاسر قائلاً بعصبية:

- يبدو أن صديقتك جُنت يا جاسر.. أنا فقط..

وفجأة أشهر سلاحه هو الآخر فى وجه جاسر قائلًا بغضب موجهًا حديثه إلى إلينا:

- أيتها الحمقاء.. أقسم لكِ إن لم تتحركى الآن لتخرجا من تلك الفتحة سأقتل صديقك هذا على الفور..

نظرت إلينا إلى المسدس المشهر فى وجه جاسر، ومسدسها فى وجه يورى وفجأة دوى إنفجار فى الباب الخارجى أعقبه إطلاق نيران وما هى إلا لحظات حتى تم عودة التيار الكهربائى لتغمر الأضواء المكان مرة أخرى ويفاجأ الجميع بدخول إيفان الزعيم الأصلى للجماعة ومن خلفه عشرات من الأعضاء والحرس الخاص به وبجواره كان ابنه ذلك النبى المزعوم الممسوس ..

لم تصدق إلينا نفسها عندما شاهدت تحول الأمر ووصول إيفان وكل من الأعضاء القدامى الذين لم ينجح مكسيم فى استمالتهم نحوه.. قفز بعض من الحراس إلى المسرح ليلقوا القبض على مكسيم الذى كان مذهولًا من تغير الموقف تمامًا.. حاول البحث عن اليكسي لكنه وجده ملقى على الأرض وبجواره أحد الحراس يصوب سلاحًا آليًا على رأسه..

صعد إيفان وسط مساعدة الجميع إلى المسرح وما إن صعد حتى وقف كل من بالقاعة احترامًا وتبجيلاً مرة أخرى وبدأوا فى الهتاف بحياة الزعيم إيفان وإلقاء اللعنات على مكسيم الخائن..كانت إلينا لا تصدق نفسها فخرجت من مخبأها سريعًا لتنظر بتشفٍ إلى اليكسي الذى اندهش من صعودها فجأة على المسرح.. بينما ذهبت سريعًا إلى إيفان لتحتضنه فى حين وقف جاسر غير



واعٍ لكل ما يحدث..كان يشعر أنه داخل تمثيلية ما، فهو لا يعى أى حرف مما يدور حوله، كان فقط لديه مهمة واحدة هى حرق المومياء.. لكن هل تقبل إلينا ذلك..؟، هل إذا لمحته يقوم بتلك الفعلة ستتركه.. كان بين نارين هل ينفذ كلام بدزميران أم يهرب ويترك الأمر كما هو، وخصوصًا بعد نجاح إلينا ورفاقها فى استعادة زمام الموقف ككل..؟، وفى وسط الأحداث انتبه لعدم صعود يورى إلى إلينا، فنظر إلى حيث كان يقف فلم يجده.. تفقده بنظره فى أنحاء تلك القاعة المجنونة فوجده مستترًا فى أحد الأركان القريبة شاهرًا مدفع آلى سريع الطلقات نحو أحد ما على المسرح.. نظر سريعًا إلى إلينا فوجدها فى مكان آخر، وما هى إلا لحظات حتى دوى صوت إطلاق النيران..

فتح جاسر عينيه على مصراعيها وهو يشاهد تلك المذبحة.. خمس ثوانى فقط مرت كأنها دهر وأمامه كان إيفان يسقط مضرجاً فى دمائه وبجواره مكسيم وكذلك رجال الدين الثلاثة.. وقفت إلينا تصرخ وهى تجثو على الأرض بينما ساد الهرج والمرج فى أرجاء المسرح، وسمع وقتها انفجار ضخم فى الخارج..

كان يقف بالقرب من مكان المومياء، فأمسك شعلة كانت موضوعة داخل المبخرة وأسقطها على المومياء التى ما لبثت أن اشتعلت النيران فيها سريعًا، وقتها أقسم جاسر أنه وجد شيئًا ما أسود اللون يخرج صارخًا منها ملتويًا إلى الأعلى.. بعد أن اشتعلت النيران فى جميع من كان فوق المسرح

أفاق على جسد إلينا وهى تلقي بنفسها فوقه وسط النيران التى أصبحت تحيط بهم من كل جانب.. وصراخ الجميع وسعالهم من قنابل الغاز المسيلة للدموع..

لم يشعر إلا وهى تجذبه من يده سريعًا إلى خلف الحاجز الخشبي الذى زحفا إليه وسط جحافل الشرطة الروسية التى اقتحمت المكان..



ولكـن للأسـف لم تكـن وحدهـا مـن انتبهـت للحاجـز فقـد تبعهـم اليكسي وعينـاه تـكاد تنفجـران مـن الغيـظ،كان الممـر خلـف الحاجـز الخشـبي ضيـق ويمتـد إلى عـدة أمتـار ثـم ينحـرف بزاويـة قائمـة إلى اليسـار خلـف المسـرح المنصوب، وكانت إلينا تحاول أن تتذكر كيف دخلته لكنها للأسف اكتشفت أنها سارت إلى غرفة خطأ، فعادت مرة أخرى مع جاسر وسارا فى الاتجاه الصحيح، لكن تناهى إلى مسامعها صراخ فلاديمير ابن إيفان..فتوقفت فجأة وهى تنصت جيدًا فقد كان الصراخ أقرب لها مما تتخيل..

و فى غرفة مجاورة كان اليكسي يحاول الهروب خلف إلينا ليقتص منها بعدما حدث بعد أن اجتاحت جحافل الشرط الروسية المكان وإطلاقها النيران على كافة الأعضاء لتقضي للأبد على تلك الجماعة، ولكن فى طريقه وجد فلاديمير يقف أمامه فجأة.. وكان الحلم الذى طالما حلمه اليكسي بالقضاء على ذلك الشاب الممسوس قد تحقق أخيرًا،أطلق اليكسي رصاصه من مسدسه فلم تصب فلاديمير إلا فى بطنه مما أثاره أكثروما هى إلا لحظات حتى كان الاثنان يشتبكان فى قتال طاحن..كانت الغلبة فيه لفلاديمير الذى نجح فى كسر قدم اليكسي الذى كان يصرخ من الألم بينما الآخر كان يحاول فقط الوصول إلى رقبته أو وجهه لفقوء عينيه..فى حين كانت دماء فلاديمير تسيل بغزارة ..

انتاب اليكسى الرعب بشدة وهو يتذكر ما فعله بالقس وهو يهاجمه ليجلس على ظهر اليكسي جاذبًا أقدامه إلى أعلى وسط صراخ اليكسي الذى حاول أن يصل إلى سيخ حديدى موضوع بالقرب من مدفأة قديمة والذى وصل إليه بالفعل ثم ما لبث أن غرزه بكل قوة فى رقبة فلاديمير الذى وقف صارخًا بينما انتهز اليكسي الفرصة ليخرج وهو يعرج على قدميه إلى الجهة الأخرى غير التى أتت منها إلينا.. التى دخلت هى وجاسر بعد عدة دقائق لترى فلاديمير وهو يشير إليها فى توسل فصرخت هى الأخرى لتجلس إلى جواره باكية ..



اندهش جاسر من ذلك الشاب الأمهق الذى تبكى عليه إلينا بحرقة.. وهو بين سكرات الموت متمتمًا بعدة كلمات إليها وهما يتحدثان بلغتهم التى لم يفقه منها شيئًا..كان فقط يريد الاطمئنان على ما يحدث داخل المسرح حيث هذا الدخان الذى يصل إليه مع الصرخات المتعالية وطلقات النيران، بعد أن تأكد أن المومياء قد أصبحت متفحمة وأنه قد أنجز مهمته فى نجاح.. حاول أن يبدو متأثرًا وهو يقترب من الشاب الذى كان فى طريقه للموت فأمسك يديه التى كانت فى برودة الثلج فاقشعر بدنه أكثر لكنه نظر إلى جاسر فى راحة كمن ذهب ألمه وابتسم له وبعد لحظات فارق الحياة ..

توقفت إلينا وهى تمسح دموعها لتهتف فى مرارة:

- اليكسي.. ذلك الملعون اليكسي.

- إلينا ..ليس ذلك وقته ..علينا الهرب حالًا.

وجذبها من يدها ليخرجا سريعًا من الغرفة ليستمرا فى الركض.. كانت تنظر إلى الممر الممتد أمامها وهى تتوقع أن يظهر اليكسي بين الحين والآخر.. وبالفعل فى أحد الأماكن الجانبية وجدت اليكسي مكومًا مستندًا إلى أحد الجدران منتظرها وهو يشهر مسدسه فى وجهها فى صمت، كانت إلينا أمام حلين.. إما أن ترفع مسدسها فجأة وتقتله، لكن جاسر كان يقف حائلاً دون ذلك، ولكن مع الحركة السريعة قد تستطيع اقتناصه بطلقة، أما الحل الآخر كان يقتضى أن تدفع جاسر جانبًا ثم يعدوان سويًّا إلى الممر المقابل سريعًا.. مدت يدها بهدوء لتتحسس مسدسها إلا أنها لم تجده فحزمت أمرها سريعاً، بينما استند اليكسي إلى الجدار قائلاً بسخرية:

- أخيرًا سأقتلك أيتها العاهرة.. إن نهاية الجماعة كانت على يديك وعلى أيدى ذلك المصري الملعون أخبرينى من سأقتله أولًا..

قالها وهو يطلق رصاصته فى نفس الوقت الذى كانت فيه إلينا تدفع

جاسر إلى الغرفة الجانبية ليخرجا سريعًا منها وسط صراخ اليكسى الذى إنطلق خلفها وهو يطلق النيران.

تذكرت مكان الخروج فتوقفت وعادت مرة أخرى إلى أحد الممرات الجانبية لتدخل إلى غرفة ضيقة وتقف أمام باب حديدى فنظرت إلى جاسر وهى تكاد تلتقط أنفاسها بصعوبة قائلا بصوت واهن:

- هيا..

- هيا ماذا..؟، اخرجى أنتِ أولاً.

- جاسر.. إن الباب على هيئة ماسورة ضيقة بطول مترين يفتح من الداخل فقط ويفتح لمدة خمس ثوانى ثم يغلق ليُفتح بعدها بثلاثين ثانية لمدة خمس ثوانى أخرى فلا تضيع الوقت، فلن نستطيع أن نخرج سويًّا فهيا بالله عليك، سأخرج من خلفك.

- لا.. فلتخرجى أنتِ أولاً ثم أخرج أنا بعدك.

- جاسر أيها الغبي.. إنك لن تستطيع تشغيله، فلتخرج يا جاسر..أخرج من فضلك وسألحق بك..

- لا لن أتحرك.

- اللعنة إن اليكسي فى طريقه إلينا سأوقفه ثم سآتى من خلفك..

- لكنكِ لا تملكين أى سلاح..

- أيها الغبي.. إن معى قنبلة،سألقي بها خارج الباب قبل أن يأتى إلينا وإن لم يأتِ فعند خروجى سألقي بها إلى الغرفة هيا لا تضيع وقتنا، ولكنى أريدك أن تعرف قبل ذلك أنى...أنى..

- أنك ماذا..؟

- أنى أحبك.. ولم أشعر بهذا الحب من قبل.. وأخاف عليك أكثر من



نفسي.. بالله عليك اهرب الآن وسأكون فى أعقابك..

لم يشعر جاسر بنفسه إلا وهو يحتضن إلينا بقوة ويضمها إلى صدره وهو ينظر إلى عينيها اللتين تترقرقان بالدموع التى استطاع أن يلمحهما رغم ظلام الغرفة.. دفعته إلينا قائلة:

- والآن هيا..

و بالفعل فتحت الباب فخرج جاسر على ركبتيه..وسمع الباب يغلق.. خرج إلى الغابة حيث كان القمر مكتملاً ليلقى على الغابة من حوله بضوء فضي يشبه ضوء النهار، كان جاسر يضع يده على قلبه الذى كان يشعر بألم شديد من حديث إلينا إليه، ولكن بمجرد أن رفع يده من على قلبه حتى أصابه ذعر قاتل فقد نظر إلى كلتا يديه التى كانت مغطاة بدماء دافئة.. نظر إلى مكان قلبه فوجده ملطخاً بالدماء.. فأصابه الذعر فلمس قلبه لوسوسته أن يكون قد أصابه طلق ما ..لكن....اللعنه تلك هى الرؤيه.. أيكون...؟

نعم لقد كان الطلقة التى أطلقها ذلك المجنون اليكسي والتى أصابت إلينا..نظر حوله فى رعب..كانت الثوانى تمر وتمر وتمر.. مرت دقيقة وراء أخرى ..فعاد مرة أخرى إلى داخل الماسورة حتى توقف أمام الباب الحديدى وأخذ يطرق بكلتا يديه..لكن بعد دقيقه من الطرق وصل إلى مسامعه صوت انفجار هائل بداخل الغرفة وقد ارتجت الماسورة الحديدية، ولكن ذلك لم يحطم الباب الحديدى الملعون.. زحف جاسر مرة أخرى إلى الخارج وهو يصيح على إلينا من مكانه بالخارج ..ولكن دون جدوى.. استمر فى الصياح حتى لمح على البعد وصول عدة سيارات لرجال الشرطة مرة أخرى فابتعد قليلاً حتى وصل إلى مكان فسيح،فاستند إلى شجرة عالية وجلس أرضًا وأخذ يبكى بشدة ..

****



كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساء فى ساحة كنيسة سانت باسيل بالقرب من الميدان الأحمر فى بعد تلك الاحداث الداميه بيومين وتحديدا يوم الميعاد المنتظر 15 أكتوبر كما حددته إلينا مع جاسر الذى كان جالسًا كالصنم منذ ساعتين دون حتى أن يشعر بالبرودة.. وحتى دون أن ينظر إلى ساعته..كان يتمنى ألا يمر الوقت..لم يكن يتصور أن تمضي الحياة بدون إلينا.. صحيح أنها قد دخلت حياته منذ أسابيع قليلة لكنها استطاعت تغيير كل شيء وتحريك مشاعره الحقيقية.. كان يتذكر آخر كلماتها له ..كلمة الحب الذى لم يسمع مثلها فى حياته وربما لم يشعر بها فعليًّا فى حياتهإلا معها.. قد تتغير حياة الإنسان للأبد بعد أن يسمع كلمة صادقة من أحدهم، ربما لن يسمعها مرة أخرى ولو عاش أعمارًا فوق عمره.. إن الحب ليس حديث أو كلمات تتناقل بين شخصين ولكنه ترجمة لتصرفات وأفعال وأحاسيس، فربما لا تقال كلمة الحب بينما كل تصرفات الآخر تدل على ذلك.. فإذا اقترنت بتضحية فإنها تجعل الإنسان يشعر أنه مدين لحبيبه دون أن يوفيه حقه مهما طال به العمر.

لم يستطع أن يبكى فكانت الدموع تتحجر فى مقلتيه بدلاً من الإنهمار.. بكى كثيرًا خلال اليومين السابقين والآن لم تصبح دموعه تسقط من عينيه بل أصبحت تتسلل إلى جوفه لتحرقه..تبًا لذلك الفراق الذى يقتل فى القلب الحياة لتبقي الروح وحيدة تدور فى تلك المتاهه التى لا تنتهى ..تذكر حبيبًا ترك فراغًا لن يملأه غيره فى قلب أصبح مهجورًا كمدينة أشباح ..تحرسها نبضات مأسورة..لا تنبض إلا للذكرى..

وبوجه قاسي الملامح حسم أمره فى استكمال ما طلبته منه إلينا، ولكن قبل أن يتحرك لمح ظلاً ما إلى جواره فالتفت سريعًا لكنه كان شخصًا طويلا نحيفًا بطريقة مرعبة يرتدى عباءة سوداء ويجلس إلى جواره علم جاسر من هو فجلس مرة أخرى بهدوء قائلاً فى تبجيل:



- سيدى أعتقد أن كل الأمور على ما يرام الآن، وقد نفذت أوامرك وتخلصت أخيرًا من تلك المومياء الملعونة.

- نعم أيها الإنسي فأنت لا تعلم أن تلك الروح السيئة كان لديها القدرة على تسخير العديد من القوى الشيطانية..

- نعم لقد رأيت ذلك بنفسي..أحمد الله أنى وفقت فى ما قدر لى أن أقوم به وأنهيت مهمتى على خير.

ضحك بدزميران ضحكة شيطانية قائلاً قبل أن يتلاشى من جواره:

- ومن قال لك أيها الإنسى أن تلك هى مهمتك المطلوبة.. أتظن أن خروجك بالمومياء من أرض طيبة وحرقك إياها تلك هي مهمتك..؟، إن كل ذلك كان تمهيدًا لما هو أقوى.. برديات تحوت المقدسة.. دخولك قبر الكاهن «تب رع» ..برديات الكاهن «واخموس»..مقابلتك فى الزمن المقدس.. مقبرة الأمير «سي أوزير» ..خاتم ملوك البحور السبعة كل ذلك كان تمهيدًا لما هو مقدر لك أن تقوم به.. تذكر أنت الأقوى.

- أى خاتم ..؟، وأية مهمة..؟ أنا لن أقوم بأى شىء آخر، يكفينى ما حدث لى إلى الآن.

نظر إلى جواره فلم يجد أحدًا بينما لاحت نظرة منه إلى الخاتم فكان فصه بلون الأبيض الشاهق لأول مرة يكون بذلك الضياء..

كان عليه الانصراف الآن وتنفيذ ما أوصته به إلينا حرفيًا.. تحامل على نفسه وسار بالقرب من ماكينة الكوكا ونظر مرة أخيرة إلى مكانهم المتفق عليه متذكرًا جلستهما سويًّا الأيام الماضية وضحكها ولهوها إلى جواره..كان لديه امل ما..لكنه تلاشي مع سقوط زخات من الجليد الهش..

خرج من الساحة سائرًا عدة خطوات لكن سيارة سوداء ضخمة توقفت أمامه فجأة ليهبط منها عدة رجال يرتدون ملابس رسمية وأحدهم يخاطبه



باللغة الروسية التي لم يفهم منها شيئًا، ولكن الرجل أمسكه من يده ليدخله إلى السيارة التى انطلقت إلى شوارع مسكفا التى بدأت تخلو من المارة بعدما اقتربت الساعة من العاشرة مساء..

كانت الأفكار السوداء تطوف داخل رأسه فلا يدرى إلى أين يتجه أو أنه قد تم اختطافه أم ماذا..؟، ومن الذى قام بذلك.. ظلت تلك الأفكار تدور فى رأسه حتى دخلت السيارة ناحية مبنى ضخم يحمل علم الجمهورية الروسية وهبط الجميع ليقتادوا جاسر إلى أحد الغرف التى لم يوجد بها إلا سرير وحمام ضيق جدًا ومنضدة..

حاول أن يتحدث بالإنجليزية فلم يفهمه أحد، لكن الزنزانة فتحت ودخل منها أحد الحراس ليعطى جاسر أربعة بطاطين وكأنه يعلم سر ارتجافه المستمر..

وضع رأسه على المخدة ومن فوقه كافة الأغطية التى تدثر بها وما لبث أن غط فى نوم عميق..

بعد عدة ساعات استيقظ جاسر على يد الحارس تهزه بشدة طالبًا منه القيام معه.. قام جاسر وارتدى حذائه وهو ينظر إلى جوازه التركى فى جيب معطفه الداخلى.. خرج من زنزانته سائرًا خلف الحارس الذى كان يصعد به إلى الدور الثالث وسط المكاتب المغلقة فى كافة الأرجاء،حتى وصل أخيرًا إلى غرفة ففتحها وأشار لجاسر بالتقدم..

دخل إلى الغرفة التى كان الدفء يسرى فى أرجائها، فجلس على أحد المقاعد الجلدية الوثيرة بينما دخل وراءه شخص ما لم يتبينه جيدًا وجلس خلف المكتب فى هدوء قائلاً فى تودد:

- اجلس يا جاسر..

فزع جاسر من صاحب الصوت فاقترب منه وهو ينظر إليه فى دهشة،



فلم يعرفه من أول وهلة، ولكنه عندما اقترب تعرف عليه، فهذا الشخص لم يكن سوى يورى..

- يورى..؟، أنت يورى..؟، كيف ولماذا ومن أنت..؟، وإلينا....

- سأقص كل شيء عليك لكن أولًا أود أن أعتذر لك على تلك الطريقة التى عاملك بها الأمن، فقد بحثت عنك بعد أن خرجت من الغابات الروسية، وبحثت عنك فى المكان الذى كنا نقيم فيه، حتى وجدوك فى الساحة، فكان عليّ إحضارك بأى شكل ولكن كنت فى مهمة بالأمس فلم أستطع استقبالك.

- أنا لا أفهم أى شيء..

- أولاً اسمي ليس يورى من الأساس، ولا أعمل فى تلك العصابة أو الجماعة كما يطلقون على أنفسهم واسمي ليس مهماً الآن، المهم فقط هو .....

قاطعه جاسر بتوتر قائلاً:

- المهم لدى أنا هو أن أعلم أين إلينا، هل نجت من الانفجار.؟

- للاسف لا يا صديقي ؟إن لدينا عشرات الجثث المتفحمة والمشوهة نتيجة استخدام القنابل وتبادل إطلاق النار،

- يا ألهى الا يوجد هناك اى أمل ؟؟؟

- أؤكد لك مع الا سف أنه لم يتبق أحد حيًّا من كل الجماعة، أعلم مقدار حزنك يا جاسر لكنها رفضت أن تخرج عندما ألححت عليكم أن تخرجا وقتها.

- نعم فقد كنت تتصل بالشرطة لاقتحام المكان لذلك كنت تريدنا أن نخرج.

- هو ذلك يا جاسر لكنها رفضت ..أعماها الانتقام من اليكسي عن الخروج بأى شكل.



- ولماذا أصررت على خروجنا أولاً..

- لأنى مدين بحياتى لك، أنسيت إصرارك على خروجنا قبل أن تساعد تلك العصابة.

- نعم ولكن..

- أنا مع إلينا منذ خمس سنوات كاملة.. تخيل خمس سنوات كاملة نجحت الكى جى بي فى زرعى داخل تلك الجماعة الشيطانية حتى أصبحت مقرب من أعلى المستويات داخل الجماعة، وكنت أنقل لهم كل ما يحدث حرفيًّا حتى بعد خطفنا كان لدى الإمكانية أن أرسل لهم موقعنا بال جى بي اس، عن طريق تلك الساعة التى فى يدى ..ولكننا كنا على وشك الموت فعلًا مع اليكسي، ولكن إصرارك على خروجنا أعطى لنا حياة أخرى.. وبعد خروجنا كان على الدخول مرة أخرى لنقل المعلومات للقوات المقتحمة ومنهم علمت أن هناك الكثير من الممرات السرية والتى نجحت فى الدخول أنا وإلينا من إحداها، كنت أصر على الدخول لإنجاح مهمتى وهى أصرت على ذلك لنجدتك أيضًا..

- لا أدرى ماذا أقول يا يورى، ولكنك لن تعلم أبدًا مدى حزنى.. والآن أخبرنى لِمَاستدعيتنى..

أخرج يورى ظرف من مكتبه مقدمًا إياه إلى جاسر قائلاً:

- إن الخدمات التى قدمتها للحكومة الروسية يا جاسر حتى وإن لم تكن على علم بما فعلته هى خدمات جليلة لنا،و فى هذا الظرف شيك بمبلغ قد يساعدك على بدء حياتك فى روسيا مع إقامة كاملة لجوازك واسمك التركى وكلما يلزمك من إثباتات بشخصيتك الجديدة، أما في حالة رغبتك فى العودة إلى القاهرة فسوف نعيدك وسنشرح للحكومة المصرية ملابسات



حادث القرية فلدينا التفاسير المعقولة لذلك.. هذا رقم خاص بي، اتصل بى إذا احتجتنى في شيء يا صديقى.

ابتسم جاسر على الرغم منه وهو يمد يده لإمساك الظرف قائلًا ليورى:

- هناك طلب شخصي يا يورى.. حال اكتشافكم لجثة إلينا هل لك أن تتصل بي..؟

- بالتأكيد يا صديقي.. والآن إلى أين ستذهب..؟

- سأذهب إلى المنزل الذى أقيم فيه ثم أذهب فى رحلة لزيارة بعض الأماكن في روسيا التى وددت دائمًا أن أقوم بزيارتها، وربما أذهب إلى تليبسي فى جورجيا لزيارة شقيقي..

- سنكون دومًا على اتصال يا جاسر ..وأتمنى أن تقبل دعوتى على الغداء فى أقرب فرصة.

- بالتأكيد يا يورى بعد عودتى من رحلة الاستجمام تلك .

وألقى عليه التحية بينما أمر يورى بإحضار سيارة لتوصيله إلى المنزل الذى كانوا يقيمون فيه ..

****

كانت الساعه تشير إلى الثانية عصرًا عندما كان جاسر يعد شنطة خفيفة للذهاب إلى المكان المقصود الذى أخبرته به إلينا.. نظر إلى جوازه التركى وأوراق إقامته فى روسيا..وضع الأوراق فى جيبه وخرج إلى الساحة سيرًا على الأقدام حتى أشار إلى تاكسي طالبًا منه الذهاب إلى محطة قطار نوفوسيبيرسك..

كان ينظر وراءه خوفًا من مراقبته، لكن الشارع يكاد يكون خاليًا ..حتى



توقف أخيرًا أمام المحطة ثم جلس بجوار المدخل فترة من الوقت، وعندما تأكد من أنه ليس هناك من يتبعه دخل سريعًا إلى خزائن الأمانات باحثًا عن الخزنة 1208، حتى وجدها خلفه فأخرج ورقة من جيبه كان مدون بها الرقم السري وضغط على تلك الأرقام ففتحت الخزنة ليجد حقيبة سفر عادية..

كان هناك العديد من الأشخاص حوله فأخذها وسار حتى دورة المياه ودخل بالحقيبتين ثم قام بفتح حقيبة إلينا ليجدها مكتظه بآلاف الدولارات..تزايدت دقات قلبه فكيف يسير مع هذا المبلغ الضخم ..نظر الى داخل الجيب الخارجى فوجد التذكرة الخاصة بالقطار رقم 25.

كانت الساعه تقارب الثانية والنصف ولازال أمامه ساعتين على القطار الذى سينقله إلى مدينة كورغان، فذهب إلى الكافتيريا وابتاع عدة جرائد بالإنجليزية وجلس ليطلب فطورًا خفيفًا وقهوة وبدأ يطالع بعض الصحف وهو يستند بقدميه على الحقيبتين مرتعبًا كلما اقترب أحد منه.. حتى اقتربت الساعة من الخامسة، فذهب إلى رصيف 14 وسأل على القطار المقصود وأبرز تذكرته وقد أخذه أحدهم ليريه المقصورة الخاصة به حتى أعلن القطار عن تحركه فأغلق الباب من الداخل ليتحرك، وهو ما زال يتطلع عبر النافذة..

و فى مساء تلك الليلة كان عليه التوجه إلى المطار هناك ليسأل على ميعاد الرحلة التى ستقلع لمدينة أورينبورغ والتى كانت على بعد أكثر من 1500 كيلومتر عن مسكفا في اتجاه الشرق حيث جنوب الأورال فى الحدود مع كازاخستان. ..

مرت الرحلة أخيرًا حتى توقف بالفعل فى النُزل الذى طلبت منه إلينا المكوث فيه..كان بالقرب من الحدود الكازاخستانية.. كان بالفعل مكان



بسيط ليقضي فيه يوم أواثنين حتى يستكمل المسيرة إلى قرية ساكمارا القريبة ولكن فضل أن يرتاح قليلًا قبل الذهاب فى الغد..

و بعد أن تناول غداء خفيفاً دخل إلى غرفته ليفتح حقيبة إلينا ويقوم بقسمة المال كما أخبرته..وبعد ساعة كان يجلس مذهولاً من المبلغ نفسه...24 مليون دولار..وبالتالى نصيبه سيكون النصف لكنه لم يقوم بعمل أى شىء يستحق عليه ذلك المبلغ..فلم يقسمه بل تركه كما هو وأخرج الأوراق الموجودة وحاول أن يفهم منها شيئًا لكنه لم يعِ حرفًا..

فتح الجيب الداخلى بجوار النقود فوجد بطاقة هوية لإلينا.. فأغرورقت عيناه بالدموع وهو ينظر إلى صورتها ثم قبلها ووضعها فى جيبه..وبجوارها كان هناك ورقة منها لكنه لم يفهم منها شيئًا ويبدو أنها رسالة إلى ذلك الطبيب..

بات جاسر ليلته وفى الصباح كان فى طريقه إلى قرية ساكمارا التى وصلها بعد نصف ساعة فقط..كانت قرية ريفيةإلى حد ما ولكنها ذات شوارع نظيفه جدًّا ومبانيها متراصة على هيئة مبانٍ بسيطة من دور واحد يحيط بكل مجموعة من المنازل حدائق مشتركة..

وفى المقهى الموجود على الطريق سأل الرواد هناك حتى استطاع أحدهم أن يدله على طبيب القرية وعرض عليه توصيله لمنزل الطبيب فى طريقه، والذى كان يقبع فى آخر القريه..حتى وصل إليه أخيرًا وأشار إليه..

هبط جاسر من السيارة محتضنًا الحقيبتين ثم فتح باب الحديقة ليتقدم نحو الباب الخشبي الموجود.. حيث كانت الساعة تشير الى التاسعة صباحًا فخاف ألا يكون قد استيقظ بعد حتى الآن، مما جعله يتردد فى دق الجرس، ولكن الباب فتح فجأة ووقف أمامه شخص ما يقترب من السبعين من



العمـر مبتسـمًا متحدثًـا بلهجـة روسـية لم يفهـم منهـا شـيئًا.. فحدثـه جـاسر بالإنجليزيـة.

- أريد التحدث مع طبيب القرية هل أنت هو..؟

- نعم يا ولدى أى مساعدة قد أستطيع تقديمها لك..؟

- لا يا سيدى فقد جئت لك من طرف أحدهم لأبلغك رسالته ..

- أحدهم..هيا هيا لن نتحدث على الباب.

وقـاده العجـوز الى داخـل المنـزل مشـيرًا اليـه بالجلـوس عـلى أحـد المقاعـد الوثـيرة قائـلاً:

- من هذا الذى أرسلك .؟

- جيزن..

وجـم العجـوز عندمـا ذكـر جـاسر الاسـم ولكنـه بعـد دقيقـة بـدأ فى البـكاء قائـلًا لجـاسر:

- إذن قد توفت ابنتى.؟

- ابنتك..؟

- نعـم يـا ولـدى أنـا مـن قمـت بتربيتهـا وتنشـئتها حتـى وصلـت الى تلـك المكانـة بداخـل الجماعـة وأنـا أيضًـا كنـت داخـل تلـك الجماعـة الدينيـه لكـن لظـروف مـا كان عـلى الاختفـاء والظهـور أمـام الجميـع أنـه تـم قتلى،أنـا وأخـى أثنـاء الدفـاع عـن الزعيـم، وعـدت إلى موطنـى لأقيـم فيـه مـا تبقـي لى مـن العمـر فى مـكان لا يعلمـه إلا أنـا وجيـزن فقـط وفى آخـر زيـارة لهـا أخبرتنـى أنهـا تشـعر أن أجلهـا فى الجماعـه قـد حـان، وأنـه فى حـال حـدوث أى شـىء سـتبحث عـن شـخص أمـين لترسـله لى بـأوراق مهمـة وكل مـا تملـك مـن الأمـوال..



- تفضل يا سيدى هى من أعطتنى تلك الحقيبة لإعطائك إياها..

تناول العجوز الحقيبة متناولًا الرسالة التى كانت إلى جوار المال ثم ما لبث أن نظر الى جاسر وشكره على كل ما قام به من أجل الفتاة ثم أردف:

- هل تعلم كيف ماتت..؟، وكيف تم القضاء على الجماعة كلها..؟

- أعلم كل شىء يا سيدى.

- ليس الآن فلدينا الكثير والكثير من الوقت لنقضيه سويًّا وسوف تقص علىّ كل شىء منذ رؤيتك لها أول مرة حتى آخر مرة.

- سأقص عليك كل شىء ..وسأقص عليك كيف قامت بالتضحية من أجلى ..

- يكفى أنها حضرت وفاة والدها.

- لا أفهمك أنت تخبرنى أنك والدها..

- هذا لأنى لا أعرفك لكن بعد قرائتي للرسالة وطلبها أن أثق بك ثقة عمياء أستطيع القول لك أن إلينا هى ابنة الزعيم إيفان زعيم الجماعة، ولكونه يخشي عليها من القتل كان عليه إرسالها إلى هذا المكان السري الذى لا يعلمه سوانا حتى أقوم بتربيتها أنا وزوجتى وكأنها ابنتنا، وبالفعل نشأت إلينا حتى وصلت إلى سن العشرين وهنا صارحناها بكل شىء وقربها إيفان منه ومن شقيقها.

- شقيقها..؟

- نعم.. فلاديمير كان الابن الغير شرعى لإيفان وكان يسعى فى وقت ما أن يحصل على الزعامه الدينية لكنه فشل وبالتالى كان عليه أن يقص على إلينا كل شىء وهو من أطلق عليها إسم إلينا، على غير إسمها الأصلى جيزن، وكثير من الأوقات كانت تعيش برفقةأبيها وشقيقها.



- إذن ذلك يفسر بكاءها على موت شقيقها بين يديها ورغبتها القاتلة فى التخلص من اليكسي.

- لا أعلم التفاصيل لكنك ستقصها على..سنقضي معًا بعض الوقت لتخبرنى كيف ماتت ابنتى.

- عزاؤك أنها ماتت شجاعة ولم تهاب أبدًا من الموت يا سيدى.

ظلا يتحدثان ويتحدثان طوال اليوم..تصادقا كثيرًا وشعر جاسر أنه من المستحيل الابتعاد عن هذا المكان الذى نشأت فيه جيزن وعاشت بين أرجائه.. أما العجوز فقد ظل يحدثه عن حياه ابنته وغرفتها وصورها وهى طفلة...عشرات وعشرات من الذكريات التى ستظل عالقة فى رأس جاسر مدى الحياة..وفى المساء طلب جاسر أن يبيت ليلته فى غرفة جيزن على أن يرحل فى الصباح فرحب به العجوز ولكنه عندما استلقي على سريها شعر وكأنها ترسل إليه ضحكتها الصافية من مكان بعيد..

وفى الصباح أيقظه العجوز ليتناول فطوره وسط ابتسامته، وكأنهم لم يقضيا ليلتهما فى البكاء سويًا وليقرر جاسر أنه سيرحل بعضًا من الوقت ثم سيعود مرةأخرى إلى ساكمارا، فربما يقيم طيلة حياته وسط بساطة الحياة هنا.. وقبل أن يرحل أعطاه العجوز مفتاح سيارته وطلب منه قيادتها والوصول بها الى محطة القطار والتى تقع على بعد عده كيلومترات فى نهايه الطريق ثم عليه ركنها هناك..ولكن قبل أن يرحل أعطاه حقيبة جيزن حيث أخبره أن الفتاة أوصته فى الرسالة الموجهةإليه أن عليه صرف نصف المبلغ فى أعمال الخير على أن يكون الباقي لك فقط..حاول جاسر عشرات المرات أن يثنيه عن عزمه دون جدوى.. فأخذها منه شاكرًا ثم احتضنه العجوز وأعطاه المفاتيح مشيرًا الي سيارته الموجوده بجوار المدخل مشيرًا إليه بالذهاب إليها..



أخد المفاتيح من العجوز الذى ابتسم وهو لا زال واقفًا بينما سار جاسر فى طريقه إلى السياره فلمح العجوز يتجه باب المنزل دون اهتمام، ولكن جاسر توقف ليلتفت إلي العجوز ويشكره مرة أخيرة، بينما ودعه العجوز وهو يشير إليه ثم يبتسم غامزًا بعينه مغلقًا الباب خلفه.. وبالرغم من أن جاسر قد اندهش من تصرفه لكنه تركه وأكمل فى طريقه..

وقتها كان قلبه يدق بشدة دون سبب وكلما اقترب من السيارة تزايدت الدقات، وعندما اقترب أكثر

أدرك السبب فقد كانت رائحة شانيل جراند تملأ المكان من حوله ..

عمرو مرزوق

النهاية

****



نبذه عن الكاتب

عمرو محمد مرزوق

كاتب وروائى مصرى من مواليد محافظة الغربية ومقيم بالقاهرة

ماجستير فى القانون الجنائى جامعة القاهرة ومُقَيَّد بالدكتوراة بجامعة عين شمس

له العديد من الأعمال فى أدب الجريمة بى دى إف

دقات العاشرة..- طقوس- ضحية الجنون- الوهم

الأعمال المطبوعة

****

- أناشيد الموت، إصدار دار اكتب 2014 - ميدوم، إصدار دار نون 2015

- شامبالا،إصدار دار نون 2016 - الكابوس،إصدار دار نون 2017

- نساء فى التاريخ اصدار دار زين 2018 - سي أوزير اصدار دار نون 2018

للتواصل مع الكاتب الأكاونت الشخصى..

https: / /www.facebook.com /amr.m.marzouk

صفحة الكاتب على الجود ريدرز باسم : عمرو مرزوق

البيدج الأدبى للكاتب على الفيس باسم : عمرو م. مرزوق



شكر خاص

وكالعادة لا يسعنى إلا أن أهدى هذه القصة لأشخاص كان لهم أكبر الأثر فى تشجيعى ووقفوا بجانبى فى كل الأوقات فعذرًا لكم ولكنى أود أن أشاركهم لحظات النجاح

برديس محمد ..د/ ميرفت صلاح..مروة الصعيدى

أصدقائى الأدباء:

د/ أحمد سعد الدين .محمود الجعيدى. إيمان عبد المقصود.منار حجازى.رحمة أنور.أحمد جبريل. آيه سعد الدين.أحمد إبراهيم.محمد مسعد.د/ حازم نجيب.محمد راضي.اسلام عبد الرحمن .أسماء فخر الدين .ساره شمس الدين.وائل الخطيب.مروه الجمل.مروة مجدى .شادى أبو شهبه.ريم غلاب..د/ يزيد على.

- أصدقائى الغاليين :

د/ هيثم الحاج على. إيهاب حسن. أمل بدوى. اللواء / أيمن قابيل .منة عامر.زياد شحاته. بسنت مسعد.رانيا رشدى.منال حمدى .محمود ابراهيم. هدى فرحات .باسم الشبراويشي.د/ أحمد السعيد.نهاد الشمبكى .مروة احمد.هبه ابراهيم .ألاء عمرو.محمد احمد.ايمان هاشم. ساره محمد. نسمه مصطفى.د/ رؤيات محمد.غاده قدرى.ريم الصياد.



وسام كمال.محمد فايز.طارق وافى.ايلاف.الفنان / طارق لطفى.شعبان مطيرة.دينا أحمد.امل احمد. نهاد شيبه.ميرى.عصمت علوان.سيدرا.د/ سارة رونيللا .د/ هاجرنظمى.سمير صلاح.مجدى شنوده.محمد سعيد. جهاد. إيناس السعدنى.مروه عادل.رنا مكاوى.شفاء مدنى.د/ سالى ابراهيم.ملك أحمد.ننوسة أسرة جروب أسرار الكتب.. أسره جروب ساحر الكتب.

وجميع قططى

شكرا لأنكم فى حياتى



إهداء خاص جدًّا

روح صديقتى الغالية(د/ غادة نجيب)..من يسكن قلبي لا يمكن أن يموت

وأخيرًا وليس آخرًا أستاذنا ومعلمنا ووالدنا الروحى حسام حسين صاحب الفضل الأكبر.

أهديكم جميعًا هذا العمل المتواضع..

سى أوزير

الفرعون المنبوذ

2018



noon_publishing@yahoo.com
0235860372- 01127772007



سى أوزير

من قلب التاريخ.. وعبر أروقة الزمن .. ينتفض حارس البرديات ومبعوث الالهة، ليخلص أرض طيبة من ذلك الشر الكامن في قلبها .. ولينفي تلك المومياء الملعونة لمبعوث "ست" ..." بذرة الشر التي ستطرح الهلاك والدمار وستدنس أرض طيبة المقدسة .. وليحمي سرها وتاريخها ومجدها من عبث لصوص التاريخ الذين عاشوا علي أنقاض حضارات زيفوا تاريخها .. تري أتنتفض طيبة لتلفظ ذلك الشر الذي يتربص بها .. أم أنها ستخضع له ليحولها إلي أطلال مجد وملك زائل؟ تلك الإجابة لن تخطها أيدي رواة أو مؤرخين .. وانما ستخطها أيادي وأرواح ربما لن يذكرها التاريخ أبدًا.

هذا ما ستعرفه فى الجزء الثانى من رواية ميدوم

سي أوزير (الفرعون المنبوذ).

تأليف: أسامة علام





